



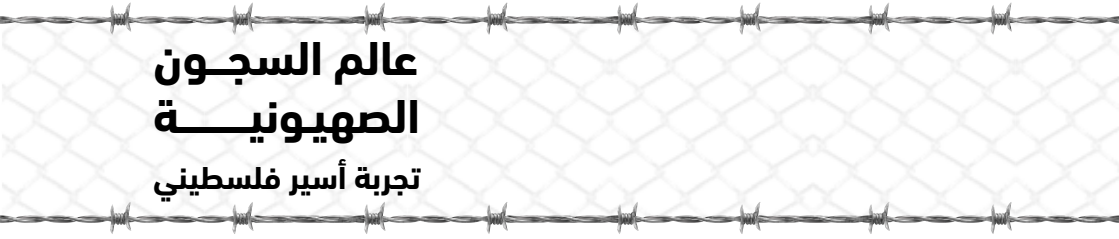
من فكر السجون وأدبه

الإصدار الحادي عشر

عالم السجون الصهيونية

تجربة أسير فلسطيني

رومل كامل العطاونة
سجن نفحة



عالم السجون الصهيونية

تجربة أسير فلسطيني



الكتاب: سلسلة فكر وأدب السجون (11)

عالم السجون الصهيونية
تجربة أسير فلسطيني

المؤلف: الأسير المجاهد/ رومل كامل العطونة

الناشر: مؤسسة مهجة القدس
غزة - فلسطين

الطبعة: الأولى

سنة النشر: ذو القعدة 1441 هـ
يونيو - حزيران 2020 م

رقم الإيداع: 1375 / 2020

الآراء الواردة في الكتاب لا تُعبر بالضرورة
عن وجهة نظر مؤسسة مهجة القدس

حقوق الطبع والنشر محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾

صدق الله العظيم

[الرعد: 24]



إهداء

- إلى والدي الحبيب، وإلى والدتي الصابرة المحتسبة.
- إلى إخواني وأخواتي.
- إلى الذين سبقونا بدمائهم الزكية إلى جنات النعيم.
- إلى الشهداء الذين رووا بدمائهم أرض فلسطين المباركة.
- إلى إخوة القيد، إخواني الأسرى وأخواتي الأسيرات الذين ذاقوا ويلات السجن وظلم السجان.
- إلى صاحب الفكرة التي أكرمتنا بشرف المواجهة على فكرة الإسلام المقاتل، الشهيد الأسير المبعد فتحي الشقاقي (أبو إبراهيم).
- إلى روح الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين السابق، الدكتور رمضان عبد الله شلح.
- إلى الإخوة العاملين في الداخل والخارج فوق الأرض وتحت الأرض.





بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، قائد سرايا المجاهدين سيد العالمين حبيبنا ورسولنا ومرشدنا إلى الخير كله محمد بن عبد الله ﷺ وعلى جميع المرسلين.

السجن والقيود والحبس والإثبات، كلها معانٍ للمعاناة والأذى والمنع والحرمان والأسى والعذاب، ومن هنا كان السجن من عذابات الأنبياء والأئمة والعلماء وأصحاب الدعوات وحملة لواء الحق والمجاهدين والمناضلين والمساجين عكس التيار، فهذا هو موسى عليه وعلى نبينا السلام عندما بلغ فرعون رسالة رب العالمين كان رده بأشد عذاب عنده كما ورد في سورة الشعراء: ﴿قَالَ لَئِنْ أُتِّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: 27].

أما يوسف عليه السلام عندما تعرض للإغواء بعد أن سجن في غيابة الحب ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: 33]، ﴿فَلَيْتَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: 42].

أما حبيبنا محمد ﷺ عندما تشاورت قريش في كيفية القضاء عليه كان لسان حاله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: 30]، فكان الإثبات وهو الحبس أول الخيارات، ومن بعدهم سجن العلماء كالسرخسي، والأئمة كالإمام أحمد بن حنبل، واستمرت السلسلة، سلسلة السائرين إلى الله من أهل



الحق حتى وصلت إلى أبناء شعبي وبنات شعبي المرابط والمجاهد والمناضل والثابت على الأرض المباركة التي باركها الله، فها هم مئات الآلاف من أبناء وبنات شعبي قد دخلوا السجن، ومنهم من دخل ولم يخرج إلى الآن.

ما دفعني لكتابة هذا الكتاب (عالم السجون الصهيونية، تجربة أسير فلسطيني) هو أن السواد الأعظم من أبناء أمتي وشعبي لا يعلم ما هي حقيقة السجن، وما هي حقيقة وصورة وتفاصيل ما يحصل خلف الأسوار والقضبان، ولا يعلم الحقيقة والتفاصيل إلا من جرّب، والسامع ليس كالمعاين، فمن خلال كتابي هذا سأحاول جاهداً أن أضع أبناء شعبي وأمتي في تفاصيل السجن، تفاصيل الصراع بين إرادة السجين وإرادة السجن من خلال يوميات السجن التي عشتها خلال التجربة متحريراً بذلك الدقة والمصادقية. واجهتني خلال الكتابة مشكلات وصعوبات وتعقيدات أهمها طبيعة المكان الذي أنا فيه، والمطاردة اليومية للسجّان لكل المواد المكتوبة، وكثرة التفتيشات، وأما المصادر المعتمدة بسبب نوعية الدراسة والمؤلف فكانت التجربة هي المصدر الأول والأساسي لهذا الكتاب.

أسأل الله ﷻ أن يتقبل مني هذا العمل المتواضع وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم، وأرجو أن أكون قد أوصلت الصورة كاملة لأخواتي وإخواني القراء.

الأسير/ رومل العطاونة

سجن نفحة



مقدمة

الحمد لله وبه نستعين والصلاة والسلام على رسولنا الكريم ولا عدوان إلا على الظالمين والعاقبة للمتقين، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الإخوة والأخوات الكرام أبناء شعبي وأمتي: أبدأ معكم التقديم بهذا الشق الأكثر أهمية؛ لأنه يحمل بين طياته النور والأمل والإيمان والمثابرة والإنجاز، بالرغم من المعاناة والضنك وظلم السجان.

سأقف معكم بحول الله وتوفيقه على عدد من المواضيع التي تتعلق بكيفية وطبيعة الحياة التي استطاع الأسرى أن يصفوها خلف الأسوار، ومن كافة الجوانب إدارياً، ثقافياً، سياسياً، إيمانياً، مالياً وتنظيمياً.

فهل استطاع السجان النيل من عزائمهم وتحطيم نفوسهم؟

أم كانت الغلبة لهم فأقاموا حياة منظمة؟

كيف هي قوانينهم وإدارتهم للحياة بالرغم من أنهم في داخل قبور مظلمة تمارس عليهم كل القوانين الجائرة والظالمة يومياً.

عملت جاهداً في هذا الكتاب لأقدم للقراء صورة عن كافة الجوانب المشرقة للحركة الأسيرة، وسيكون هناك بعض الشواهد والنماذج التي تعبر عن حياة منظمة يسودها الترتيب والنظام والموضوع.





السجن والقيد يصنعان الرجال

لقد عمل السجنان جاهداً وبكل الوسائل والطرق _بعد أن أغلق أبواب زنازينه على الرجال_ أن يجعل من هؤلاء الرجال جيشاً من العاطلين، عمل على قتل الروح المعنوية، هذه الروح التي تجعل الجسد يعمل على سرقة كل ما يسر ويفرح، ويسعد هؤلاء الرجال في ليلهم ونهارهم، حاربهم في قراءتهم وكتابتهم، عمل جاهداً ليزعجهم كل يوم مئات المرات عن طريق القهر والحرمان ومحاولة السجنان امتهان كرامتهم.

رغم هذا كله، صمد الرجال داخل هذه المقابر التي أعدت خصيصاً لقهر الرجال، لكن الرجال عملوا على وضع برامج وخطط استراتيجية لمواجهة السجنان وقهره، فكما صمدوا في أرض الميدان صموداً يوازي المحنة التي هم فيها؛ عملوا على صياغة واقع تسوده الإدارة والتنظيم والتعلم والانضباط، متحدّين بذلك كل ما يضعه السجنان عليهم من معوقات يومية.

فخرج من داخل السجون الظالمة والقبور المظلمة رجال قد أصبحوا اليوم قادة في المجتمع، ومنهم أساتذة وأدباء ومفكرون وشيوخ وخطباء ورجال سياسة وقانون... الخ.

درسوا وقرؤوا في ظروف لا يصدقها إنسان، بإمكانيات متواضعة



استطاعوا أن يحصلوا على شهادات في البكالوريوس والماجستير والدكتوراه رغماً عن أنوف كل من عمل على قتلهم وقتل كل ما هو حي فيهم.

لقد هباً الله ﷻ داخل السجون رجالاً واصلوا الليل مع النهار عاملين ودائبين على صناعة رجال يحيا فيهم الأمل والثورة والعزة والنور والعلم والأمانة، جيل يحمل الراية ويحافظ عليها من السقوط، جيل يحمل رسالة أمة وشعب مظلوم مسلوب الحرية والأرض والحقوق الإنسانية كلها.

فقاموا وقالوا: هنا يصنع الرجال، وهنا يصنع الرجال المعجزات دون تعب أو ملل أو تراجع؛ لأن الطريق طويل والمعرفة لم تنته بعد، فرغم المعاناة يصنع الرجال.



المؤمن يحول الخسائر إلى أرباح

المؤمن الذي آمن بالله ﷻ وآمن بعقيدة القضاء والقدر، يكون مطمئنًا لكل ما يصيبه في هذه الدنيا الزائلة والتي هي دار مر، فلقد انعقد في قلبه أن الأمر كله لله، وما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

ويعلم أن الخير في ما يختاره الله ﷻ، ويؤمن إيمانًا كاملاً بأن الله ﷻ دائماً يختار لعبده الأفضل، ولو اطلع على الغيب هذا العبد الفقير محدود العلم لاختار الواقع، وهذا ما يفرق بين المسلم والكافر، فالكافر لا حياة له يعيش فيها ويتمتع فيها إلا بالحياة الدنيا، فالدنيا جنته، أما المؤمن فيعيش في هذه الدنيا عابداً زاهداً مجاهداً راضياً بما كتبه الله له من الخير والشر؛ لأنه ينتظر الحياة الآخرة، دار المستقر والخلود، فإذا أصابه سوء من ظالم كعدوه الذي اغتصب أرضه وقهر شعبه وأذاقه الويلات، ووضع في السجن، فالمؤمن بإيمانه بالله يرضى بقضاء الله ﷻ ويحمد على السراء والضراء؛ لأنه يعلم علم اليقين أن هذا السجن خير له، فيحتسب أيام وشهور وسنوات هذا السجن لله راضياً بهذه القسمة؛ لأنه عندما خرج في مواجهة عدوه كان يعلم أنه على خيارات ثلاثة: إما سيلقى الله شهيداً، أو جريحاً، أو سجيناً؛ لأن خيارات المعركة مع عدونا لا تزال تواجهه هذه الخيارات الثلاثة.

فإذا دخل السجن حوّل المحنة إلى منحة، غير فيها كل الموازين كلها أوذي من عدوه كان لسان حاله حسبنا الله ونعم الوكيل، ناظرًا إلى



ما أصاب إخوانه الأنبياء والعلماء وأهل الإيمان والحق؛ لأن هؤلاء جميعاً قبلوا بالسجن والقيد فصبروا لله، فكان الجزاء رفعة في الدنيا وجنة عرضها السموات والأرض في الآخرة.

فيوسف عليه السلام سجن، وموسى عليه السلام ومحمد عليه السلام هُددوا بالحبس والقيد، وسجن الإمام أحمد بن حنبل، والسرخسي ومن بعدهم، والقادة العظام لشعبنا المناضل الذي لا يوجد بيت من بيوت أهل فلسطين إلا ودخل لهم ابن أو ابنة أو أب أو أم السجن.

فالمؤمن بإيمانه بالله يحول سجنه إلى جنة، تجده راضياً مطمئناً بأن عدوه زائل وأحكامه الجائرة زائلة، فلو حكم عليه بعشرات السنين أو المؤبدات تجده راضياً لقدره، الحمد لله على كل حال، إن الحكم إلا لله، فاقض ما أنت قاض؛ لأن عقيدته الإيمانية تخبره قليلاً ودماغياً بأن هذا حكم البشر الظالم، أما حكم الله فلا يعلمه إلا الله وحده، فينظر إلى ما حصل للعديد من إخوانه الذين دخلوا السجن من قبله فيجد أن العديد منهم قد تم حكمهم مدى الحياة أو عشرين أو خمسين عاماً، ولكن ما لبثوا في سجنهم إلا قليلاً، حتى هبَّ الله تعالى لهم سبباً من أسبابه أدى إلى قيام عدوهم بالإفراج عنهم في عزّة وفخار.

المؤمن الحق في سجنه يعلم أنه مظلوم، والمظلوم في عقيدة المسلم عند الله دعوته مستجابة، يرفعها الباري تعالى إلى عنان السماء ويقول لها: «والله لأجيبنك ولو بعد حين»، يعلم أن الله حرم الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرماً، يدعو الأسير فيقول: أنا مؤمن بالله ومجاهد في سبيله



مدافعٌ عن أرضي وعرضي وبلدي ضد كافر معتدٍ سرق الأرض والبحر والشجر والهواء والمطر، وها أنا بعد هذا كله مسجون مظلوم عنده، فيناجي ربه ﷻ بهذا الحال الذي هو عليه، فيدخل السجن بنية الرباط والاعتكاف على الأرض التي بارك الله فيها، عالمًا بأن الفرج آتٍ.

هكذا يعيش المؤمن ناظرًا إلى المسألة بأن الدنيا زائلة، والعمر محدود، وأن هذه السنين من عمره قد كتبت عليه في اللوح المحفوظ، وأنه سيدخل السجن، فلا تجده إلا مبتسمًا لقدره، راضيًا مستسلمًا لله ﷻ وحده، وليس لعدوه الظالم.

فالمؤمن في سجنه يصنع من الليمون الحامض عصيرًا حلواً، في معادلة معقدة جداً؛ لأن ذلك لا يمكن أن يكون إلا للمؤمن، قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له».

فعندما يوضع في زنزانة يحمد الله، وعندما يرش بالغاز يحمد الله، وعندما يضرب بالعصي يحمد الله، وعندما يمنع من زيارة زوجته ووالده ووالدته يقول: «الحمد لله»، وعندما يُضَيَّق عليه يحمد الله، وعندما تقتحم غرفته قوات مدججة بالسلاح والعتاد وتردعه وتعتدي عليه يقول: «الحمد لله»، وعندما يحكم عليه بعشرات السنين يقول: «الحمد لله»، وعندما يحرم من أبسط حقوق الإنسان كالهواء يقول: «الحمد لله».



على كل حال يا رب ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، إنا لله وإنا إليه راجعون، موكلًا أمره الله وحده، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، ومن كان الله معه فمن عليه؟

ففي السجن من فقه المسألة تعامل معها، بهذه الكيفية يرضى بقسمة الله، ويعلم أن وجوده في السجن خيرٌ له، فبالنية الصادقة يحول كل ثانية ولحظة يقضيها داخل السجن إلى حسنات عند الذي لا يظلم مثقال ذرة، فقط بالرضا، فالذي يرضى يرضيه الله ﷻ ويرضى عنه.

والسؤال هنا: ما الذي يجعل الأسير الفلسطيني المؤمن راضيًا عن وجوده في السجن 10، 20، 30 سنة؟ ما الذي يجعل كل الأسماء المعروفة من أبناء شعبي إلى هذه الساعة، رغم القيد وطول المدة رُكعًا وسُجَّدًا لله؟ إنه الإيمان بالله والإيمان بالقدر خيره وشره، هكذا تعاملنا ولا زلنا نتعامل مع السجن، إنها فلسفة أهل الإيمان التي لا يفقهها إلا المؤمن الصابر المحتسب.



دولة الأسرى

إنها الندية الكاملة والإصرار على البقاء وفرض الوجود والحضور، إنه نظام يقابله نظام، إدارة تقابلها إدارة، وهنا قد يستدل القارئ الكريم بأن الحركة الأسيرة على مدار العقود الماضية حتى اليوم استطاعت بكافة أطرها وكوادرها أن تقيم داخل السجون دولة تضاهي وتوزاي وتقف بندية أمام إدارة مصلحة السجون، فاستطاع الأسرى أن يبنوا نظامًا مؤسسيًا يحوي بداخله كافة فصائل العمل الوطني والإسلامي حيث تم إنشاء الهيكل التنظيمي الذي فرض وجوده على مصلحة السجون، وكذلك كان له الدور الكبير في إدارة وتنظيم الحياة الاعتقالية ضمن مجموعة من اللوائح الاعتقالية العامة لكافة الأسرى وبخاصة لكل فصيل فلسطيني.

رغم كل المحن والصعاب وقهر السجن والسجان أرغم هذا الآخر على أن يتعامل مع سجينه ويجلس معه وينظم الحياة معه كما سئرى خلال الأبواب القادمة، وعندما سميتها دولة لم أبالغ في التسمية، فإذا تحدثت عن سجن نفحة مثلاً كنموذج تجد أن 700 أسير وهم الذين تواجدوا داخل هذا السجن من فصائل فتح وحماس والجهاد والجهتين الشعبيتين والديمقراطية؛ قد أقاموا دولة داخلية، وفي كافة السجون تجد نفس هذا النموذج، فحسب اللوائح الإقليمية والاتفاقيات التي أقامها الأسرى من كافة الفصائل يتم اختيار ممثل للسجن، هذا الممثل يعطى صلاحيات من



كافة الفصائل تخوله أن يتكلم باسمها ويجلس مع إدارة السجن باسمها، وحسب اللوائح فإن الممثل هذا يكون من الفصيل الأكبر داخل السجن، فإذا كان العدد الأكبر كسجن نفحة لأسرى الإخوة من حركة فتح يكون ممثل كافة أسرى نفحة من حركة فتح، وفي هذه الدولة فإن الأسير يستطيع أن يحرك أو يوقف 700 أسير بكلمة واحدة، وهذا الأمر يشكل حالة من تحقيق الإنجازات العديدة وفرض الهيبة للأسرى نتيجة لاتحادهم تحت قيادة واحدة، ففي هذه الدولة، إلى جانب هذا الممثل العام للسجن، يتم فرز أسير آخر من كل فصيل من الفصائل، يقوم هذا الممثل بمتابعة وتمثيل كافة أمور تنظيمه مع الممثل العام، يأخذ الممثل العام قراراته وتحركاته وصلاحياته وشرعيته من ممثلي الفصائل، في حالة من العمل التنظيمي الرائع الذي يجسد الحياة التنظيمية الرائدة والفريدة، أين؟ داخل السجن.

18

هذه التشكيلة يطلق عليها الوطنيات أو اللجنة الوطنية العامة التي تمثل كافة الأسرى داخل السجن عن طريق ممثل عن كل فصيل، بالطبع كل يخرج من عنده أخ معروف بأخلاقه ونضاله وصدقه وقدرته على مواجهة الصعاب والجرأة في مواجهة الإدارة، وإجادة بعض المهارات كاللغة العبرية، والخبرة التنظيمية في ممارسة هذا النوع من العمل.

هذه اللجنة تعقد اجتماعات دورية لمناقشة كافة مشكلات الأسرى ومطالبهم، وبين فترة وأخرى يتم عقد جلسة بين مدير السجن أو نائبه مع الممثل العام يناقش فيها كل المطالب أو الاحتياجات أو الاعتراضات أو الأشياء التي اتفق عليها ممثل الأسرى مع اللجنة الوطنية قبل أن يجلس مع ممثلي إدارة السجن، وهكذا يتم تنظيم دائرة العمل على مدار الأيام.



ويعتبر الممثل العام للأسرى شخصية اعتبارية لها احترامها وتقديرها عند كافة الأسرى، وكذلك عند إدارة السجن، فلا يجوز التعرض له أو إهانته من قبل السجناء وإدارة السجن؛ لأن الإدارة تعلم جيداً كيف هي الحالة التنظيمية والحيثيات التي أقام الأسرى عليها حياتهم الاعتيادية.

التمثيل على مستوى الأقسام:

بعد أن تحدثنا عن التمثيل العام للأسرى على مستوى السجن، هناك تمثيل آخر مهم وهو تمثيل على مستوى الأقسام؛ من المعلوم أن السجن يحتوي على أقسام، كل قسم يوجد بداخله عشر أو اثنتا عشرة غرفة يتواجد فيها ما بين 100 - 120 أسيراً من كافة الفصائل حسب عدد كل فصيل، مثلاً تجد في قسم 15 في نفحة خمس غرف لفتح، وثلاث غرف لحماس، وغرفتين للجهاد الإسلامي، وغرفة للجبهة الشعبية، وغرفة للجبهة الديمقراطية، وهكذا بقية الأقسام، أيضاً داخل القسم الواحد يوجد ممثل أو من يسمى داخل السجن (دوبير) أي الناطق باسم الأسرى، هذا الأخ يتم اختياره من قبل الإخوة الأسرى من كافة الفصائل داخل القسم، يقوم هذا الممثل بتمثيل جميع الأسرى داخل القسم الواحد، فيتحدث باسمهم، يرفع لهم طلباتهم، يستلم الطعام والشراب ويشرف على العاملين داخل القسم، وإدارة القسم تتعامل معه في أي مسألة تخص جميع الأسرى داخل القسم حسب الاتفاق الذي تم إبرامه بين إدارة السجن والأسرى، هذا (الدوبير) أو الممثل يكون مرجعيته داخل القسم ممثلاً عن كل فصيل من الفصائل داخل قسمه، تماماً كما هو الحال الذي تحدثنا عنه سابقاً بين الممثل



العام للسجن واللجنة الوطنية العامة لكافة الفصائل داخل السجن، ولكن الصورة هنا أصغر فقط داخل القسم، وهذا الممثل تكون له الصلاحيات الكاملة والتفويض من كافة الأسرى داخل القسم، فبكلمة واحدة يغلق القسم ويفتحه، أو يتم الاحتجاج أو المواجهة أو إرجاع الطعام أو إدخاله فيتمتع بقوة وصلابة يستمدّها من مجموع الأسرى المتواجدين داخل القسم.

ويقوم كل فصيل بإخراج أسير إلى العمل داخل القسم بحيث يقوم هؤلاء الإخوة الأسرى بتولي كل الأعمال والاحتياجات خارج الغرف، ولكن داخل القسم فقط، يمنع خروجهم خارج القسم، فيقوم هؤلاء العاملون الكرام، بالعمل مع ممثل القسم عند استلام الطعام وعند توزيعه على الغرف، تنظيف القسم يوميًا ونقل الأشياء والحاجيات بين الغرف والأسرى؛ لأن الأسير يمنع من الخروج من غرفته، فالذي يتولى حلقة الوصل بين الإدارة والغرف هم الإخوة العمال الذين تم إخراجهم إلى (الكوريدور) الممر الموجود بين الغرف، فيقومون بتوزيع المياه والمشروبات على الأسرى ويشكلون حلقة وصل بين الأخ ممثل القسم والأسرى داخل القسم في كافة متطلبات حياتهم الداخلية.

ومن المرافق الأخرى التي يقوم الأسرى بإدارتها داخل دولتهم المغسلة والكانتينا، فهذه أيضًا لها غرفة داخل القسم يتم إخراج أسير من داخل القسم فيقوم بعملية غسل ملابس الأسرى حسب ترتيب وتنظيم معين يتم الاتفاق عليه، وكذلك الكانتينا والإدارة المالية ستحدث عنها لاحقًا.



وكذلك استطاع الأسرى أن يؤسسوا داخل دولتهم مرفق الحلاق الذي يفصل بين الغرف وبعد ذلك يبدوون بإيقاظ الأسرى ليخرجوا إلى ساعة الرياضة، ثم تبدأ بعد ذلك الفورات والنزهة الصباحية يخرج فيها الأسرى إلى الساحة لأوقات معينة صباحًا، ثم يقوم الإخوة العاملون بتوزيع طعام الإفطار الذي غالبًا ما يكون لبنًا وبيضًا، بعد استلامه من السجناء يقوم الإخوة بتوزيعه، ويخرج معهم الأخ مثل القسم ويبدأ مهام عمله؛ إذا كان هناك طلبات للإدارة يقدمها، إذا كان هناك زيارات للأهل يستلم الأسماء، وإذا كان هناك إخوة بحاجة إلى العيادة يقوم بالحديث مع إدارة السجن ويخرج الأسرى للعيادة، وبهذه الصورة ينتظم العمل يوميًا داخل القسم بإدارة الأسرى أنفسهم.

أما السجناء داخل القسم فلهم غرفة تحكم في مقدمة القسم، يوجد بداخلها عدد من السجناء وأمامهم لوحات إلكترونية وشاشات متلفزة، ترتبط بكاميرات مراقبة داخل القسم وداخل الساحات والممرات وفيها لوحة التحكم الخاصة بفتح الأبواب، وهذه الغرفة هي التي تتحكم بالقسم بشكل كامل، يتولى السجناء عملية المراقبة والتحكم من خلالها، وهي المكان الذي يوجد فيه السجناء الذي يتعامل مع الأخ مثل القسم والإخوة العاملين في مرافق القسم.





المؤسسة التنظيمية داخل السجن

استطاع الأسرى أن يبنوا مؤسساتهم التنظيمية على أسس وقواعد متينة تعبر عن مدى الإبداع والإدارة والتنظيم لديهم داخل الأسر، وهنا سوف أعتذر عن ذكر أو كتابة التفاصيل الكاملة أو الهيكلية التنظيمية لكافة الفصائل الموجودة في الأسر؛ لأن هذا الأمر يحتاج إلى إسهاب وإطالة، لذلك سأقدم نموذجًا واحدًا لأعبر فيه عن المؤسسة التنظيمية داخل الأسر وكيفية عملها وأدائها، وفي نفس المقام أشهد شهادة حق وصدق بأن كافة الإخوة في الفصائل لديهم المؤسسة التنظيمية الرائعة التي تعيش معنا جنبًا إلى جنب، فهنا سأحدث عن المؤسسة التنظيمية لأسرى حركة الجهاد الإسلامي في داخل السجون بسبب طول الخبرة وعمق الاطلاع، وممارسة العمل داخل المؤسسة، وسأذكر سجن نفحة كنموذج عن بقية السجون مرة أخرى:

ففي نفحة إذا كان عدد أسرى الجهاد الإسلامي 50 موزعين على الأقسام، يقوم هؤلاء الخمسون بانتخاب خمسة أعضاء مجلس شورى في عملية انتخابية نزيهة يقوم فيها كل مجاهد بعملية اقتراع مستقلة عن طريق لجان الانتخابات، وبرقابة تامة وسرية وأمانة، وعلى شروط يتم وصفها في اللائحة الداخلية لأسرى الجهاد داخل السجن، ويشكل الإخوة الخمسة الذين تم انتخابهم أعضاء مجلس الشورى العام لسجن نفحة، ويقوم



هؤلاء الخمسة بعملية انتخاب داخلية بينهم لمنصب الأمير العام لسجن نفحة، ونائب الأمير، بقية الأعضاء مع الأمير ونائب الأمير، ويتم توزيع مهام المجلس عليهم بالتراضي وحسب القدرة على العمل والاستطاعة والامكانيات، فيتم تعيين مسؤول اللجنة الوطنية العامة والحوار ومسؤول اللجنة الثقافية ومسؤول اللجنة الإدارية ومسؤول اللجنة المالية ومسؤول اللجنة الخارجية، هذه مهام للأعضاء الخمسة.

وعن طريق الإدارة العامة يتم تعيين أمراء الأقسام بحيث يكون لأسرى الجهاد المتواجدين في كل قسم أمير يمثل الأسرى داخل القسم، وعن طريق أمير كل قسم يتم تعيين أمير لكل غرفة.

هكذا يتم تكوين الإطار العام للهيكلية التنظيمية للمؤسسة العاملة داخل السجن الواحد وبقية السجون.

يشكل مجلس شوري كل سجن الإطار التنظيمي للتنظيم المحلي، ومن كافة السجون التي يتواجد فيها أسرى الجهاد يتم انتخاب مجلس شوري عام لكافة السجون ضمن مجموعة من الشروط الهامة، وعددهم يكون حسب عدد أسرى الجهاد في السجن، ففي هذه الفترة عددهم 33 كادرًا من أبناء الحركة موزعين على سجون جلبوع وشطة وهداريم وإيشل وعوفر ومجدو وريمون ونفحة والنقب، وهؤلاء الإخوة الأعضاء يتم انتخابهم من قبل أعضاء المؤتمر العام للحركة، وغالبًا ما يكون عددهم 240 حسب أعداد أسرى الجهاد في السجن، وهؤلاء الإخوة جزء منهم ينتخب انتخابًا، أما الذين أمضوا في السجن أكثر من تسع



سنوات فهؤلاء يعتبرون أعضاء مباشرةً في المؤتمر العام للحركة داخل السجون دون انتخاب.

وكما أسلفت ينتخب من داخل المؤتمر أعضاء مجلس الشورى العام لأسرى الجهاد في السجون وعددهم 33.

وبعد أن يتم انتخاب أعضاء مجلس الشورى الثلاثة والثلاثين يتم انتخاب أعضاء الهيئة القيادية العليا لحركة الجهاد الإسلامي داخل السجون وعددهم 11 عضوًا، يتم انتخابهم من قائمة الـ 33.

هؤلاء الأحد عشر يشكلوا الإطار القيادي، وبعد انتخابهم يقومون بانتخاب الأمير العام ونائب الأمير العام لأسرى الجهاد، من قائمة الأحد عشر.

وبعد انتخاب الأمير العام ونائب الأمير، يتم توزيع المهام التنظيمية على الأعضاء حسب الإمكانية والقدرة والتخصص وهذه المهام هي:

- اللجنة الوطنية العامة

- اللجنة الثقافية

- اللجنة المالية

- اللجنة السياسية

- اللجنة القضائية والمظالم

- اللجنة التنظيمية



- اللجنة القانونية
- اللجنة الإدارية
- اللجنة الاجتماعية
- لجنة المحامين والقادمين الجدد
- لجنة الأمن والملفات الخاصة

هذا نموذج واحد لحركة استطاع أسراها أن يقيموا هذا البناء والهيكل التنظيمي الذي يعبر عن عمل المؤسسة المتكاملة داخل هذه القبور والسجون المظلمة والظالمة،

وأؤكد مرة أخرى أن الإخوة في حركتي فتح وحماس والجهتين لديهم بنيانهم ومؤسستهم التنظيمية التي أقيمت على نفس هذا النمط الذي يعتبر بنياناً مقابلاً وندياً لإدارة مصلحة السجون، فكما لديهم المؤسسة المتكاملة التي تتحكم وترسم السياسات والإجراءات؛ استطعنا نحن الأسرى رغم قلة الإمكان وضيق المكان والتضييق المستمر أن نشيد هذه المؤسسات الصامدة كالطود العظيم.



عمل المؤسسة التنظيمية العامة والمحلية

أولاً: المؤسسة العامة (الهيئة القيادية):

بدايةً لأبد من التنويه إلى أن إدارة مصلحة السجون لم تستوعب هذه التشكيلات، وكانت تعتمد إلى النيل من الشخصيات التنظيمية عن طريق التضييق عليها وعزلها في سجون مغلقة أو في أقسام العزل، وتحاول إبعادها عن الأسرى، ولكن بعد جولات عديدة، لم يكن أمامهم خيار إلا الاعتراف بهذا الإطار القيادي، فهي اليوم تتعامل مع الأخ الأمير العام ممثلًا للجهاد أو حماس أو أي فصيل حسب تسميته بدرجة عالية من التقدير والاحترام أولاً، ومن ثم وجدت أن هؤلاء الإخوة مجمع عليهم من تنظيماتهم فهم من يعقدون المواقف أو يشعلون الأمور.

لقد فرضنا هذا التشكيل على عدونا واليوم هناك تطور في عملها.

الأمير العام لأسرى الجهاد في السجون ونائبه: يعتبر هذا الأخ الأسير الشخصية الأولى التي تمثل جميع أسرى الجهاد عند مصلحة السجون ورجالاتها، وكذلك عند الفصائل جميعًا داخل السجون، وله من الصلاحيات والواجبات الكثير، ونائبه بمثابة البديل له في حال حدوث أي طارئ، وهو بمثابة أمين السر له والمطلع على كافة الأمور.



أما اللجان التي تم توزيعها على أعضاء الهيئة فلكل منها اختصاصها وكوادرها:

(1) اللجنة الوطنية: يقوم عضو الهيئة بمتابعة كل المواقف الوطنية والخطوات الفصائية من أجل تحصيل حقوق الأسرى داخل السجون، والتنسيق مع الإخوة قادة الفصائل على مستوى السجون من أجل الخطوات أو الاحتجاجات أو الإضرابات، ويقوم بالتواصل مع جميع الإخوة العاملين في الوطنية العامة لأسرى الجهاد في كافة السجون، ويأخذ منهم صورة الوضع في كل سجن، ويزودهم بالمواقف والمستجدات، وتعتبر هذه اللجنة من أخطر اللجان خاصة أنها تواجه إدارة السجون في طرح المطالب، وفرض الخطوات وعملية الجلوس مع ممثلي الإدارة ووضع البرامج لمواجهة أي طارئ.

28

(2) اللجنة الثقافية: يقوم مسؤول هذه اللجنة بمتابعة البرامج الثقافية والتعليمية مع كافة الإخوة العاملين في الثقافات العامة لأسرى الجهاد في كافة السجون، ويأخذ منهم تقارير عن البرامج الثقافية والمحاضرات والدورات وطلبة الجامعات والتوجيهي، ويقوم بالتواصل مع الخارج في إدخال كتب ومواد ثقافية إلى كافة السجون.

(3) اللجنة المالية: يقوم مسؤول هذه اللجنة بمتابعة كافة القضايا المالية المتعلقة بالأسرى داخل وخارج السجن وحل المشكلات العالقة، ومتابعة القضايا المالية والمستحقات ومتابعة المليات العامة للأسرى في كافة السجون والاطلاع على أوضاعهم المالية في الكانتينا في كافة السجون.



(4) اللجنة السياسية: ويقوم مسؤول اللجنة بالمتابعة الشاملة لكل ما يتعلق بالمواقف السياسية للحركة داخل وخارج السجون، ويتابع وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة لمعرفة الأمور والتطورات السياسية المتعلقة بالقضية، وكذلك المتعلقة بشؤون المنطقة، ويتواصل مع الخارج لوضع أبناء الحركة بكل المواقف والتطورات المستجدة على الساحة الفلسطينية والعربية والعالمية، وخاصة أن الأسير يغيب عن كل هذه الساحات، ويزود أسرى الجهاد بكل ما هو جديد.

(5) اللجنة القضائية والمظالم: هذه لجنة يقوم مسؤولها بعمل صعب وشاق عن طريق متابعة المظالم والشكاوى للأسرى من كافة السجون، ويقوم بدراسة المشاكل وحلها، ووضع لجان لمتابعة أي إشكال يحصل بين الإخوة، وكذلك يتابع أية مظلمة يتقدم بها أي أخ، ويتدخل في وضع عقوبات أو غيره من الأمور اللازمة من أجل تحقيق العدالة في أي مظلمة قد تحصل.

(6) اللجنة التنظيمية: يقوم مسؤول هذه اللجنة بمتابعة كل ما يتعلق بتنظيم الجهاد داخل السجن، وكذلك بالخارج ويرتبط عمله بعمل اللجنة السياسية كممثلين عمل واحدة.

(7) اللجنة القانونية: هذه لجنة لها اختصاص بالقضايا القانونية التي يتم متابعتها مع جهات حقوقية داخلية وخارجية حيث هناك العديد من القضايا التي تخص الأسرى يتم التعامل معها قانونيًا حسب قوانين مصلحة السجون، مع جمعيات ومؤسسات خاصة بشكاوى الأسرى حيث



يتم متابعة معظم هذه الملفات من خلال حقوقيين ومحامين، وأحياناً مع أعضاء كنيسة عرب ومن خلال الإخوة العاملين في اللجنة القانونية.

(8) اللجنة الإدارية: هذه مؤسسة هامة تعني بمتابعة القضايا الإدارية التي تخص كافة الأقسام والسجون وقوانين لوائح الأسرى المتعلقة بحياتهم الداخلية عن الممنوعات، والمسموحات ووضع وصياغة قوانين تخص حياة الأسرى الداخلية وخاصة أن طريقة الحياة معقدة داخل الغرف والأقسام حيث يتم متابعة كل هذه الأمور من خلال الأخ في اللجنة الإدارية مع الإدارة العامة للأسرى في كافة السجون.

(9) اللجنة الاجتماعية: تتولى هذه اللجنة مع مسؤولها متابعة قضايا الأسرى الاجتماعية المتعلقة بأوضاعهم المعيشية والأسرة والاحتياجات، وكذلك متابعة العلاقات بين الأسرى في السجن الواحد والسجون بعضها البعض، وتدرس الطلبات الخاصة بتقديم المساعدات لبعض الحالات التي توجد داخل وخارج السجن، فهي تنشط اجتماعياً على مستوى السجون في حلقة تواصل بين الأخ مسؤول اللجنة والإخوة العاملين معه في كافة السجون عبر شبكة تواصل من التقارير والمعلومات التي تعنى بهذه القضايا الاجتماعية.

(10) لجنة المحامين والقادمين الجدد: سببها استمرارية المعركة، وأسرى جدد يأتون إلى السجن ويكونون بحاجة إلى محامين لمتابعة قضاياهم، والأسرى عادةً يوزعون على سجون عديدة فتتابع هذه اللجنة ملفاتهم



ومواعيد محاكماتهم وزياراتهم، ويتم ترتيب كل هذه الأمور من خلال لجنة المحامين والعاملين فيها عبر الهيئة العليا.

(11) لجنة الملفات الخاصة: هناك ملفات حساسة وخاصة جداً، يتم متابعتها من خلال الأخ الأمير العام ونائبه والأخ ممثل هذه اللجنة بسبب حساسيتها، العمل بها يكون في نطاق ضيق من أجل المحافظة على السرية ومعه سمعة كل أسير، وغالباً ما يكون عمل هذه اللجنة في قضايا تتعلق بأخطاء كبيرة يرتكبها بعض الإخوة، أو دراسة لمعلومات عن سجن معين أو غرفة، أو أشخاص تتعلق بالسلوك والأدب والأمن.

كل اللجان السابقة تقدم أعمالها ومهامها على شكل مجموعة من المداولات والمراسلات تتم عبر زيارات المحامين، أو من خلال نقل الرسائل بين الإخوة الأعضاء والأمير العام، أو عبر وسائل أخرى معروفة لدى الأسرى بشكل رائع ومنظم داخل المؤسسة التنظيمية العامة، رغم تعقيدات السجن والظروف والأحوال وملاحقة السجان لكل ورقة ووسيلة تواصل واتصال بين الأسرى، وبالإصرار والعمل تصنع المعجزات.

وأؤكد هنا مرة أخرى بأن هذا النموذج لأسرى حركة الجهاد الاسلامي ما هو إلا واحد من النماذج العاملة بين أبناء الحركة الأسيرة من الإخوة في الفصائل الموقرة فتح وحماس والجهتين الشعبية والديمقراطية، فالإخوة من الفصائل لديهم من الإبداع والتنظيم والعمل المؤسساتي ما يفاجئ القارئ الكريم.



ثانيًا: المؤسسة التنظيمية المحلية (التنظيم المحلي داخل السجن الواحد):

في داخل السجن لابد حياة الأسير أن تسير وفق النظام والقانون، والاتفاق على كل تفاصيل الحياة الداخلية داخل الأقسام والغرف؛ لأن الحديث هنا عن غرف تحوي بداخلها صنفًا من الإخوة الذين تختلف عاداتهم وتقاليدهم وطريقة حياتهم، وكذلك تتفاوت أعمارهم، ومستوياتهم العقلية والعلمية، وتتفاوت لديهم القدرة على الانسجام والصبر، وعلاوة على هذا كله نحن نتحدث عن بشر، وليس عن ملائكة أو أنبياء معصومين عن الزلل والخطأ.

نحن نتحدث عن بشر حُرِّموا من الحرية ومن أدنى الحقوق والحاجيات، ولذلك كان لابد من أنظمة وقوانين، وكذلك مؤسسة تنظيمية تقود وتطبق وتتابع الحياة اليومية داخل الغرف والأقسام؛ لأن الأمر إذا ترك لكل أسير أن يعيش على هواه داخل غرفته أو قسمه، عندها ستصبح حياة الأسرى حياة غاب لا قانون يحكمها إلا قانون القوي الذي يأكل الضعيف.

وهنا مرة أخرى سوف أتحدث عن تكوين وعمل المؤسسة التنظيمية داخل السجن الواحد لدى أسرى الجهاد الإسلامي، وسوف أختار أيضًا سجن نفحة كنموذج عن بقية السجون حتى أبين للأخ القارئ كيف تسير حياة الأسرى داخل السجن، وخلف الأسوار، داخل الأقسام وغرف السجن.



وأؤكد مرة أخرى بأن حياة الإخوة في الفصائل المجاهدة والمناضلة تسير على نمط مواز وأفضل من مؤسستي التي أكتب عنها، ولكن بسبب ضيق المقام لم أتمكن من الكتابة عن كل فصيل بأسراه.

وحتى أقف على التفاصيل أقف مرة أخرى مع التشكيلة التنظيمية المنتخبة حسب لوائح داخلية تمت صياغتها، فيتم انتخاب خمسة أعضاء مجلس الشورى، ويقود هؤلاء سجن نفحة لدورة انتخابية مدتها ستة أشهر.

كما ذكرت سابقاً يتولى الأمير العام لنفحة مهام الإشراف العام على عمل اللجان الإدارية والثقافية والوطنية داخل الاقسام عن طريق مجموعة من التقارير الشهرية، يتلقاها من الإخوة العاملين في هذه اللجان، كما يقوم بمتابعة المداولات الداخلية المتعلقة بطلبات الإخوة أو حل إشكالياتهم، حيث يتم تمريرها على الإخوة الأعضاء وتستقر عند الأخ الأمير العام ليضع عليها النتيجة النهائية، كما يمثل دور الشخصية الأول أمام التنظيمات وإدارة السجن في كافة المناسبات واللقاءات.

هيكلية عمل المؤسسة التنظيمية داخل السجن الواحد:

(1) مسؤول اللجنة الوطنية العامة والحوار: هذا الأخ يكون أحد أعضاء مجلس الشورى حيث يتم تعيينه بالتوافق مع الإخوة الأعضاء، وغالباً ما يتمتع بخبرة وقدرة على ممارسة العمل التنظيمي والحوار مع قادة التنظيمات الأخرى وصياغة المواقف الوطنية، وكذلك له القدرة على الجلوس مع مسؤولي إدارة السجون، وإجادة اللغة العبرية، ويكون



قد مضى على سجنه سنوات، استطاع خلالها أن يخوض ويمارس العمل في هذا المنصب. ويعتبر مسؤول اللجنة الوطنية والحوار الشخصية الأولى التي تمثل أسرى الجهاد كافة عند الفصائل، ويكون على تواصل مع الإخوة في الوطنيات الفرعية داخل الأقسام ويرتبط مباشرة بالمراسلة مع الأخ مسؤول اللجنة الوطنية العامة للسجون في الهيئة القيادية للحركة المتابعة كل المستجدات والبرامج والخطوات والتنسيق على مستوى السجون.

(2) مسؤول اللجنة الإدارية العامة: وهذا أيضاً عضو مجلس شورى يتولى مهام إدارة شؤون الأسرى بشكل عام ويرتبط مباشرة بأمرء الأقسام الذين يشرفون على غرفتهم، فيتولى الأخ مسؤول هذه اللجنة إنزال البرامج الإدارية التي تنظم حياة الأسرى داخل الغرف، الهدوء، ساعات النوم والاستيقاظ، تلقي تقارير من أفراد الأقسام حول حياة الأسرى في كل قسم من حيث سير حياتهم، والمشاكل التي تفرز مظاهر معينة من التوتر، أسماء الإخوة الذين يرغبون بالانتقال من قسم إلى آخر وهكذا، فهو متابع لحياة الأسرى في كافة الأقسام، والمسؤول الأول عن ذلك، ويتم الرجوع إليه في حال حدوث أي خلاف إداري في أي قسم لا يستطيع أمير القسم أن يحله، ويرتبط هذا العنصر مع ممثل اللجنة الإدارية والعامة في الهيئة العليا للجهاد في كافة السجون بالتقارير والتطورات الإدارية.

(3) مسؤول اللجنة المالية: وهو أحد أعضاء مجلس الشورى، وهو المسؤول عن كافة أموال أبناء الجهاد الخاصة والعامة، فيتولى الإشراف على متابعة الأحوال داخل وخارج السجن، ويعمل على إدخال الأموال بالطرق المعروفة داخل السجن مثل البريد وزيارات الأهل، ويتابع ميزانية



الأسرى داخل السجن ويحدد الصرف الشهري للأفراد والغرف، ويتابع التقرير المالي لكافة الأقسام مع أعضاء المالية الفرعية، ويرتبط هذا العضو بالأخ مسؤول اللجنة المالية العامة لأسرى الجهاد في السجون والتابع للهيئة القيادية العليا.

وبذلك تكتمل حلقة الملف الحالي بين هرم القيادة مع مسؤول لجنة السجن مع مسئول مالية الفرع في القسم الواحد، هكذا تكتمل الصورة لكافة اللجان، فهي حلقة متكاملة من العاملين في كافة السجون والتنسيق مع الهيئة العليا.

(4) مسؤول اللجنة الثقافية: وهو أحد أعضاء مجلس الشورى، ذو خبرة في العمل الأكاديمي، وقد يكون من حملة الشهادات، ويقوم بصياغة برامج ثقافية لكافة الأقسام والغرف من جلسات في العلوم الدينية والحركية، والفكرية ويتابع إنزال النشرات الثقافية الأسبوعية والشهرية، ويتابع مع أفراد الأقسام التطبيق الكامل لكل البرامج التعليمية من حيث التزام الإخوة الأسرى بالجلسات وانضباطهم فيها، وخاصة الالتزام بالجلسات الإجبارية كجلسات تعلم القرآن والفقه والحركيات ومحو الأمية وغيرها.

وترتبط هذه اللجنة مع الأخ مسؤول اللجان الثقافية في الهيئة العليا لأسرى الجهاد وبكل ما هو جديد.

(5) مسؤول اللجنة الخارجية: وهو المسؤول الأول عن التواصل مع الخارج بكافة الوسائل المتاحة مثل: مؤسسات الحركة، المحامين، وسائل



الإعلام، التواصل مع السجون الأخرى، ويرتبط هذا الأخ مع مسؤول اللجان الخارجية في الهيئة القيادية العليا للشؤون الخارجية ونقل كل ما هو جديد إلى الأسرى في سجنه.

جميع هذه اللجان يتكامل عملها مع الأمير العام للسجن والذي بدوره يتابع مع أمراء الأقسام الذين يتم اختيارهم من ذوي الخبرة والأمانة والقدرة على العمل؛ لأن الأسرى يتوزعون على أقسام عدة، وفي القسم الواحد يتواجد غرفتان أو ثلاث غرف، وهنا الحديث عن نموذج أسرى الجهاد الإسلامي في نفحة، لذلك يجب أن يكون في كل قسم أمير فرعي يتبع في عمله للمؤسسة الشورية العامة، هذا الأخ يتولى إدارة شؤون الغرفتين داخل قسمه، ويساعده من كل غرفة أمير يتم تعيينه داخل الغرفة، يتولى هذا الأمير إدارة شؤون غرفته ومتابعة جميع أمور الحياة الداخلية، ويشرف على تطبيق القوانين الإدارية والحياتية التي تنظم حياة الأفراد داخل الغرفة، وكذلك يتابع تطبيق البرنامج الثقافي داخل الغرفة، والأمور الحياتية اليومية مثل الخلافات وغيرها، ويتواصل مباشرة مع الأخ أمير القسم يوميًا حتى يسير حياة الغرفة على أفضل نسق وترتيب.

36

أمير الغرفة يمثل أعلى سلطة داخل الغرفة، وطاعته بالمعروف واجبة حسب ما أمر رسول الله ﷺ.

بهذه الصورة التقريبية تكون حياة الأسير داخل الغرفة، يعيش حسب قانون ونظام ويوجد أمير يتولى شؤون حياته، وأمير الغرفة يتبع



مباشرة لأمير القسم الذي يتولى مسؤولية الغرف داخل القسم الواحد، وأمير القسم يتبع مباشرة لمسؤول اللجنة الإدارية العامة المسؤول عن كافة أمراء الأقسام في السجن الواحد، وهذا الأخير يتبع لمسؤول اللجنة الإدارية العامة في الهيئة القيادية العليا لأسرى الجهاد في السجون.

وكذلك الحال في اللجان الأخرى كافة في مؤسسة متكاملة.





الحياة العلمية والثقافية داخل السجن

تهديد:

لابد من الإشارة في بداية هذا الباب إلى أنَّ المكان الذي يوجد فيه الأسير مكان ضيق، ويسوده الحرمان من الحرية وكل ما هو محبوب للنفس؛ لذلك عمل السجان على وضع ورسم سياسة داخل الأسوار تجعل من الأسير مجرد جثة تنتظر الموت، لا تريد له أن يبدع أو يتعلم أو يستغل وقته، ليقرأ كتاباً أو يأخذ محاضرة أو يكتب خاطرة أو قصيدة أو مذكرات، وتريده أن يبقى نائماً في غرفته، سلبياً لا يفكر، لا يعمل عقله، لا يخرج إلى الساحات، لا ينظر إلى الجزء المملوء من الكأس، متشائماً يائساً من الحياة، محطم النفس يأكل ويشرب وينام.

وهنا أكتب وبمرارة أنَّ شريحة ليست قليلة من إخواني الأسرى قد أصابهم هذا الوهن، فدخلوا السجن فأصابهم الإحباط، وعدم الأمل بالفرج، ونظروا نظرة التشائم، فلم يبدعوا ولم يستغلوا الشهور والسنوات، ولم يقرؤوا ولم يتعلموا، فالبعض أمضى من عمره سنوات، ودخل السجن ومعه شيء من المعرفة والعلم، ولكن خرج وقد نسي ما عنده ولم يخرج بشيء، والعكس تماماً، هناك من دخل أمياً وخرج يحمل الشهادات والعلم والثقافة، وأصبح رقماً في مجتمعه حاملاً رسالة وقد قدم لشعبه الكثير.



وعلى مدار عقود تفاوتت القوانين والإدارة للإخوة العاملين في قيادة الحركة الأسيرة داخل سجون الاحتلال في إدارة وتوجيه العملية التعليمية ما بين الجلسات الإجبارية والاختيارية، وما بين القبول والرضى حسب كل فترة، يختلف الشخصوص والأنظمة.

وسأقف مع الإخوة القراء خلال هذا الباب على الحياة العلمية والثقافية داخل السجون بجوانبها المتعددة محاولاً صياغة صورة تمثل بداية هذه الحياة الهامة لما فيها من جوانب مشرقة ومميزة لأبناء هذا الشعب العظيم حتى في أضيق الأماكن وهم في قبضة السجّان؛ إذ استطاعوا أن يواصلوا المسيرة والمركة، ولكن بأدوات ووسائل مغيرة، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

أولاً: المحاضرات والجلسات اليومية داخل الأقسام والغرف:

بالاتحاد مع الكوادر العاملة لدى الأسرى يتم رسم برامج يومية ضمن خطة متكاملة لإعطاء محاضرات يومية خلال النهار والليل، وبعض هذه المساقات يكون إجبارياً لكل أسير، وبعضها يكون اختيارياً وحسب الحاجة، فمثلاً عند أسرى الجهاد من البرامج اليومية هناك جلسة قرآن يومية تنعقد داخل كل غرفة، وتعطي مساقات إجبارية في تعليم أحكام تجويد القرآن وفقه العبادات، والسيرة النبوية، والحركيات وفكر الحركة وتاريخها، ومحاضرات في التزكية، ويتم إنزال عشرات النشرات الشهرية الصادرة عن اللجان الثقافية حول قضايا سياسية واجتماعية وفكرية، كذلك مواقف حركية، ونشرات صحية وإرشادية.



كما يتم إعطاء دورات في اللغة العبرية والانجليزية والعربية حسب الكوادر المتوفرة والقادرين على إعطاء هذه المساقات، بالإضافة إلى عقد دورات في تحفيظ القرآن الكريم أو أجزاء منه ضمن لجنة متخصصة في هذا المجال، وأيضاً دورات للإخوة الأميين (محو الأمية) وتعلم الكتابة والقراءة.

ومن صور الحياة العلمية إعداد خطباء لصلاة الجمعة وإخوة قادرين على إعطاء المواعظ والخطب والحديث أمام الناس في كافة المجالات.

وهناك ساعات يومية يتوافر فيها الهدوء، ويقوم الإخوة فيها بالقراءة الفردية عن طريق مئات الكتب الموجودة لدى الأسرى حيث يتم إدخال كميات كبيرة منها عن طريق الصليب الأحمر على مدار السنوات، ويوجد داخل السجن كتب متنوعة في الأدب والنثر والشعر والعلوم والإسلاميات والتراجم والفقه والتزكية والسير والمغازي، والفلسطينيات والإسرائيليات والتاريخ والجغرافيا والطب، وقراءة الكتب تساعد في صياغة شخصية الأسير عندما يواظب على قراءتها باستمرار؛ لأن مداركه تتسع ويزيد اطلاعه وثقافته العامة في كافة العلوم والمعارف.

ثانياً: التحصيل العلمي الأكاديمي (التعليم الجامعي):

استطاع الأسرى على مدى السنوات الماضية أن يجاربوا ويتحدوا كل الصعاب بين أمل الحصول على الشهادات العلمية المتقدمة سواء في الدبلوم أو البكالوريوس أو الماجستير وهذه المسيرة أشكال متعددة وتطورات عديدة.

- الثانوية العامة: البداية كانت مع الحصول على شهادة الثانوية



العامة حيث استطاع قطاع كبير من الإخوة الأسرى الحصول على شهادة الثانوية العامة (التوجيهي) داخل السجن من خلال التقدم لهذه الامتحانات بعد دراسة المساقات المقررة وأخذ حصص مدرسية تمامًا كما هو الحال في الخارج، وكان هناك التنسيق لإدخال مدرسين وأوراق الامتحانات، واستمر هذا الحال حتى عام 2006م حيث تغيرت كثير من الأمور داخل السجن، وبالرغم من منع المدرسين من الدخول إلى السجن استمر العمل والتنسيق مع الإخوة في وزارة الأسرى ووزارة التربية والتعليم على ضرورة استمرارية هذا المشروع الأكاديمي، فاليوم نحن نمارس امتحانات التوجيهي داخل السجن عن طريق لجان يتم تعيينها في كل سجن من الإخوة أصحاب الخبرة في هذا الميدان، فيتم إدخال الأسئلة بطرق متعددة، ويتم عقد الامتحانات وتصحيحها ورفع الدرجات إلى الإخوة في الوزارة ضمن ترتيب داخلي يلائم الظروف والأحوال.

42

- التعليم الجامعي: وهو أحد الإنجازات التي حققها الأسرى في معاركهم مع السجن، فحصلوا على الموافقة على التعليم المفتوح عن طريق الجامعة العبرية المفتوحة، والذي تم من خلال المراسلة وعقد الامتحانات، واستطاع عشرات الأسرى أن ينتسبوا إلى الجامعة العبرية في تخصصات عديدة كالعلوم السياسية وإدارة الأعمال وتاريخ الحركة الصهيونية وشؤون الشرق الأوسط.

استمر التعليم والحصول على الشهادات في هذه الجامعة، وساهم الإخوة في وزارة الأسرى بدفع تكاليف الكورسات الدراسية ماليًا حتى عام 2006م، وبعد أسر المقاومة الفلسطينية الجندي الصهيوني جلعاد شاليط



قامت مصلحة السجون بسحب العديد من إنجازات الأسرى، وكان أهم الإنجازات التي تم سحبها التعليم في الجامعة العبرية، وأدى هذا القرار إلى حرمان مئات الأسرى من التخرج، وكذلك حرمان المئات من التسجيل أو عدم اكمال الفصول والساعات المتبقية لديهم.

ورغم محاولات الأسرى الحثيثة لاستعادة هذا الحق إلا أنهم فشلوا بسبب تذرع مصلحة السجون بأن الأمر مرهون بالإفراج عن شاليط.

وإلى هذا اليوم تم إغلاق باب التسجيل إلى الجامعة العبرية المفتوحة للأسرى والمنع مستمر بلا رجعة كما يبدو.

43 وبعد هذا الفراغ والحرمان عمل الأسرى على مراسلة معظم جامعات الوطن في غزة والضفة، وطلبوا منهما ضرورة الموافقة على إتاحة الفرصة للأسرى الذين يقضون عشرات السنوات داخل الأسر ليواصلوا تعليمهم من داخل السجن.

وفي العام 2009م كانت الموافقة الأولى من كلية فلسطين لإتاحة الفرصة للأسرى بالتعلم فيها حيث وافقت الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية الموجودة في غزة على طلب الأسرى الالتحاق فيها في تخصصي (الخدمة الاجتماعية/ دبلوم، تأهيل دعاة ومحفظين/ دبلوم).

كانت البداية من سجن نفحة الصحراوي على يد مجموعة من الإخوة الأسرى - جزاهم الله خيرًا - حيث كانوا هم السبب في إدخال هذا الإنجاز دون موافقة السجان، فتم إدخال المئات من الكتب المقررة



للخدمة الدراسية وأسماء المساقات، وقام الإخوة بتعيين لجان من المدرسين والإداريين للجنة الأكاديمية، وأخذت العهود والأمانات على مصداقية العمل المهني، وانطلقت هذه المرحلة المشرقة، ومن ثم امتدت إلى سجون ريمون وإيشل وهداريم وشطة وجلبوع والنقب.

وعلى مدار السنوات الست الماضية تخرج من الكلية مئات الطلبة الذين حصلوا على شهادات الدبلوم، وفي العام 2013م حصل اختراق كبير في التعليم الجامعي داخل السجون وتمت الموافقة على إدخال تخصص جديد (بكالوريوس) عن طريق جامعة الأقصى في غزة حيث وافقت بعد جهود بذلت من قبل الإخوة على منح الأسرى دراسة التاريخ، وتم الاعتماد على الخبرة التي مارسها الأسرى في دراسة الدبلوم، وتم إدخال الكتب اللازمة للخطة الدراسية المعتمدة في جامعة الأقصى.

وبدأت الدراسة مع الفرحة العارمة لدى مئات الأسرى الذين سجلوا مع جامعة الأقصى من معظم السجون، واتخذ التعليم في جامعة الأقصى الصفة الرسمية والجدية التامة من حيث المحاضرات اليومية، والحضور والغياب والامتحانات النصفية والنهائية، وإعداد الملخصات اللازمة؛ لأن عدد الكتب قليل، ولقد مارست هذه التجربة لمدة سنتين في سجن نفحة، وللأمانة أشهد أن العملية الأكاديمية كانت إدارتها لا تقل انضباطاً وجديّةً وتنظيمًا وترتيبًا وأمانةً عن الدراسة في الخارج.



وفي العام 2015م تم تخريج الفوج الأول من الإخوة الأسرى حملة شهادة البكالوريوس في دراسة التاريخ، وهناك دفعة أخرى سوف تتخرج في شهر أغسطس (آب) 2016م، ولا زال التسجيل مستمرًا والتعليم متواصلًا لمئات الطلبة في جامعة الأقصى.

وبعد نجاح هاتين التجربتين للكلية الجامعية وجامعة الأقصى؛ حصل اختراق آخر في التعليم الجامعي حيث قام الإخوة في وزارة الأسرى بعد التواصل مع الإخوة العاملين من الأسرى داخل السجون بإدخال انجاز جديد تمثل في موافقة جامعة القدس المفتوحة على انتساب الأسرى إليها ضمن مجموعة من الشروط تم إقرارها بين الأخ وزير الأسرى ورئيس جامعة القدس المفتوحة، وتم العمل على إعداد كادر أكاديمي للإشراف على العملية الأكاديمية، وكانت البداية من سجن النقب، ثم سجن جلبوع وسجن هداريم، وهناك موافقة لسجن نفحة، ووافقت الجامعة على دراسة الأسرى في أربعة تخصصات هي: (الاجتماعيات وتاريخ وجغرافيا، اللغة العربية، التربية الإسلامية، الخدمة الجامعية).

ولقد أنهى الأسرى الفصل الأول في عدة تخصصات، وبدأ التسجيل للفصل الثاني، والحمد لله لقد زاد هذا المشروع من فرحة الأسرى بسبب إتاحة الفرصة لهم لمواصلة التحصيل العلمي، خاصة أن هناك العشرات من الأسرى يدخلون السجن يوميًا من طلبة جامعة القدس وغيرها استطاعوا أن يواصلوا تعليمهم، وكذلك هذا التنوع زاد من إقبال الأسرى على التعليم في كافة التخصصات.



ومن الإنجازات الأخرى التي واكبت هذا الاختراق ما قدمته جامعة القدس في سجن هداريم من إتاحة الفرصة لمجموعة من الطلبة لدراسة الماجستير، وهذا الأمر فقط موجود في سجن هداريم وإن شاء الله يمتد إلى بقية السجون.

خلال السنوات الخمس الماضية عمل السَّجان على عرقلة العملية التعليمية في الكلية الجامعية وجامعة الأقصى وجامعة القدس بكافة الوسائل والطرق خاصة أنه علم بأن الأسرى يدرسون في هذه الجامعات، فعمل على منع إدخال الكتب وعلى مصادرة الأوراق الخاصة بالأسرى المعينين كالكراسات وأوراق الامتحانات وجداول الدرجات، فقد عمل في مرحلة معينة على نقل الكوادر التعليمية من سجن لآخر حتى يحصل تعطيل لعملية التعليم، وكذلك عمل على نقل الأسير الذي يدرس من سجن لآخر حتى يعيقه عن عملية التحصيل والتقدم.

وبالرغم من كل هذه المعوقات إلا أن روح الاصرار لدى الأسرى كانت أقوى من كل الظروف، وكلما اشتدت الضغوطات ازداد الإصرار على مواصلة العلم والتعليم، فهي معركة من نوع آخر.

ومن صور التعليم الأكاديمي الذي عمل الأسرى على تحصيله واستثماره بفضل الله علينا شعب فلسطين عامة، ومعشر الأسرى خاصة أن السجن قد دخله مئات الآلاف، وخلال عقود الصراع مع هذا الاحتلال ومنذ أن فتح أبواب هذه السجون دخلها فئات متنوعة من أبناء هذا الشعب، ومن الذين دخلوا السجن عدد لا بأس به من الأكاديميين



وأساتذة الجامعات والدكاترة، وحملة شهادات الماجستير والعلماء في كافة حقول العلم، وكذلك مفكرون ورجال سياسة وقانون وعلماء دين وقادة في العمل الوطني وغيرهم من أصحاب الخبرات والمهن.

لذلك فإن الأسرى لم يفوتوا الفرصة، بل عملوا على الاستفادة من كل من يحمل شهادة أو خبرة للتعلم منه، فتم إعطاء دورات كادر في مجالات التنمية البشرية على أيدي أساتذة في الجامعات، وأيضًا عقدت دورات رسمية معتمدة من وزارة الصحة في مجال الإسعافات الأولية على أيدي صيادلة وأطباء، وتم إعطاء دورات كاملة في الصحافة والإعلام عن طريق أسرى حملة شهادات عليا في مجال الصحافة والإعلام.

وكذلك عقدت دورات في مجالات العلوم الشرعية كالفقه المقارن والفتاوى والتفسير وتدريس وتحفيظ القرآن الكريم عن طريق السند المتواتر تلاوة وحفظًا، وفي مجال القراءات السبع، على أيدي إخوة أسرى من حملة شهادة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية، أو من المؤهلين الحاصلين على دورات عليا في تلاوة القرآن الكريم.

والحق يقال ويجب رد الفضل لأهله أن هؤلاء الإخوة الكرام الذين دخلوا السجن لم يدّخروا جهدًا ولم ييخلوا بما لديهم من علم ليقدّموه لإخوانهم الأسرى، فعقدوا عشرات الدورات في معظم السجون، وبذلك استطاع الأسرى أن يحققوا تميزًا جديدًا، وإنجازًا كبيرًا عن طريق تحصيل العلم والخبرة والاستفادة من أصحاب الخبرة والعلم.



ومن صور التحصيل العلمي المستقبلي: الكتابة في الأدب حيث استطاع عدد من الأسرى أن يكتبوا في مجال الرواية والشعر والخطابة، وكذلك شارك البعض في مساهمات في بعض الجرائد والمجلات بمقالات وقصائد وخواطر عديدة.

كل هذا تحقق ولا يزال يتحقق رغم أذى السجن اليومي وتضييقه على جميع الأسرى في كل لحظة، كما ذكرت في الجزء الأول من هذا الكتاب.



الحياة الإدارية داخل السجون

لا بد من التنويه هنا أننا نتحدث عن بشر يصيبون ويخطئون، ولا نتحدث عن ملائكة أو رسل أو أنبياء معصومين عن الزلل، وأيضاً لا بد من التنويه إلى أن الأخ يختلف مع أخيه داخل الأسرة الواحدة والبيت الواحد، وكذلك الزوج مع زوجته يحصل بينهما الخلاف والخطأ، وكذلك الأب مع أبنائه يحصل بينهم خلاف.

فكيف إذا كان الحديث عن أناس حُرِّموا حقوقهم وحريتهم وفُهِروا وظُلموا وتم حجزهم في غرف ضيقة وظروف صعبة، يحملون من العادات والتقاليد المختلفة، وأغلقت عليهم الأبواب لسنوات وعقود؟!

مع كل هذا التقييد كان لا بد من وضع النظام والقانون الإداري الذي يراعي الصالح ويحفظ الكرامة والحقوق للجميع داخل الغرفة الواحدة؛ لذلك عمل كل تنظيم على وضع مشرف للغرفة، أو أمير للغرفة مع اختلاف المسميات عند كل تنظيم، حتى يكون هذا الشخص خلال الساعات الطويلة هو السلطة العليا داخل الغرفة المخول بإدارة شؤون إخوانه الأسرى من كافة النواحي، ولا يستطيع أن أخفي سراً بأنه بقدر ما هناك من معانٍ عظيمة ومحبة واحترام بين إخوة القيد فإن هناك من النكد والخلافات والمشاكل التي تحدث يومياً بسبب التنوع والضيق وتواجد الإخوة لساعات طويلة داخل الغرفة ما يؤدي إلى حصول خلافات،



وخاصة أن هناك أشياء جماعية ومشتركة داخل الغرفة لا يمكن لأحد أن يستفرد بها، فلذلك تحصل خلافات بين الحين والآخر.

ومن هنا تم تعيين الموجه أو الأمير داخل الغرفة، وتم وضع قوانين تضبط وتحكم كافة أفراد الغرفة مثل تحديد ساعة النوم ليلاً حتى لا يزعج أحد أخاه، وكذلك ساعة إطفاء النور، وتم تحديد ساعة الاستيقاظ من النوم، وساعات تناول الطعام الصباحي والمسائي (الفطور والعشاء)، وساعات لحضور الجلسات العلمية والتنظيمية والالتزام بها، وتم وضع برامج يومية لتنظيف الغرفة، وتنظيف الأواني، والحمام، والترتيب داخل الغرفة والعناية بنظافتها، وكل قادم جديد إلى السجن يتم تعليمه هذه القوانين كافة.

50

وبعد معرفة الجميع لهذه القوانين الإدارية كل من يخالف أيًا من هذه القوانين سيكون عرضة للحساب والمساءلة؛ لأن الحياة داخل السجن والغرفة بحاجة إلى ضبط وحكمة ومراعاة كل أسير لأخيه الأسير في الحقوق والواجبات، وحسب القانون الإداري فإن أي خلاف يحصل بين الإخوة داخل الغرفة، أو يرتكبه أحد الإخوة الأسرى فإنه يتعرض للحساب إما عن طريق أمير الغرفة أو الموجه، وإذا كان الإشكال كبيراً يتم تحويله من أمير الغرفة إلى أمير القسم ليتم حله والوقوف عليه بالتفصيل.

ومن فتنة المكان قد يحصل خلاف بين الإخوة بسبب نظرة عفوية، أو كلمة غير مقصودة، تخرج من أخ لأخيه، وهكذا تنشب الخلافات، فلا



تستطيع أن تطلق العنان للأمور لتسير عشوائياً، بل يجب الوقوف على الأخطاء حتى تحل (تعالج) بالصبر وتستمر الحياة.

ولقد وضعت جملة القوانين الحياتية اليومية داخل السجون ضمن لوائح داخلية تم التوافق عليها من قبل الإخوة الكوادر أهل الخبرة والعمل مع طيلة السنوات الماضية، وبفضل الله كان لها الدور الكبير في ضبط الحياة التي استمرت لسنوات ولا تزال مستمرة داخل الأسر، فلولا فضل الله ﷻ على الناس، والصبر والتحمل، وجملة هذه الضوابط والقوانين واللوائح لما استطاع الناس أن يحيا حياتهم بهذه الصورة المنضبطة داخل هذه السجون الظالم أهلها.

وسوف أزود الإخوة والأخوات القراء بنتيجة عن اللائحة الداخلية مع ملاحق هذا المؤلف إذا سمحت الإمكانيات حتى يتعرفوا على نموذج من هذه اللوائح التي استطاع الأسرى صياغتها.





قانون العقوبات داخل السجن

قد يتفاجأ القارئ بعنوان هذا الباب، فهل من عقوبات داخل السجن فوق عقوبات السجن؟

يرتبط هذا الباب مباشرة بالباب السابق المتعلق بالقوانين الإدارية واللوائح الداخلية للحياة اليومية للأسير؛ لأن أي جماعة يسود حياتها القانون والنظام فإنها بالتأكيد ستكون جماعة منضبطة ومكرمة يتحقق فيها العدل والمساواة، والعكس صحيح تمامًا، ومن خلال صياغة مواد القانون المتعلق بالعقوبات أخذ بعين الاعتبار نوع الخطأ الذي يقع؛ لذلك فإن كل حالة من الأخطاء لها ما يناسبها من العقوبات، وبالطبع فإن العقاب لا يطبق إلا بعد محاولات عديدة من النصح والإرشاد والتوجيه، وكذلك الإصلاح، وسأذكر هنا بعض الحالات التي تحصل فيها الأخطاء، وكيف تتم المعالجة:

من المخالفات الإدارية الفردية داخل الغرفة عدم انضباط الأخ الأسير بالقوانين الداخلية المتعلقة بالهدوء في ساعات العمل أو في ساعات الصباح المبكر أو وقت القيلولة، فأحيانًا يتعمد إثارة الفوضى في هذه الأوقات التي يكون إخوانه بحاجة إلى الراحة والنوم، فبعد الحديث معه من قبل الأخ الأمير أو المسؤول المرة الأولى، والثانية، والثالثة؛ فإنه في هذه الحالة يعتدي على حق من حقوق الآخرين، فعندها تبدأ إجراءات من العقوبات كنقله إلى غرفة أخرى.



ومن أمثلة التجاوزات والأخطاء أن يسب أو يشتم الأخ أخاه داخل الغرفة أو القسم بدون سبب، ففي هذه الحالة تكون البداية بالإصلاح بين الاثنين في حال تنازل الأخير عن حقه، أما إذا تكرر هذا السلوك مرات عدة، وكان من بينها سب الناس وشتيمهم فإنه يتعرض لعقوبات عدة مثل الاعتذار الخاص للأخ الذي سبه، وكذلك الاعتذار أمام كل أفراد الغرفة على الذي صدر، وكذلك يتعهد أمام الإخوة المسؤولين بأن يرجع عن هذا السلوك.

ومن أمثلة الأخطاء المتكررة القيل والقال، وإفساد ذات البين، ونقل الكلام غير الصحيح عن أخ من الإخوة، وبسبب ضيق المكان فإن هذه الأطراف تنشره في أوساط الأسرى عامة، وغالبًا ما تؤدي إلى حصول خلاف وتتسبب في ضيق وضنك في حياة الإخوة لما لها من أثر على النفوس؛ لذلك يحرص الإخوة العاملون على ديمومة النصيح والتوجيه والتذكير بخطورة هذه الأمور التي تفسد حياة الجماعة وتحولها إلى جحيم، فإن كل ما فيها يعد من كيد الشيطان، فلا يجوز أن يكذب الأخ على أخيه أو أن يغتابه أو يذكره بسوء وهو غائب، لأن كل الإخوة يعيشون حياة مكشوفة على مدار الساعة، فلا بد أن يستر الأخ على أخيه في كل الأحوال.

ومن الأخطاء ما يحصل للأسف لمرة واحدة أو لمرات متعددة، فيتحول غضب الأخ أو تكون ردة فعله في موقف معين أن يرفع يده على أخيه، فيضربه بيده أو بأي شيء آخر، وتعتبر هذه من الخطوط الحمراء التي لا يمكن تجاوزها؛ لأن أخطاء اللسان مهما كبرت يمكن علاجها، أما الضرب بأي شكل من الأشكال فتكون له تداعيات وعقوبات صعبة.



ففي أي مشكلة يحصل فيها اعتداء أخ على أخيه لا يتم علاجها على الفور إلا بعد تشكيل لجنة تحقيق كاملة تقف على حيثيات المشكلة، وتجلس مع كافة أطرافها، وتقف على التفاصيل وتستمع للشهود الذين حضروها، ومن ذلك تقوم هذه اللجنة بتقديم تقرير كامل بالنتائج والتوصيات، وبعد تقرير اللجنة تقرر العقوبة التي تناسب الحالة.

مرة أخرى أذكر إخواني القراء بأنني أتحدث عن بشر يعيشون في مكان مغلق، ولا أتحدث عن ملائكة وأنبياء؛ لذلك الخطأ موجود، والبشر يخطئون في أي وقت، وهذه الحياة المستمرة لسنوات إذا تركت هكذا دون ضوابط وقوانين وحساب لمن يخطئ فستتحول إلى حياة غاب يسودها الظلم، وهذا ما لا يرضى الله ﷻ، وكذلك لا يرضى أهل المكان.

وهناك عشرات الأخطاء، والإشكاليات التي تحدث قد لا أستطيع أن أتطرق إلى العديد منها، ولكن المهم أن هذه الحياة المعقدة قد استطاع الأسرى أن يحددوا لها ضوابط وقوانين وأن يضعوا حلولاً لكل ما يحدث.





قرارات صعبة في اللوائح وقوانين العقوبات

هناك حالات تحدث في داخل الأسر، وهذا متوقع وموجود، فالقرارات الصعبة قد تتخذ بعد نفاذ كل وسائل الإصلاح مثل:

انتهاء حياة أسير عند تنظيمه نتيجة لعدم التزامه بكل اللوائح والقوانين، وتكرار تجاوزاته من اعتداء باللسان واليد على الحالة، وبعد مشاورات داخل المؤسسة الشورية يتم إبلاغ الأسير بأن حياته قد انتهت عند التنظيم، فينقل للعيش عند تنظيم آخر؛ لأنه قد يجد أن حياته قد تستديم.

ومن القرارات الصعبة الضرب، والفصل بشكل مباشر، وهذه لا تحدث إلا في حالتين فقط وبعد التأكد الكامل من عدم وقوع الظلم، وإثبات الإثباتات ووجود القرائن التي تدين صاحب الحالة بأنه قد وقع في خطأ أخلاقي بشكل متعمد، وعهد عليه هذا السلوك المشين وقد كرره بعد الستر والنصح والإرشاد.

أو قد وقع في الخطأ الكبير المتمثل في (ضيافته لإخوانه عند عدوه)، وهذه لا أستطيع الحديث في حيثياتها لصعوبة الأمر، ولكن المهم في الحالتين هو عدم التسرع في أخذ القرار.



لا يمكن لأي تنظيم أن يقدم على طرد أحد من بين صفوفه إلا بعد التأكد والتريث والتحقيق، وإعطاء الفرصة وكل ما يمكن أن يتصور من صور العدل وعدم الظلم؛ لأننا نتحدث عن أناس مظلومين، فلا يمكن أن يُقدموا على ظلم أخ لهم.



النظام المالي داخل السجون

استطاع الأسرى على مدار سنوات الأسر ومن خلال كوادر الحركة الأسيرة إقامة نظام مالي داخلي وطني عام وخاص، وكذلك استطاعوا انتزاع حقوق عديدة من السجناء تتعلق بقوائم المشتريات، خاضوا معارك عديدة بأمعائهم الخاوية في إضرابات عن الطعام سقط فيها الشهداء، وأصيب العشرات بأمراض دائمة بسبب آثار الإضراب على الجسم، ولقد مرّ موضوع الكانتينا لدى الأسرى وآلية إدخال الأموال ومقدارها بظروف وتطورات، سأحاول الوقوف عليها وعلى عرض للنظام المالي داخل السجن.

في الثمانينات كان اعتماد الأسرى على طعام السجن الذي يأتي من إدارة السجن، وكذلك مخصصات الكانتينا كانت محدودة، وكان هذا وضعاً سيئاً.

وفي التسعينات خاض الأسرى إضرابات عديدة، وأدخلوا شراء المعلبات واللحوم والخضراوات، وحصل اختراق لدى الحركة الأسيرة في هذا الجانب، وأدخلوا الأموال عن طريق أرقام الكانتينا، ثم إدخال مبالغ المال الخاصة وبدأوا عمليات الشراء.

ثم تطورت الظروف والأحوال وزادت المساهمات في إدخال أموال



الأسرى من منظمة التحرير، وأصبح هناك تنسيق داخلي بين الأسرى في عملية الشراء، وخلال العقدين الماضيين إلى اليوم ازداد عدد الأسرى، وأصبح للأسرى وزارة، وتم إدخال مبلغ شهري لكل أسير وصل إلى 400 شيكل.

هذا بالإضافة إلى تمكن الأسير بسبب تحسن راتبه من إدخال مبلغ خاص من الأهل إلى السجن عن طريق البريد أو عن طريق زيارة الأهل.

كيف استطاع الأسرى إدارة أمورهم المالية؟

بما أن الحديث عن سجن نفحة كنموذج لبقية السجون سوف أجعله أيضًا نموذجًا توضيحيًا للنظام المالي.

حسب لوائح السجن لدى الأسرى تم فرز أحد الأسرى لمنصب يسمى الكانتينا العامة، وعادة ما يكون للفصيل الثاني في السجن حسب العدد، وكل فصيل من الفصائل يعين لديه داخليًا أسيرًا يسمى مالية عامة بفصيله، يتواصل مع الأخ مسؤول مالية السجن الذي تم تعيينه وطنيًا.

بداية كل شهر هناك كشف مالي يتم تسليمه لمسؤول المالية لدى الأسرى من أحد السجنائين المسؤولين عن مشتريات الأسرى، يوجد في هذا الكشف اسم الأسير، والمبلغ المالي الذي وصل على اسمه حيث هناك مبلغ شهري يصل لكل أسير من الإخوة في السلطة الفلسطينية تم الاتفاق عليه بين مصلحة السجون ووزارة الأسرى، وهذا المبلغ بكل صدق هو الذي حسن حياة الأسرى من ناحية الطعام وأنواعه، وكذلك المواد الغذائية



والمشتريات والخضار، والفواكه واللحوم.

يقوم الأخ مسؤول المالية العامة بإبلاغ مسؤولي اللجان المالية بكل تنظيم بالأسماء والأرقام، والمبلغ الذي وصل، وبعد ذلك يجتمعون معاً ويتقدمون بقائمة مشتريات لشهر كامل من المشتريات المتنوعة حسب الحاجة، وللعلم فإن إدارة السجون قد وضعت ضوابط ومقادير لأي صنف من اللحوم أو الخضار أو الفواكه التي يستحقها الأسير، وكذلك هناك قوائم من المنوعات يحرم على الأسير شراؤها أبداً.

فمثلاً يتم شراء وجبة لحوم وكمية خضراوات وفواكه، ومعلبات متنوعة، وكذلك القهوة والشاي والسكري والأرز والعديد من مواد التنظيف والشامبو ومعجون الأسنان ويتم توزيعها على الأقسام داخل غرفة مثل الدكان تماماً، يعمل فيها أحد الأسرى، هو الذي يتولى مهمة البيع والتوزيع للأسرى وغرفهم حسب الحاجة وحسب الطلب.

في داخل القسم الواحد يتم تعيين عامل مالية فرعي، يتعامل مباشرة مع مسؤول الكانتينا الذي يدير الكانتينا داخل القسم، وتكون آلية الشراء بين الكانتينا والغرف بآلية منظمة كالتالي:

يقوم أمير أو موجه الغرفة بتسجيل طلبات كل أسير داخل غرفته، وفي الصباح يسلم هذه الورقة للأخ الأسير الذي يعمل في غرفة الكانتينا، والأخير يقوم بتزويد كل غرفة بالطلبات التي طلبوها، ويرجع الورقة مكتوباً عليها سعر كل غرض تم أخذه، وهذه الورقة تكون بمثابة فاتورة رسمية بين عامل الكانتينا والغرفة، وكل تنظيم تكون غرفته معروفة،



ويوجد عنده دفتر يوجد بداخله رصيد لكل تنظيم حيث يقوم بخصم ثمن المشتريات بعد كل عملية شراء، ويتعامل مباشرة مع مسؤول المالية الفرعي بكل تنظيم داخل القسم، وهكذا تسير الحياة المالية وفق نظام مالي دقيق يسوده التنظيم والترتيب والوضوح.

وبناءً على التوضيح السابق يقوم كل فصيل بعمل ميزانية شهرية يجمع فيها كل الأموال التي وصلت إليه، ويحدد مقدار الصرف لكل فرد من أفرادها، وكذلك لكل غرفة من غرفه.

واستطاع الأسرى من خلال آلية العمل هذه أن ينظموا حياتهم المالية بتعاون ومحبة وقوة.

اليوم هناك شركات كبرى يتعاقد معها السجن حتى تقوم بتغطية مشتريات الأسرى الشهرية، وهناك مناقصات تطرح وكميات كبيرة من الأموال يحصل عليها السجّان، وعوائد تعود لكل سجن من وراء أموال الأسرى التي يتم إدخالها إلى السجن سنوياً.

والأسير اليوم يعيش على نفقته الخاصة، بالإضافة إلى المبلغ الذي يصل من الإخوة في السلطة الفلسطينية.

وأهل الأسرى الكرام لا يمكن أن يتأخروا لحظة واحدة في إرسال الأموال لأبنائهم في السجن، حتى ولو حرموا أنفسهم، فالأسير يحتاج شهرياً مبلغ يتراوح ما بين 500 - 1000 شيكل يعيش من خلاله بحيث يقوم بشراء كل ما يلزمه.



التواصل مع الخارج

رغم إغلاق الأبواب وارتفاع الأسوار وكثرة الأسلاك الشائكة، ورغم كل محاولات السجن لتغيب هذه الشريحة من شعب فلسطين المقاوم عن الساحة المحلية، وكذلك الأخبار العالمية، وتحويلهم داخل هذه السجون إلى مجرد أرقام وصور؛ إلا أن الإرادة تصنع المعجزات، والعمل الدؤوب والمعارك التي خاضها الأسرى أدت إلى انتزاع حقوق ساعدتهم على قدرة التواصل مع الخارج عن طرق الإعلام المسموع والمقروء والمرئي وذلك:

أولاً: الإعلام المقروء والتواصل من خلاله:

بعد الإضرابات التي خاضها الأسرى تمت الموافقة على الاشتراك الشهري بالجرائد العبرية التي تصدر داخل فلسطين المحتلة مثل جريدة يديعوت أحرانوت، وجريدة معاريف، وهذه بالطبع تخدم الإعلام الصهيوني، ولكنها تحتوي على العديد من الأخبار المحلية والعالمية وكذلك جملة من المقالات والتقارير السياسية حيث تمكن الأسرى من إدخال العشرات منها يومياً إلى السجن، الإخوة في اللجان الثقافية يقومون بترجمة المقالات الهامة باستمرار، ويتم تمريرها على الإخوة في غرف السجن حتى يعرفوا الكثير من الموضوعات السياسية والاجتماعية، وكذلك بعض



المقالات والتقارير التي تتحدث عن الوضع الفلسطيني أو الحياة السياسية للكيان وغيرها من المواضيع.

وفي كل شهر يتم إدخال مئات الأعداد من صحيفة القدس الفلسطينية عن طريق زيارات الصليب الأحمر، صحيح أن هذه الإعداد تكون قد وزعت في الخارج وقد مضى أيام على توزيعها ألا أنها تشكل لدى الأسير مادة قيمة ووجبة دسمة من الأخبار الفلسطينية، خاصة في المجالات السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والرياضية، ويستطيع الأسير من خلالها متابعة مجريات الأحداث والأخبار لشهر كامل تقريباً من خلال العدد المتسلسل الذي يصل عن طريق الصليب الأحمر.

وعلى فترات متقطعة هناك منع وسماح بإدخال مجلة البيادر السياسي وجريدة كل العرب والصنارة، حسب الظروف والأحوال، وهذه تساعد أيضاً على التواصل مع الخارج ومتابعة الأخبار ومعرفة تطورات الحياة من كافة النواحي.

ثانياً: الإعلام المسموع والمرئي:

التواصل عن طريق الراديو من خلال موجات الراديو (FM) استطاع الأسرى أن يتعرفوا على الأخبار اليومية لمعظم مدن وقرى الضفة وكذلك قطاع غزة حيث من خلالها تم التقاط عشرات الإذاعات المحلية من غزة والخليل، وبيت لحم ورام الله ونابلس وغيرها، ولكن المشكلة التي واجهت ولا تزال تواجه الأسرى هي ملاحقة السجان للأسرى في منعهم



من إخراج أنتين من الغرفة لأسباب أمنية وحجج واهية عديدة حيث وصل الحال أن يغرم السجناء بعض الأسرى مئات الشواكل، وكذلك إغلاق الغرفة بسبب إخراج الأنتين إلا أن الإصرار مستمر والمحاولات تتكرر، ويعمل الأسرى على إخراج أنتينات والاستماع لمئات البرامج السياسية والثقافية والتعليمية والدينية والرياضية دون توقف.

أما الإعلام المرئي (التلفزيون) فبعد معارك الأمعاء الخاوية، وسقوط الشهداء؛ تم إدخال التلفاز إلى السجون، ولكن للأسف لا زال التحكم به بيد السجناء، فالقنوات المسموحة هي التي يفرضها السجناء، هذا بالإضافة إلى أن أي خلاف بين السجناء والأسرى يتم سحب التلفاز من الغرف، أو يقوم السجناء بقطع القنوات التلفزيونية من خلال جهاز التحكم الموجود لديه.

رغم ذلك فإن السجناء قد أجبر الأسرى على مشاهدة القنوات الصهيونية الثلاث: الأولى والثانية والعاشرة، وكذلك سمح بقناة رياضية واحدة، وقناة العربية كمحطة إخبارية، بالإضافة إلى محطة برامج وأفلام، والمهم هنا أن السجناء لا يستطيع أن يطلع على الأخبار العالمية من خلال إعلام محايد، بل يتابع من خلال الإعلام الصهيوني أو من خلال قناة عربية واحدة كالعربية، فلا يستطيع المتابعة والاطلاع من خلال مئات الفضائيات الموجودة على التلفاز كما هو الحال في الخارج، بل يتابع من خلال هذه النوافذ الضيقة فقط.



رغم هذا التضييق إلا أن الأسرى يتابعون كل جديد من خلال المتاح من هذه القنوات للأحداث والمجريات عالميًا ومحليًا رغم أن المادة الإعلامية المبنوثة سواء كانت إخبارية أو وثائقية أو درامية... إلخ؛ لها التأثير الكبير على صياغة شخصية المشاهد والتأثير في آرائه وثقافته، إلا أن الأسرى يحاولون السؤال والمتابعة والتحليل والاطّلاع من خلال كافة القنوات المتاحة.

هناك محاولات مستمرة من الأسرى ومطالبات دائمة لإدخال تغيير على قنوات التلفاز، كاستبدال القنوات الصهيونية واختيار عربية هامة، وكذلك هناك مطالبة بزيادة عددها حتى تحقق الاستفادة في كافة المجالات.



لجان الطعام والشراب لدى الأسرى

لابد هنا من التذكير بما تحدثنا عنه في الباب الأول عن طبيعة الغرفة التي تجمع بداخلها عشرة أسرى، وعن حرمان الخصوصية، ولا يمكن أن تكون هناك مقارنة بين حياة الأسير داخل الغرفة بحال من يعيش في بيته وعند والديه، أو عند زوجته وأهله.

حتى الطعام لا يستطيع الأسير أن يأكل متى يشاء وما يشاء لوحده، بل هناك نظام وقواعد وتفاهات بين الأسرى، تتعلق بالطعام وإعداداته ونوعيته، وهذا سببه الحرمان وقلة الكميات والنوعيات في الطعام والشراب.

داخل كل غرفة يتم تعيين لجنة طعام، هذه اللجنة هي المسؤولة عن إعداد الوجبات الرئيسية للأسرى وهي وجبتا الإفطار والعشاء حيث الإفطار الساعة الحادية عشرة، والعشاء الساعة السابعة مساءً، وتحضر إدارة السجن يوميًا وجبات الإفطار المتمثلة باللبن أو البيض والمربى أو الجبنة الصفراء، وتحضر أحيانًا عبوات من الحمص بحيث يكون حصص كل غرفة علبة ونصف لبنه يوميًا، أو عشر قطع جبنة أو عشر بيضات.

وهنا لا يستطيع الأسير داخل الغرفة أن يأخذ علبة اللبن أو البيض ويأكل لوحده متى شاء، بل يترك هذا الطعام للأخ المسؤول عند إعداد



وجبة الفطور، فيقوم باستعمالها كيف يرى، وغالبًا ما يكون من الإخوة الذين يجيدون إعداد الطعام، وكذلك يعد مع الأصناف الأخرى، وهذا النظام يخلق داخل الغرفة نوعًا من التفاهم والاتفاق، فلا يقدم أحد على أخذ شيء من هذه الأصناف؛ لأنه يعلم أن هذا حق جماعي لكل الإخوة داخل الغرفة، فلا يتناول شيئًا منها إلا عند إعداد الوجبة كاملة ويدعى إليها الجميع.

وكذلك الحال بالنسبة للخضراوات ووجبة العشاء حيث تحضر إدارة السجن كميات من الخضراوات المسموحة كالبنندورة، الخيار، البصل، البطاطا، الباذنجان والفلفل الأخضر، وهذه تقريبًا الأصناف المعتمدة حيث توضع في سلة داخل الغرفة، وتكون مسؤولية الأخ مسؤول إعداد الطعام، ويتصرف فيها طيلة أيام الأسبوع حسب الحاجة، ويستعمل منها بمقادير مدروسة لكل وجبة سواء فطور أو عشاء حتى تكفي لسبعة أيام.

وهنا أيضًا لا توجد خصوصية في الاستعمال، بل لابد من الاستئذان من الأخ المسؤول عن إعداد الطعام لتناول أي حبة من الخضراوات، فلو قام كل أسير بأخذ حبة بندورة أو خيار وأكلها لوحده، فيأتي الأخ المسؤول عن الطعام نهاية اليوم ليعد وجبة من السلطة، فلا يجد لديه الكمية المطلوبة لإعداد وجبة جماعية.

وخلال الأسبوع تحضر إدارة السجن يوم الاثنين لكل أسير قطعة دجاج (تسمى الثمن) نصف الفخدة، وكذلك تحضر يوم الخميس شريحة حبش لكل أسير، وكذلك شريحة لحم يوم السبت.



هذه الأصناف بكميتها ونوعها لا تكفي الوجبة الكاملة منها لأسير واحد فقط، وكلها تأتي مثلجة وغير طازجة.

لذلك يتم التعامل معها من قبل الأخ مسؤول الطعام بحيث يصنع منها وجبة كاملة للغرفة، فمثلاً قطع الدجاج الصغيرة يضيف إليها بعض شرائح البطاطا والبصل والباذنجان ويصنع منها وجبة مقلوبة بالأرز.

وكذلك شريحة اللحم يحاول أن يصنع منها طبخة لحم مع أرز قدر المستطاع.

وكذلك الحبش يضيف إليه كميات كبيرة من البصل والطحينة والليمون والبطاطا ليصنع منه صينية حبش، وهكذا يتعامل الأسرى مع الأصناف القليلة التي تأتي.

ولكن بعد تحسن الوضع المالي استطاع الأسرى أن يشتروا من أموالهم الخاصة ومعونة السلطة الفلسطينية كميات من الخضراوات والفواكه، وكذلك كميات من اللحوم كالدجاج والسمك والحبش عن طريق الكانتينا، وبفضل الله طرأ تحسن كبير على الكميات التي يشتريها الأسرى، رغم أن الجودة سيئة جداً إلا أن الكمية قد تحسنت والوجبات أصبحت مشبعة أكثر من السابق.

وكل هذه الأمور المتعلقة بالطعام وإعداده تسير وفق نظام وترتيب وتعاون بين الأسرى، فاستطاعوا من خلال الإمكانيات القليلة والأصناف المتواضعة أن يصنعوا طعامهم وأن يأكلوا جميعهم في إناء واحد رغم الحرمان والتضييق، فرضوا بالقليل وعاشوا بقسمة الله لهم.





الرياضة وأهميتها في حياة الأسير

من إنجازات الأسرى التي حققوها ممارسة الرياضة لمدة ساعة يوميًا حيث يسمح للأسير أن يخرج إلى الساحة ويمارس الرياضة في ساعة مبكرة، فهي تأتي بعد العدد الصباحي أي ما بين الساعة السادسة والسابعة صباحًا؛ لذلك تحتاج إلى مجاهدة وتعب حتى يستطيع الأسير أن يقوم من نومه للخروج إليها.

71 تعتبر ساعة الرياضة تنفّسًا للأسير، حيث يتمكن فيه من الخروج من غرفته المغلقة من مساء اليوم السابق، يخرج من الهواء الملوث والحر غير الصحي داخل الغرفة، فبالنسبة لمئات الأسرى تعتبر هذه الساعة من أهم الساعات اليومية التي تحقق لهم الراحة النفسية والجسدية.

لقد حرص الأسرى على ممارسة الرياضة بكافة أشكالها المتاحة والمسموحة رغم ضيق المكان وتضييق السجان حيث يسمح للأسير بممارسة الركض داخل الساحة، وممارسة التمارين الرياضية، ولا يسمح للأسير بممارسة أي نوع من أنواع الرياضات العنيفة كالكاراتيه أو الجيمباز أو غيرها، ويمنع الأسير من ممارسة الرياضة على أي نوع من الأجهزة الرياضية كماكينات الحديد والعضلات ورفع الأثقال والأوزان، وكل هذه الأجهزة الرياضية ممنوعة، ولا يسمح بإدخالها إلى السجن.



عمل الأسرى على تحدي السجان طيلة الوقت عن طريق استخدام وسائل بديلة للاهتمام بأجسادهم وتنمية عضلاتهم؛ لذلك قام الأسرى بابتكار أدوات رياضية لرفع الأثقال مثل استخدام عصا المكينة أو القشاة رافعة أثقال عن طريق ربط مجموعة من عبوات الكولا والعصير البلاستيكية وملئها بالماء وتحويلها إلى أوزان يتم رفعها بدل الأثقال الحديدية.

وقام الأسرى بتحويل السرير الحديدي إلى متوازٍ عن طريق ممارسة تمارين الضغط عليه، كما استفاد الأسرى من خبرة الإخوة الأسرى الذين دخلوا السجن ولديهم خبرات رياضية أو قاموا بدراسة تخصص الرياضة، وحصلوا على شهادات في ذلك، أو من اللاعبين الذين كانوا ينتمون إلى نوادٍ رياضية، كل هؤلاء يقدمون النصيحة والإرشاد والخبرة لإخوانهم الأسرى.

72

استطاع المئات من الأسرى أن يحافظوا على أجساد قوية وتنمية أجسام رياضية رغم قلة الإمكانيات.

المعنى الصحي لممارسة الرياضة:

من المعلوم أن الساعات الطويلة التي يجبر الأسير على قضائها داخل الغرفة تسبب له أمراضاً وآلاماً عديدة خاصة آلام المفاصل وآلام الظهر، والضغط والسكر والضييق النفسي، لذلك خروج الأسير لممارسة الرياضة يحقق له الراحة النفسية والطمأنينة والسرور والسعادة طيلة اليوم، هذا بالإضافة إلى محافظة الأسير على مرونة مفاصله، وسلامة الجهاز الدوري



والتنفسي والشرابين وسلامة العمود الفقري، وعدم إصابته بشد العضلات لكثرة الجلوس، فالرياضة وممارستها بمثابة روح الأسير لما فيها من خير يعود على الأسير حتى يبقى محافظاً على صحته جيدة وقوية.

المعنى الإيماني العميق للرياضة:

الأسير المؤمن بالله يثق بوعد الله ﷻ له، ويعلم أن الأيام دول، والدهر قلاب فينظر إلى قول رسول الله ﷺ: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف"، فيعلم جيداً أن المؤمن يجب أن يكون قوياً حتى في أضييق الأماكن وأصعبها، ولا بد له أن يستغل كل فرصة ليقوي هذا الجسد، ولا يترك الكسل والذل واليأس وكثرة الراحة والنوم الطويل تنهك هذا الجسد، فيصير جثة.

معنى التحدي في الرياضة أن السجان لا يتمنى أن يرى الأسير يخرج إلى ساحة السجن لممارسة الرياضة، بل يتمنى أن يراك تموت ولا تستيقظ من نومك، ولا تخرج من غرفتك إلا محمولاً إلى عيادة السجن أو جثة إلى بيتك، فهناك معانٍ عظيمة تعبر عن العزة والكرامة والقوة، عندما تستيقظ مبكراً، وترتدي الحذاء الرياضي وتخرج، كل خطوة تخطوها نحو الساحة تكون بمثابة سهم قاتل لعدوك الذي يتربص بك ولا يريد لك أن تكون هنا، فيحسدك على هذا الحال من التحدي والكبرياء.

وخروج الأسير إلى ممارسة الرياضة أو المشي في الساحة مع ساعات الصباح والمساء لا يقتصر على محافظة الأسير على صحته، بل هناك معانٍ



روحية وإيمانية، وتحدي وإصرار على مواجهة الحياة رغم القيد ورغم الأذى والتضييق والأسوار والأسلاك.

فهي رياضة تحمل معاني الصحة والعزة والكرامة والتحدي؛ لذلك هناك إصرار لدى الإخوة العاملين في كواد الحركة الأسيرة خلال البرامج الداخلية على الحث والتشجيع الدائم للإخوة الأسرى على ممارسة الرياضة يوميًا، وكذلك الحث على الخروج اليومي إلى الساحات من أجل المشي لساعات حتى وصل الأمر إلى إجبار الأسير على الخروج إلى الساحة ولو مرة واحدة على الأقل يوميًا.

والحمد لله معظم الأسرى قد عملوا على هذه المعاني جيدًا، فتجد الجميع يتسابق للخروج إلى المشي في الساحة، وكذلك ممارسة الرياضة.

وللعلم بأن السجن عند حدوث أي مشاكل بينه وبين الأسرى تكون هناك عقوبات، وأول هذه العقوبات حرمان الأسير من الخروج إلى الساحة أو حرمانه من ممارسة الرياضة.



المواجهات مع إدارة السجون

رغم كل ما تقدم ذكره من مقدرة الأسرى على احتياجاتهم الداخلية وتنظيمها وفق أساس وقواعد تنسجم مع واقع السجن من قوانين وأنظمة وضعها السجان، وكذلك التفاهات التي توصل إليها قادة الحركة الأسيرة على مدار السنوات الماضية إلى اليوم؛ رغم هذا كله إلا أن الأمور كثيرًا ما تخرج عن السيطرة بسبب سياسة إدارة السجون المبرمجة والموجهة من الحكومة، تجعل بين فترة وأخرى حدوث خلافات تؤدي إلى سوء العلاقة بين إدارة السجن والأسرى وممثلهم، وتتفاوت درجات وخطورة هذا التوتر حسب الحالة أو الظرف الذي أدى إلى هذا التوتر، وللمواجهة والتوتر داخل السجون أسباب عديدة أهمها:

(1) مماثلة السجنان في الاستجابة للمطالب الحياتية اليومية للأسرى:

حيث هناك طلبات يومية تقدم لمنداء الأقسام ومدير السجن عن طريق الإخوة ممثلي الأقسام، وممثل السجن حول حاجة الغرف، مثلاً تعليمات معينة أو أغراض تنقص الأسرى مثل: انقطاع الماء أو تعطل دورة المياه ودورة الصرف الصحي، وحاجة الغرف لبعض الكهرباء مثل كمام تسخين الماء، أو بلاطة الطبخ، وعدم تلبية الإدارة إلى مثل هذه الحاجيات الصغيرة يؤدي غالباً إلى توتر لدى الأسرى؛ لأن مثل هذه الحقوق بسيطة وحياتية.



(2) ملاحظة إدارة السجن في تقديم العلاج لبعض الأسرى:

تماطل إدارة السجن في تقديم العلاج لبعض الأسرى الذين يعانون من أمراض مزمنة يومية، أو عدم تعاطيها بجدية مع الإخوة الذين يطرأ على صحتهم تدهور بشكل مفاجئ خاصة أمراض الأسنان، وكذلك كثرة معاناة الإخوة الأسرى كبار السن من أمراض عديدة، وزيادة الأوجاع لديهم بشكل يومي، فعدم الاستجابة يؤدي إلى توتر لدى الأسرى ووقوفهم بجانب إخوانهم والاحتجاج بطرق عديدة كما سنرى لاحقاً في باب طرق الاحتجاج.

(3) مضايقة أهالي الأسرى خلال الزيارة:

76

وقد ينتج التوتر لأسباب تتعلق بزيارة الأهل، فالآباء والأمهات والزوجات والإخوة والأخوات الذين يصلون الليل مع النهار حتى يأتوا لزيارة أبنائهم يشكلون خطراً أخطر لدى الأسرى، فأى اعتداء عليهم أو مساس بكرامتهم، أو معاملتهم بشكل سيء ومهين، يؤدي إلى حدوث توتر عام وحالة استنفار داخل أوساط الأسرى قد تتحول إلى مواجهة، وستحدث عن نماذج لهذا النوع من التوتر خلال تفصيل الحالات.

(4) اعتداء السجناء على الأسرى:

كذلك من أسباب التوتر حدوث مواجهة أو اعتداء السجناء على أحد الأسرى، أو على أفراد غرفة معينة خلال الاقتحامات الليلية المفاجئة لغرف الأسرى من قبل الوحدات الخاصة، إذا ما حصل مثل هذا التطور



فإن الأمر سرعان ما يتحول إلى حالة من الاستنفار والتوتر تسود كافة أقسام السجن الواحد.

(5) رفض الأسرى لقرارات إدارة مصلحة السجون الجائرة:

وقد ينشأ التوتر نتيجة لرفض الأسرى بعض القرارات الجائرة والطاغية التي تتخذها إدارة السجون من أجل التضييق على الأسرى مثل قيامها بنقل قادة التنظيمات وممثليهم من سجن إلى آخر، أو إقدامها على سحب إنجازات بشكل مفاجئ، كمنع مشتريات الكانتينا، أو عدم إدخال الأهل للزيارة، أو قطع الكهرباء والماء، أو حدوث مشاكل مفاجئة بين سجان وأسير خلال تواجده في أحد المرافق داخل السجن، يؤدي هذا إلى توتر سريع داخل السجن.

(6) استشهاد أحد الأسرى داخل السجن بشكل مفاجئ:

من أسباب المواجهات بين الأسرى والسجان استشهاد أحد الأسرى داخل السجن بشكل مفاجئ خاصة الأسرى المرضى الذين يعمل الأسرى باستمرار على المطالبة بالإفراج عنهم، ويكون الأسرى على يقين بأن الإهمال الطبي هو السبب بالإضافة إلى قهر السجن لهذا الأسير، والذي يؤدي إلى مرضه، واستشهاده، وستحدث عن نموذج خلال البحث القادم.

وهناك مجموعة كبيرة من الأسباب التي تحصل بسبب الاحتكاك المباشر مع السجان قد تتطور إلى مواجهة واشتباك مع السجانين.





وسائل وأسلحة الأسرى في مواجهة السجن

كل موقف من المواقف السابقة والأسباب التي تؤدي إلى المواجهة مع السجن يعد لها الأسرى سلاحًا خاصًا، وطرقًا ووسائل يتصدون من خلالها لإدارة السجن وتضييقها وهمجيتها، من خلال قادة وكوادر الحركة الأسيرة على مدار عقود وهناك وسائل وخطوات وأسلحة استطاعوا من خلالها الصمود والمواجهة، وفي كثير من الأحيان يتحكم بردود فعل الأسرى وخطواتهم الاحتجاجية طبيعة الاعتداء أو الهجمة أو الحدث الذي يؤدي إلى المواجهة، ومن أهم هذه الوسائل:

(1) إرجاع وجبات الطعام:

مثل وجبات الإفطار والعشاء حيث يتم إبلاغ إدارة السجن بإرجاع الطعام، وعدم استقباله يومًا واحدًا أو يومين، حسب الحالة، والسؤال هنا من أجل التوضيح، لماذا ينزعج السجن من إرجاع الوجبات؟ إن هذا السلاح من أسلحة الأسرى له فعالية من الناحية القانونية، وكذلك من ناحية استقرار أي سجن وتحقيق الهدوء فيه حيث تحرص إدارة كل سجن على إبقاء السجن هادئًا دون مشاكل، وعملية إرجاع الوجبات تعني وجود مشاكل في هذا السجن، وهذا يؤدي إلى تدخل إدارة مصلحة السجون التابعة للمنطقة التي يوجد فيها السجن المعني، وبالتالي هذا يؤثر



على مدير السجن وإدارته، من ناحية التقرير والتقييم الخاص بإدارة كل سجن، وكذلك إرجاع الوجبات يعني حالة استنفار وقطع كافة الإجازات للضباط والشرطة؛ لذلك يعتمد الأسرى أحياناً إلى إرجاع الوجبات في آخر أيام الأسبوع كأيام الخميس والجمعة والسبت؛ لأن مدير السجن ومعظم الضباط يستمر دوامهم طيلة الأسبوع حتى يوم الخميس، والإجازة تكون نهاية الأسبوع؛ لذلك بمجرد إبلاغ ممثلي الأسرى لإدارة السجن بإرجاع الوجبات تحدث حركة سريعة لإدارة السجن بالمطالبة بالجلوس مع ممثلي الأسرى من أجل حل الخلافات وتلبية المطالب، وغالباً إذا كان الخلاف على أمور حياتية بسيطة يتم تليتها.

(2) إغلاق الأقسام:

ومن أسلحة الأسرى وطرق احتجاجهم إغلاق الأقسام وإدخال ممثل القسم للإخوة العاملين في المرافق العامة إلى غرفهم، وهذه خطوة متقدمة وخطيرة جداً بالنسبة للسجان؛ لأن مثل هذه الحالة من الاحتجاج تعني أن إدارة السجن من شرطة وضباط هم الذين سيتولون إدارة كل الأمور الحياتية للأسرى داخل القسم، مثل توزيع الطعام والماء، وتلبية طلبات الأسرى بين الغرف، وغسيل الملابس، وإدخال الكانتينا، وكذلك متابعة الطلبات الخاصة من الأسرى لمسؤولي الإدارة، ولأن الذين يتولون إدارة الحياة طيلة ساعات النهار هم الإخوة الأسرى العاملين وممثل القسم، فدخلهم إلى غرفهم يعني تحول السجانين إلى عمال طيلة النهار، وهذا لا يمكن أبداً؛ لأن القسم يعمل فيه ثلاثة أفراد شرطة مهمتهم استلام الطلبات ومراقبة



كاميرات الرقابة، وفتح وإغلاق الأبواب كهربائياً، والتواصل المباشر مع الأخ ممثل القسم والأسرى العاملين في كافة أمور الحياة اليومية، وإدارة حياة الأسرى داخل القسم الواحد، بحاجة إلى أعداد إضافية من الشرطة، وهذا لا يمكن توفيره، فتؤدي هذه الخطوة من الخطوات الاحتجاجية للأسرى إلى حالة توتر وغلbian وعدم استقرار، وضغط كبير بين السجنائين من شرطة وضباط ومسؤولين.

(3) الطرق على الأبواب والتكبير:

ومن الخطوات التي تؤخذ على الفور وخلال لحظة الحدث الطرق على الأبواب والتكبير، بالطبع هذه خطوات متقدمة جداً تعني أن الأسرى أصبحوا في مواجهة محتملة مع السجنان؛ لأنها غالباً ما تسبق الاستنفار والتصعيد.

فإذا ما أعتدي على أحد الأسرى أو أحد الإخوة الممثلين للأسرى، أو استشهاد أحد الأسرى، أو اقتحام غرفة بشكل مفاجئ وحدوث مواجهات مع الأسرى فيها، هذا كله يؤدي إلى قيام كافة الأسرى في القسم الواحد، وأحياناً في كافة أقسام السجن، بالطرق على الأبواب والتكبير، وفي مثل هذه الحالة مباشرة تقوم إدارة السجن بإطلاق صفارة الإنذار وتستدعي قوات إضافية من مصلحة السجون المركزية ومن السجون القريبة حتى تحد من الموقف وتسيطر على الأسرى، وهذا خيار احترازي لدى إدارة السجن.



وأحياناً عند حدوث هذا التطور تسارع الإدارة إلى استدعاء ممثلي الأسرى والجلوس معهم، وتطلب منهم بكافة الوسائل والطرق أن يعملوا على تهدئة الغرف والأقسام حتى تستطيع أن تحل الإشكاليات وأسبابها، وهنا يأتي دور الإخوة المسؤولين في كيفية استغلال هذه الأسلحة في تحقيق الإنجازات والمطالب مقابل إعادة السجون إلى حالة الاستقرار المعروفة، وبفضل الله هناك العشرات من الإخوة العاملين في هذا القطاع من الإخوة الأسرى الذين كان لهم بصمات واضحة ولامعة في كيفية إدارة الصراع، واستغلال كل موقف في تحقيق أكبر قدر ممكن من الإنجازات والمطالب لإخوانهم الأسرى.

(4) ارتداء ملابس السجن ساعة العدد:

ارتداء ملابس السجن ساعة العدد والجلوس على شكل حلقات داخل الغرف والساحات، أحياناً يعبر الأسرى عن رفضهم لقرارات معينة، أو عن بداية خطوتهم التصعيدية عن طريق ارتداء اللباس البني والأحذية ساعة دخول العدد، فيتفاجأ السجناء بأن كافة الأسرى يرتدون هذا اللباس مثلاً بعد الفجر، هذا التصرف يؤدي إلى مسارعة الضابط المسؤول إلى إعلان حالة الطوارئ، أو قيامه باستدعاء الضباط المسؤولين؛ لأن هناك حالة استعداد من قبل الأسرى، هذه الخطوة تكون بمثابة إعلان حرب (أي أن هناك تطوراً قد يحصل في أي لحظة)، ويتبع هذه الخطوة غالباً الجلوس على شكل حلقة تعليم بساعة العدد، عندها يتأكد السجناء أن هناك تعليمات يتم تعميمها على الأسرى داخل كافة الغرف، وللتنويه هذه



الخطوات يتم اتخاذها على المستوى الوطني من التمثيل للأسرى، وهي ذات تأثير كبير جدًا على السجنان وأمنه داخل السجن.

وأحيانًا يفاجئ الأسرى سجانهم بارتدائهم هذا اللباس ساعة الخروج إلى الساحة العامة، بالطبع هذه الحالة أخطر من الحالة الأولى، لا سيما أنها خارج الغرف أي في الساحات، والساحات تعني وجود مئات الأسرى خارج الغرف المغلقة حيث يصعب السيطرة عليهم، وبمجرد رؤية السجنان للأسرى يخرجون للساحة بهذه الصورة يسارع إلى الإبلاغ عن هذا التطور الخطير الذي يحمل رسالة قوية لإدارة السجن، وكما ذكرت هناك التزام متفق عليه بين الأسرى على الالتزام الكامل بهذه الخطوة كوسيلة من وسائل التعبير عن الرفض لسياسة السجنان على سلوك معين أو اعتداء معين على أي من حقوقهم.

(5) العصيان وحل التنظيمات:

تعتبر هذه الخطوة متقدمة جدًا وذات تأثير على حالة الاستقرار داخل السجن حيث يتم إبلاغ إدارة السجن بأن كل أسير يمثل نفسه ولا يوجد هناك تنظيمات أو هيئات وطنية تمثل الأسرى داخل الغرف والأقسام، وخلال هذه الخطوة يكون هناك خطوات متفق عليها داخليًا يقوم خلالها عشرات الأسرى بإثارة حالات من الفوضى العامة والمطالبة بالحقوق اليومية مثل وجبات الطعام والشراب والخروج للساحة، وكذلك المطالبة برودود على طلبات تم تقديمها قديمًا، أو التقدم بطلبات جديدة، تسود الفوضى خلال هذه الخطوة حيث لا يوجد ممثل ولا أعمال ولا يستطيع



السجان إدارة أي قسم من الأقسام، وتسود فوضى عامة داخل كافة أقسام السجن، وهذه الخطوة تكشف ضعف الإدارة تمامًا أمام الأسرى؛ لأن الحياة الداخلية للأسرى تمت صياغتها على درجات عالية من التنظيم والترتيب والإدارة، يقوم بها مجموعة من الأسرى العاملين، ولكن عندما يترك هؤلاء الإخوة مواقعهم، ويترك الأمر هكذا بدون مسؤولين، ويقوم كل أسير بتمثيل نفسه والمطالبة بحقوقه، يؤدي هذا إلى حدوث فوضى عارمة لا يستطيع السجان التعامل معها بأي حال من الأحوال، وليس له سبيل إلا أن يركع ويترجى الإخوة المسؤولين في قيادة وحركة الأسرى من أجل إعادة الأمور إلى نصابها كما كانت عليه.

(6) حرق غرفة واحدة أو عدة غرف:

84

وهذه من الخطوات الحديثة من الاحتجاج لدى الأسرى، وهذه الخطوة اتخذها الأسرى قرارًا وطنيًا فيها بعد تكرار دخول واقتحام وحدة «المتسدا» على غرف الأسرى، وفي الفترة الأخيرة من تكرار دخول هذه الوحدة إلى أي غرفة دون سبب أو مبرر، يجب على الأسرى القيام بإحراق هذه الغرفة بكل ما فيها من أغراض خاصة وعامة، كتعبير واضح وصريح من قبل الأسرى عن الهيمنة واستعراض هذه القوة لسلاحتها وعتادها على الأسرى وهم في حالة ضعف، وهذا التصرف يكون بمثابة رسالة قوية لإدارة السجن وهذه الوحدة.

وآخر الخطوات التي تمت كانت في سجن نفحة حين تم حرق غرفة في قسم (13)، عام 2015م، وكذلك تم حرق غرفة أخرى في قسم



(6) عام 2016م احتجاجًا على اقتحام وحدة «المتسادا» لغرف الأسرى دون أي مبرر، وهذا التصرف يعني أن الغرفة التي تدخلها هذه الوحدة لا تُسكن، أي لا يدخلها الأسرى بعد هذا الاقتحام، ولقد أزعجت هذه الخطوة إدارة السجن كثيرًا؛ لأن حرق الغرفة بحاجة إلى إحضار مطافئ، وتصاعد الدخان داخل القسم يحتاج إلى إجلاء عشرات الأسرى إلى أماكن أخرى، وكذلك يصاحب هذا الحرق حالة من الاستنفار القصوى داخل أوساط الأسرى والسجانين، كما حصل خلال حرق الغرف في قسم (13) وقسم (6).

(7) اتفاق الأسرى بشكل جماعي على مقاطعة أحد السجانين:

ومثل هذه الخطوة تتخذ ضد من يتعمد الإساءة إلى الأسرى، أو من يقوم بتطبيق قوانين السجن حرفيًا، فلا يراعي أي حالة أو طلب معين للأسرى، وكذلك يقدم على التنكيد على الأسرى خلال فتح الأبواب، أو الفحص اليومي، أو التفتيش خلال الخروج للساحة، وكثيرًا ما يأتي للدوام عند الأسرى داخل السجن سجانون حاقدون يكون هدفهم الإساءة والأذى للأسرى، وعندما يقوم الأسرى بفرض مقاطعة عامة عليه حتى يشعر بالعزلة التامة، وعندما لا يعامله أي أسير ولا يتحدث إليه حتى لا يطلب منه أي طلب، ويعمل الأسرى على مقاطعته حتى يضيق به المكان، ويخشى على نفسه، وعندها ليس له خيار إلا أن يعود إلى رشده ويعامل الأسرى جيدًا ويتعد عن كل ما يضيق عليهم، أو يتقدم بالنقل من السجن إلى سجن آخر؛ لأنه لا يستطيع أن يبقى خائفًا على نفسه، أو لشعوره



بالمهانة والعزلة المختلفة تماما عن بقية السجانين؛ لأنهم يعملون معه وغير مقاطعين مثله.

(8) السلاح الاستراتيجي (الإضراب المفتوح عن الطعام):

تعد هذه المقدمة آخر ما يملك الأسرى داخل السجن، وهي بمعناها العميق أن يضحي الأسير بلحمه ودمه علاوة على سنين عمره التي قضائها خلف القضبان، فلا يقدم الأسرى على هذه الخطوة الاستراتيجية إلا بعد دراسة وتخطيط، وإعداد متقن، وبعد استنفاد كافة الوسائل السابقة من أجل تحصيل الحقوق المشروعة لإنسان سلب حريته ولا يزال يعذب فوق أرضه المسلوقة.

86

ماذا يعني الإضراب المفتوح عن الطعام؟

الإضراب المفتوح عن الطعام يعني أن الأسير أو مجموع الأسرى يتفقون على الإضراب من أجل تحقيق مطالب ضرورية، فيقومون بالتخلي عن كافة حقوقهم التي حصلوا عليها بدمائهم ولحومهم طيلة سنين الأسر، وذلك بإخلاء غرفتهم من كافة الإنجازات مثل الكانتينا بما فيه من مأكولات ومشروبات، وسخان الماء، والبلاطة الكهربائية التي يعدون عليها طعامهم، والراديو والتلفاز والملابس التي أدخلوها من أهلهم، وحتى المخدة التي ينام عليها والحرام والدفترو القلم والكتب، وكل إنجاز استطاع تحقيقه يقوم بإخراجه من الغرفة كإعلان لإدارة السجن بأن هناك معركة تحدٍ قد انطلقت بين الأسرى والسجان، قد عاد فيها الأسير لليوم الأول من اعتقاله، فهذا هو قد عاد إلى حياة زنزانة الاعتقال الأولى، ولن



يتراجع إلا بعد أن يتم الاستجابة لكافة مطالبه.

لقد خاضت الحركة الأسيرة عشرات الإضرابات الشهيرة على مدار الصراع، واستطاع خلالها الأسرى تحقيق عشرات المطالب لحياتهم العامة، أهمها إدخال الأدوات الكهربائية والتعليم الجامعي والكاثينما والماء الساخن والفرشاة والأسرة، وإخراج المعزولين من الزنازين الانفرادية إلى السجون الجماعية وإعادة زيارة أهل غزة للأسرى غزة.

التحضير للإضراب:

(1) المحاضرات: يتم التحضير للإضراب قبل شهرين على الأقل عن طريق إعطاء عشرات المحاضرات حول آلية التعامل مع الإضراب من حيث تناول الماء بكميات كبيرة، وتناول الملح، كيفية الحركة والمشى وكيفية المحافظة على الطاقة وعدم هدرها بكثرة الحركة، وكذلك كيفية فك الإضراب من حيث تناول السوائل مثل الطعام العادي، وكل ما يتعلق صحياً وعملياً بهذه المعركة يتم تناوله من قبل الإخوة وأصحاب الخبرة للأسرى الجدد الذين لم يخوضوا الإضراب سابقاً.

(2) التوقيت: غالباً ما يختار الأسرى شهر (4) أو شهر (5) لخوض هذه المعركة لأسباب عديدة أهمها: أن الجو يكون لطيفاً خلال هذين الشهرين؛ لأن الإضراب خلال الشتاء لا يمكن بسبب احتياج الأسير لطاقة كبيرة لشدة البرد، وكذلك في الصيف الحار كصيف أغسطس يحتاج الأسير لكميات كبيرة من الماء، والأمر الأهم الآخر في اختيار هذين الشهرين أن أعياد اليهود تتركز في شهر أبريل ومايو، ومن المعلوم لدى الأسرى أن



ضباط السجن والشرطة ينتظرون هذين الشهرين من كل عام حتى يحصلوا على العطلة السنوية للسفر مع عائلاتهم إلى المناطق السياحية الداخلية والخارجية؛ لذلك ستكون هذ فرصة من أجل الضغط عليهم وحرمانهم من هذه الإجازات.

(3) الربط مع الخارج: تعمل قيادة الإضراب على التواصل مع المؤسسات الخارجية في الوطن وجمعيات حقوقية ووسائل إعلام، ووزارة الأسرى ونادي الأسير وشخصيات سياسية وأصحاب الخبرة من الإخوة والأسرى والمحررين حيث يتم إبلاغهم بالخطوة من أجل بدء الترويج وتهيئة الشارع حتى يخرج الناس ويتضامنوا مع الأسرى في مسيرات شعبية وإضرابات تضامنية ونصب خيام التضامن عند مقرات الصليب الأحمر والضغط على الجهات الرسمية على السجن بكافة الوسائل والطرق.

ساعة الصفر:

يتم الاتفاق على بداية الإضراب مسبقاً، ويؤجل الإعلان حتى اللحظة الأخيرة؛ لأن إدارة السجن تعتمد إلى إجراءات عملية واسعة في أوساط قيادة الحركة الأسيرة بمجرد شعورها ببدء تحركات الأسرى، وفي ليلة الإضراب يتقدم كل سجن عن طريق ممثلين بورقة الإضراب التي تحمل أسماء الأسرى المضربين رسمياً.

صباح اليوم الأول: خلال ساعات فجر اليوم الأول للإضراب ومع وقت العدد الصباحي يقوم الأسرى بإخراج كل ما هو مأكول ومشروب خارج باب الغرفة، وكذلك يتم إخراج كل المقتنيات الخاصة والعامة ولا



يبقى مع الأسير إلا لباسه الذي يرتديه وغالبا ما يكون لباس السجن.

في هذه الأثناء تبدأ معركة التحدي والصمود والإرادة حيث يقاطع الأسرى الوقوف على العدد فلا يقف أحد على العدد، وكذلك فحص الغرف ويرفض الأسير أن يتحرك من مكانه الذي يجلس فيه.

ردود الفعل من قبل إدارة السجن على الإضراب عن الطعام:

أمام هذا السلاح وأمام هذه الخطوة الخطيرة إذا ما دخلت حيز التنفيذ فإن خيارات الإدارة محدودة، أهمها:

(1) إجراء تنقلات واسعة لقيادة الأسرى أو لمئات الأسرى قبل وخلال الإضراب.

(2) مهاجمة غرف الأسرى صباح الإضراب ومحاولة استفزازهم من أجل تحويل الإضراب إلى مواجهة واستفزاز بدل الإضراب (أي إفشال الإضراب)، وبالطبع هذه الخطوة يكون الأسرى قد درسوها خلال جلسات ما قبل الإضراب، والتأكيد للأسرى أن الإضراب يعني ضبط النفس مقابل كل محاولة استفزاز من قبل إدارة السجن؛ لأن المعركة الآن معركة صمود ومواجهة.

(3) محاولة إفشال الخطوة عن طريق إلقاء منشورات باللغة العربية والعبرية من قبل الإدارة تخبر فيها الأسير بأنك تقتل نفسك، وهذا الإضراب سيؤدي إلى القضاء على خلايا هامة في جسمك، وسوف يتساقط



شعرك، وستصبح غير قادر على الإنجاب، وستصاب بعشرات الأمراض المزمنة وسوف تموت.

(4) تسعى لتفكيك وحدة الصف من خلال إجراء مفاوضات جانبية مع بعض الأشخاص والأقسام التي لم تدخل الإضراب، وتقدم هؤلاء بعض الإنجازات الحياتية مثل بعض المأكولات الممنوعة، أو إدخال بعض الأغراض من خلال الزيارة، كما تستخدم الدعاية الكاذبة من خلال بث أخبار عن طريق السجناء بأن هناك سجوناً قد فكت إضرابها.

(5) تقوم بعد عشرة أيام من الإضراب بعملية نقل جديدة للأسير المضرب من سجن إلى آخر، حتى يفقد أكبر كمية من الطاقة، وبالتالي يتراجع عن إضرابه.

(6) تقديم عروض للأسير خلال نقله من سجن لآخر، مثل إذا تراجعت عن إضرابك سوف تسمح لك بزيارة مفتوحة، أو إدخال حذاء، أو تصوير مع زوجتك.

(7) تقوم بإجراء تفتيش ومهاجمة للغرف في اليوم الواحد عدة مرات، ومحاولة استفزاز الأسير المضرب المنهك بكل الوسائل والطرق، وتقوم بعملية بحث عن الملح الذي يستخدمه الأسرى كوسيلة للحفاظ على المعدة من التعفن.

(8) تعمل إدارة السجن على استغلال الحالات المرضية وصغار السن وأصحاب التجربة الأولى خلال نزولهم إلى العيادة للفحص، أو خلال تعرضهم لحالات مرضية، وتعمل على إغراء هؤلاء الإخوة عن طريق



وضع لحم مشوي أمامهم وبعض أنواع المخللات الشهية، التي هي ممنوعة أساسًا لدى الأسرى، فيثيرون شهية الأسير المضرب خلال وضعه في غرفة منفردة، ويعمدوا إلى وضع هذا الطعام أمامه حتى يضعف ويتراجع عن إضرابه.

(9) يحضر السجنان أسرى جنائيين ويضعهم في غرف مقابلة لغرف الأسرى المضربين، أو داخل ممرات الأقسام، ويحضر لهم أفرانًا للشواء أو كانوا يشوي اللحم والدجاج وشرائح الحبش، ويأمر هؤلاء الأسرى الجنائيين بالقيام بشوي هذه اللحوم مقابل غرف الأسرى المضربين بحيث ينشر دخان ورائحة الدهون المشوية، ويسيل لعاب الأسير المحروم من الطعام منذ أيام، كما يقومون بعملية قلي للباذنجان والبطاطا والفلفل حتى يثيروا شهية البطن لدى الأسرى المضربين، ولا يترك السجنان وسيلة إلا ويستخدمها من أجل كسر إرادة الأسير المضرب.

بعد أيام من نفاذ ردود فعل إدارة السجن يظهر الاستسلام الأولي والمتمثل بتعطيل كامل لحركة السجنانيين من أعلى رتبة (مدير السجن) حتى الضباط والعاملين في مرافق السجن والعيادة الطبية والشرطة والأمن والاستخبارات، كل هؤلاء تتعطل كل برامجهم داخل السجن؛ لأن هناك معركة من نوع آخر قد بدأت ولم تتوقف.

الجزء المهم في منتصف المعركة: هذا الجزء تكمن أهميته في حصول حالات تعب وإغماء لعشرات الأسرى خلال الساعة الواحدة، وهذا الأمر يحتاج إلى عشرات السجنانيين والأطباء والضباط من أجل نقلهم إلى العيادة.



والأمر الأخطر هو أن كل يوم إضافي من أيام الإضراب يعني أن إدارة السجون يجب أن تعد لكل أسير مضرب سريراً في مستشفى عام، مثل سوروكا أو برزلاي أو أساف هاروفيه، وهذا لا يمكن بحال من الأحوال، تبدأ المخاوف بعد مرور أسبوعين على الإضراب من أي تطور لدى الأسرى.

حسابات الإدارة:

أهم حسابات الإدارة التي تقلقها التي تتمثل في استشهاد أسير أو أكثر خلال الإضراب، هذا سيؤدي داخل السجن إلى تحول المعركة إلى إضراب ومواجهة، وقد يؤدي خارج السجن إلى حدوث انتفاضة جديدة، وبالتالي تسارع الإدارة في الاتصال بالجهات العليا من أجل مفاوضة الأسرى وتقديم تنازل لمطالبهم أو إعطائهم المستطاع منها.

92

الإضراب معركة، بمعنى عض أصابع بين السجنان والأسير: هذه المعركة بالذات السلاح فيها الصبر على الجوع وعلى أذى السجنان، فالذي يصرخ أولاً هو الذي سيهزم، فهي معركة إرادة يضحي فيها الأسير بكل ما يملك من منجزات، بالإضافة إلى تقديمه أجزاء غالية من لحمه ودمه.

أحوال الأسرى خلال الإضراب:

أجمل شيء في الإضراب أن الأسير يشعر على مدار الساعة أنه شهيد يمشي على الأرض، والشعور الآخر لدى الأسير أنه بدأ حياته من جديد مع السجنان، فهو يعيش حياة الزنزانة الأولى فلا يوجد شيء يخاف عليه،



بل قدم كل شيء لديه حتى يحصل على الأشياء والمطالب التي يريدها، خلال الإضراب تملك الأسرى مشاعر الأحزان والأفراح وتبرز نماذج الصبر ومعنى التضحيات في أحوال وظروف وأجواء لا تستطيع أن تسطرها أقلام أبدًا (سوف أتحدث عن جزء من هذا الجانب خلال حديثي عن تجربة الإضراب).

إنهاء الإضراب والخروج أصعب من البداية: استطاع الأسرى داخل حركتهم الأسيرة المناضلة المجاهدة أن يصنعوا رجال قيادات وكوادر؛ لذلك لم يبدأ الأسرى إضرابهم قبل أن يعينوا قيادة لهم من كافة الفصائل، هؤلاء الإخوة هم أصحاب الكلمة أمام إدارة السجون حيث يتم إبلاغ الإدارة بأسماء قيادة الإضراب منذ أول يوم من الإضراب، والرسالة تكون واضحة بأنه لا يمكن لأي أسير أن يوقف إضرابه إلا عن طريق الإخوة الأسرى في قيادة الإضراب، وهؤلاء الإخوة يتم اختيارهم من قبل تنظيماتهم من ذوي الخبرة الطويلة في الحوار والقانون وتوقيع الاتفاقيات مع إدارة السجون، وهم أيضًا من أصحاب السيرة العطرة والسمعة والأخلاق والصلابة في مواقفهم أمام إدارة السجون.

لذلك يخوض المعركة مئات أو آلاف الأسرى معًا، ولكن الجزء الصعب يكون مسؤولية الإخوة الأسرى في قيادة الإضراب الذين غالبًا ما يقومون بجهود كبيرة خلال تحقيق المطالب ومفاوضة إدارة السجون، وغالبًا ما يتعرضون للعزل الانفرادي من أول يوم، ولكن لا خلاص للإدارة إلا بإرجاعهم؛ لأنه لا يستطيع أي أسير أن يفاوض أو يتقدم بحلول إلا هؤلاء الإخوة.



بمجرد بدء المفاوضات تبدأ المرحلة الصعبة التي هي إنهاء الإضراب كما بدأ.

نموذج من خلال التجربة:

خلال سنوات الأسر خضت إضراب 2004م، وإضراب 2012م، وبسبب ضيق المجال وظروف كتابة هذا المؤلف سوف أتحدث بإيجاز عن تجربة إضراب 2012م.

لقد شهدت السجون منذ عام 2006م وبالتحديد بعد خطف الجندي شاليط حملات مسعورة وشرسة رافقها سحب لأكثر من ستين إنجازاً من إنجازات الأسرى، وكذلك كان هناك عقوبات جماعية للعديد من الأسرى، وتطورت هذه الظروف بزيادة وتيرة التفتيشات والمداهمات خلال الليل والنهار بغرف الأسرى، بالإضافة إلى التفتيش العاري والاعتداء على الأسرى بطرق عديدة، وكان من أهم ما تم سحبه خلال السنوات الخمس الدراسة في الجامعة العبرية، وعزل أعداد كبيرة من قيادة التنظيمات في زنازين انفرادية، وكذلك حرمان أسرى غزة من الزيارات، وعقاب مئات الأسرى من الضفة ومنعهم من الزيارات لأسباب أمنية، هذا بالإضافة إلى أمور حياتية تتعلق بالمياه والكانتينا وساعات الفورة والرياضة وقنوات التلفاز وملابس الأهل والأموال المسموح إدخالها وإلخ.

استمرت هذه الأحوال والظروف والأسرى على أمل أن يتم الإفراج عن أعداد كبيرة منهم مقابل شاليط، وبعد إبرام صفقة التبادل



بقي الآلاف داخل السجون، وهذا طبيعي؛ لأن جنديًا واحدًا لا يمكن أن يكفي للإفراج عن خمسة آلاف أسير وأسيرة.

وكان من أخطاء الصفقة أن غفل المفاوض عن تحسين شروط الحياة للأسرى داخل السجون، بعد الصفقة ازدادت الحملة على الأسرى داخل السجون، وكأن الثمن يجب أن يدفعه الأسرى الموجودون داخل السجون.

أمام هذه الظروف الصعبة لم يجد الأسرى حلًا إلا خوض معركة من أصعب المعارك مع السجناء، وفي ظروف صعبة داخل السجون حيث إن نفوس مئات الأسرى لا تزال غير راضية عن بقائهم داخل السجون، وهناك حالة من الشعور والإحساس بعدم وجود إفراجات قريبة بسبب إغلاق ملف شاليط.

بدأت المشاورات والمداولات بين الفصائل منذ بداية عام 2012م، وتم اعتماد 17 أبريل (نيسان) 2012م بداية معركة الكرامة لاسترداد الحقوق المسلوبة، وإضافة عشرات المطالب الحياتية، وإعادة رص الصف بعد صفقة شاليط، وكان أهم مطالب الإضراب: إعادة الزيارة للأسرى غزة، وإرجاع جميع الأسرى المعزولين من العزل الانفرادي حيث مضى على عزل بعضهم ما يزيد على اثني عشر عامًا.

قام الأسرى بالإعداد الجيد لهذه المعركة، وتم تحديد قيادة الإضراب من الإخوة في الفصائل الذين خاضوا هذا الإضراب، وبدأت معركة من أشرس المعارك لاسيما أن إدارة السجون قد علمت بها مبكرًا، فأعدت العدة من أجل إفشال الإضراب.



ومن خلال شهادتي لقد كنت في يوم الإضراب في سجن إيشل قسم (16)، وكان في هذا القسم 144 أسيرًا، وهو القسم الأمني الوحيد الذي دخل الإضراب في الداخل المحتل، لذلك وجدت مصلحة السجون أنه الحلقة الأضعف من بين السجون ويجب كسر الخطوة من البداية بالهجوم على قسم ضعيف، فلم تكن الهجمة على سجن نفحة أو ريمون، بل كان تم صباح 17 أبريل (نيسان) 2012م يوم الأسير هجوم لم تشهد السجون مثله، ومنذ ساعات الفجر الأولى هاجمت مصلحة السجون 18 غرفة دفعة واحدة بوحدات المتسادا والدور، والنخشون ومئات أفراد الشرطة والكلاب، وضباط من كافة المستويات، هاجموا الغرف بالقوة وقاموا بتكبييل كافة الأسرى وأنزلوهم إلى زنازين السجن القديمة، ثم هاجموا الغرف وصادروا كل ممتلكاتها، وقاموا بتكسير الأغراض وسكب الزيوت والماء والمواد الغذائية فوق مقتنيات الأسرى الخاصة.

ثم قاموا بعزل سبعين أسيرًا في زنازين سجن أوهليكيذار القديم، وأعادوا سبعين آخرين إلى القسم، قاموا بتوزيعهم بالتساوي على غرف القسم، ولم يبقوا للأسير المضرب سوى فرشاة من الإسفنج ليس لها وجه يغطيها، وفي اليوم التالي قاموا بنقل بقية الأسرى السبعين مرة أخرى إلى سجون ريمون ونفحة وعسقلان حتى يكسروا إرادتهم.

وحتى أكمل الشهادة قاموا بنقلي مع 30 أسيرًا تم تجميعهم من سجون نفحة وريمون وإيشل إلى سجن عسقلان، وبقينا في سجن عسقلان حتى اليوم الخامس عشر من الإضراب ومورست علينا كافة أشكال الأذى والاضطهاد، وبعد اليوم الخامس عشر أعادونا مرة أخرى إلى سجن إيشل،



وقد دخل الإضراب مرحلة الخطر حين تعدى اليوم العشرين، ولم يكن هناك بؤادر للحلول، وفي خطوة متقدمة تمت مقاطعة الفحص الطبي اليومي للوزن والضغط، والكثير من الأسرى قاطعوا المدعمات اليومية، وحتى اليوم 25 رأيت شهداء ينتظرون الموت، أذكر أخي الأسير المريض أمين شقيرات الذي وصل إلى مراحل الخطر الشديد، وطلب من الإخوة أن يوجهوه إلى القبلة؛ لأنه أخذ يحتضر ولم يبق له أمل في الحياة، وأذكر أخي محمد عرندي الذي كان يتقيأ دمًا يوميًا، ورأيت هياكل عظم من شدة الجوع والتعب.

حتى اليوم السادس والعشرين لم يبق من وزني سوى 45 كغم، ولم أستطع أن أشرب الماء، أصبحت المعدة لا تستوعب الماء، وعندها أصبح الحال صعبًا، وأذكر في اليوم السابع والعشرين أن الحركة تعطلت عندي بشكل نهائي ولم أقوَ عليها، والإخوة من حولي يحاولون إقناعي على الأقل بالنزول للعيادة، ولكن لا أدري إذا كان هذا هو الموت، لقد رأيت الموت بعيني وشعرت به، وفي عصر ذلك اليوم حضر ضباط السجن للفحص (العددي)، وكان الفحص يتم ونحن داخل الغرف، لا نستطيع الحركة، وعندما رأني الضباط لم يصدقوا صعوبة وخطورة الحالة، فأحضروا على الفور كرسيًا متحركًا وحملوني عليه إلى عيادة السجن، فوجدت مجموعة من الأطباء على رأسهم طبيبة، وحاولت إقناعي بتناول كأس من الشوربة حتى ترجع لي الحياة، فكانت الإجابة المتوقعة والمعروفة سلفًا حتى النفس الأخير، وخلال وجودي في العيادة حضر نائب مدير السجن وكان يعرفني جيدًا فقال لي: «لقد خضتم أشرس معركة في تاريخ السجون الإسرائيلية»، وبعد أن غادر ولم يبق عندي إلا ممرض واحد لمراقبتي، نظر حوله فلم



يجد أحداً فقال لي أود إخبارك بأن هناك اجتماعاً هاماً يعقد هذه الساعة في سجن عسقلان بين ممثلي إدارة السجون وقيادة الإضراب، وحسب المعلومات هناك اتفاق على تلبية المطلبين الكبيرين، زيارة غزة، وإخراج المعزولين من العزل الانفرادي.

بعد هذا الموقف عادت لي الحياة من جديد، فأعادوني إلى القسم، فاستقبلني القسم بالترحيب التهليل وأخبرتهم الخبر الذي لا يعلمونه بخصوص المفاوضات والتوصل إلى اتفاق بخصوص زيارة غزة والمعزولين ففرح الإخوة وبدأت الوجوه تكبر.

وأذكر أن شهر مايو كان حاراً، ولكن سبحان الله مع أذان المغرب تساقطت أمطار في الجو الحار، وحتى الساعة العاشرة ليلاً كانت الأخبار قد وصلت تؤكد بأن قيادة الإضراب استطاعت أن تتوصل إلى اتفاق مع مصلحة السجون على أكبر المطالب.

وحسب الاتفاق بين الأسرى وقيادتهم لا يفك الأسرى إضرابهم حتى يأتي الإذن من القيادة بحضور شخصي، وحضر الإخوة وتحقق النصر، وهذه لمحة مختصرة جداً عن إضراب 2012م دون الخوض في التفاصيل.

أجل اللحظات بعد الإضراب أن ترى الإنجاز وثمره تعبك بعد الجوع والتعب، والله لم أر أجمل وأروع من دخول المعزولين إلى الأقسام والغرف وهم يكون ويقلون رؤوس إخوانهم الذين أضربوا من أجلهم في موقف تسوده المشاعر الصادقة والمواقف المشرفة والنبيلة.



وكذلك لم يكن لدي شعور أجمل وأسمى من رؤيتي لأول دفعة من أسرى إخواني الغزيين وهم ينادون إلى الزيارة، فذهبوا وزاروا أهلهم الكرام، وكانت وجوههم مشرقة وقد عادت إليهم الابتسامة بعد حرمان أكثر من خمس سنوات تم منعهم من زيارة أهاليهم خلالها، وللأمانة أقول إن السنوات الخمس التي حرم إخواني فيها من الزيارة؛ كنت أعيش معهم معظمها، عندما كان يأتي الأهل لزيارتي لم يكن هناك معنى ولا شعور، ولا إحساس لهذه الزيارة، فأخوك الذي يعيش معك في نفس الغرفة محروم وأنت تزار، فكان الأمر صعباً من ناحية الأهل الذين لا تستطيع أن تمنعهم من زيارتك، ومن ناحية شعورك وإحساسك مع أخيك الذي لا يرى أمه ولا زوجته ولا والده، ولكن الله منّ علينا بهذه المعركة المشرفة التي خضناها بلحومنا ودمائنا حتى نلنا أهدافنا ومطالبنا.

(9) المواجهة مع السجنان:

يُطلق على هذه المواجهة مسميات عدة لدى الأسرى أهمها: الاستنظار أو القمعة، لا يمكن للأسير أو لقيادة الحركة الأسيرة عامة أو لممثل أي قسم في داخل السجن أن يوصل الأمر إلى مواجهة مع السجنان إلا إذا فرضت الأمور وانتهت الخيارات الأخرى، لماذا؟

لأن القمعة تعني خسارة الأسير لكل شيء وأغلى الأشياء لديه، قد يخسر إحدى عينيه، أو قد تكسر رجله أو يده، أو قد يضرب عصاً على رأسه تؤدي إلى ارتجاج في دماغه، أو قد يعضه كلب من كلابهم، أو قد يصاب بالأزمة والاختناق من الغاز الذي سيستنشق، أو قد يتعرض لطلق



من الفلفل والمطاط المغلف في رأسه فيستشهد، كما استشهد الأسير محمد الأشقر في قمعة النقب.

المواجهة مع السجن تعني خسارة الأسير لكل ممتلكاته من مواد غذائية وكتب ودفاتر وملابس وممتلكات خاصة كصور الأهل ورسائلهم، وكذلك يخسر أدواته الكهربائية التي يمتلكها بعد تعب وجهد؛ لذلك يحرص الأسرى وممثلوهم على عدم ترك الأمور حتى تصل إلى المواجهة، بل يعملون على إيجاد الحلول والخروج بأقل الخسائر.

وكذلك إدارة أي سجن تحرص على عدم إيصال الأمور إلى درجة المواجهة؛ لأن الأخيرة ستخسر الكثير من الأمور، وتحدث إصابات في صفوف أفرادها، ويسود السجن حالة من التوتر، قد لا تنتهي لشهور أو سنوات؛ لأن الشرطي الذي يمارس عمله داخل القسم سوف يكون بعد المواجهة عرضة للضرب من أي أسير خلال الأيام التي تلي المواجهة.

هناك لغة يفهمها الأسير ويفهمها السجناء تحول دون وصول الأمور إلى المواجهة.

ولكن رغم كل ماتم ذكره إلا أن المواجهة تحصل ما بين فترة وأخرى، لأسباب عديدة قد تحصل داخل السجن.

وهناك مواجهات عديدة حصلت خلال السنوات الماضية، وكانت آخر هذه المواجهات في 20 أبريل (نيسان) 2016م، وسوف أتحدث عنها كنموذج توضيحي للمواجهة بين السجناء والأسير.



في سجن نفحة الصحراوي قسم (14) بالتحديد، في هذا القسم حصلت عملية معقدة لتهديب هواتف نقالة، بعد اكتشاف الأمر قامت إدارة السجن بنقل كافة الأسرى إلى سجون أخرى، وقامت بإجراء تعديلات في بناء السجن، وتمت إضافة جدران من البناء الجديد، وإجراء عمليات تفتيش، وبعد خمسة أشهر أخذت الإدارة تعيد الأسرى من جديد إلى هذا القسم، وبالطبع كانت الإعادة للأسرى حسب معايير معينة.

وأسباب أساسية للمواجهة: بعد إعادة 80 أسيرًا إلى هذا القسم مارست الإدارة عليهم كافة أساليب العقاب والحرمان من الحاجات الأساسية، وعدم الاستجابة لمطالبهم اليومية، وكذلك اتبعت الإدارة سياسة جديدة في تفتيش الأسرى وعملية مراقبتهم يوميًا، وكأن الرسالة أنكم ستدفعون ثمن ما قام به أسرى الجهاد الإسلامي من إدخال هواتف نقالة حسب ادعاء الأسرى، واتهامها لمجموعة من أسرى الجهاد الإسلامي أنهم هم من قاموا بهذه العملية المعقدة.

ولما استمرت الإدارة بتنفيذ سياسة العقاب هذه بأوامر مباشرة من مدير السجن في إجراءات لم يشهد السجن مثلها سابقًا، حاول الإخوة العاملون في القسم من فصائل فتح والجهاد والجهتين الشعبية والديمقراطية التوصل إلى حلول مع إدارة السجن، وتوصيل رسائل واضحة بأن هؤلاء الأسرى جدد ولا شأن لهم بما حصل، لقد عاقبتم بعض الأسرى بالعزل، وقمتم بنقل الأسرى وأجريت تفتيشات، وقمتم بكل ما هو مطلوب من تحصينات وعقوبات، حاول الإخوة في اللجان الوطنية والحوار التوضيح والحل، ولكن دون جدوى، بل استمرت الإدارة بالقمع والظلم وعدم



إعطاء الحقوق، ومضى شهران على هذا الحال، والقسم أصبح كالبركان الذي قد يشور في أي لحظة، وفي ظهيرة يوم الاثنين من التاريخ المذكور كان مجموعة من الإخوة في ساحة القسم، واحتاج أحدهم إلى الدخول من أجل قضاء حاجته، وأخذ يطلب الدخول من الشرطي الذي يجلس في غرفة التحكم التي تراقب الأسرى عن طريق الساعة التي توجد في الساحة، وكلما طلب الأخ يقول له السجّان بعد قليل، بعد قليل، بعد قليل، ولمدة ساعة ونصف حتى كاد الأسير أن ينفجر (وهنا لا داعي لتفصيل ما معنى إنسان كان بحاجة ليقضي حاجته)، بعد ساعة ونصف وهو الموعد الطبيعي لفتح الباب كان هذا الأخ قد فقد قواه وعصبيته، فمجرد أن فتح الباب دخل إلى القسم وأخذ يشتم السجناء بأعلى صوته باللغة العبرية والعربية، معبراً عن حالة الغضب لسياسة السجناء في هذا القسم، وقام بكسر بعض الكراسي البلاستيكية والأغراض الموجودة في الممر الموجود بين الغرف، على الفور تم الاتصال من قبل السجناء بقوات السجن والضباط، واستنفر كافة الأسرى داخل الغرف؛ لأنهم كما ذكرت كانوا أصلاً كبركان ينتظر الثوران، وخلال دقائق وصلت قوات من الشرطة ومعهم ضباط وحاولوا السيطرة على الأسير - وهو أحد أبناء الجهاد الإسلامي - بالقوة، فحاول دفعهم ومقاتلتهم، وتواجد معه بالصدفة أسير آخر من الإخوة أسرى حركة فتح خلال محاولة السيطرة على الأسير، تدخل الأسرى من داخل الغرف بالتكبير والدق على الأبواب وإلقاء الملعبات من فتحة الباب إلا أن القوة استطاعت سحب الأسير خارج القسم بالقوة.

وبعد هذا الحدث تم استنفار الغرف العشر، وكان هذا الحدث الذي أثار مشاعر كافة الأسرى هو الشرارة التي أدت إلى تطور الأحداث،



شعرت الإدارة بخطورة الموقف، وبدأت تستدعي قوات إضافية من السجون، وبدأت مفاوضات صعبة جدًا بين الإخوة ممثلي الفصائل وإدارة السجن، كان مطلب الأسرى داخل القسم هو إرجاع الأسير أكرم إلى القسم فورًا، ومحاسبة السجانين الذين رفضوا فتح الباب والذين اقتحموا القسم، وتقديم كل احتياجات الأسرى والاستجابة لطلباتهم، وإعادة القسم إلى حالته الأولى قبل شهور كما كان دون عقاب، وإلا لن يبدأ القسم أبدًا، وسيكون الرد قاسيًا على السجان. أمام هذا الموقف وجدت إدارة السجن نفسها أمام مطالب صعبة تخالف سياستها تمامًا، فرفضوا كافة المطالب، وقالوا لن نرجع الأسير أكرم، ونطالب أن تسلمونا الأسير الذي تواجد في المر خلال عملية اقتحام القسم لأخذ الأسير أكرم؛ لأن هذا الأسير شارك في الاعتداء على القوة التي دخلت القسم.

وهنا كان الرد من ممثلي الفصائل: نحن نطالبكم بالأسير أكرم، وأنتم تطالبون بأسير آخر، هذا لا يمكن أبدًا، وأصر كل طرف على مطالبه لمدة ساعات، وإدارة السجن تحاول أن تقنع الإخوة بضرورة تسليم الأسير الآخر وهو الأخ محارب دعيس، ويلوح في نفس الوقت بأن الأمر أصبح خطيرًا إذا رفضتم العرض، أي كانوا يلوحون باستخدام القوة إذا أصر الأسرى على رفض تسليم الأخ محارب، بعد نقل صورة الموقف للأسرى من قبل ممثليهم، كان هناك موقف موحد بسبب حالة الاحتقان الخطيرة التي وصل إليها الأسرى خلال شهرين كاملين، فأخبروا ممثليهم وبإصرار بأن محارب سيخرج بعد خروج 79 أسيرًا!

وفي ساعات المساء وصلت المفاوضات إلى طريق مسدود، وتم إبلاغ



إدارة السجن رسمياً رفض طلبهم تسليم الأسير محارب، وإصرار الأسرى على مطالبهم وعلى رأسها إرجاع الأسير أكرم.

مواقف الرجال تسطر بهاء الذهب:

تعالّت الأصوات بين غرف الأسرى بأن الإدارة وقواتها لن تأخذ الأخ محارب الذي دافع عن أخيه الأسير أكرم أمام قوات القمع إلا على أجسادنا بعد اقتحام غرف الأسرى والقسم جميعاً، فقامت باستدعاء أعداد كبيرة من السجنانيين من كافة السجون القريبة، وكانت في حالة استنفار من أعلى الدرجات.

أما الأسرى في ظل هذه الظروف فليس أمامهم إلا الاستعداد للتصدي لخراطيم المياه التي ستغمر غرفهم، كذلك الحد من استنشاق الغاز الذي سيدخل إلى غرفهم، وارتداء أكبر قدر من الملابس استعداداً لمواجهة مباشرة، إذا استطاع السجنّان أن يقتحم الغرفة فإنه سيضرب بقوة العصي الموجودة معه، وقد تم تجهيز كافة معلبات الفول والذرة والبازيلاء الموجودة لدى الأسرى داخل الغرف لاستخدامها خلال المواجهة المباشرة، وتم إعطاء الإخوة الذين لم يشهدوا مواجهات بعض الشرح عن كيفية المواجهة وعن طرق التصدي بالتفصيل.

ساعة الاقتحام: مع الغروب تم قطع الماء والكهرباء عن غرف القسم، وساد الصمت والكل في حالة ترقب لدخول أول قوة إلى القسم، وبمجرد فتح الباب الرئيسي للقسم قام الأسرى بسكب الزيت على أرض



الممر الواصل بين الغرف، والأرض ملساء مغطاة بطبقة بلاستيكية، بدأ التكبير والطرق على الأبواب، ومع وصول القوة إلى أول غرفتين انزلق أفراد القوة على الأرض وأصيبوا، ثم جاءت قوات أخرى ومدوا خراطيم مياه تعمل على ضغط عالٍ تستخدم لرش الأسرى المتواجدين على أبواب الغرف؛ لأن باب الغرفة من الأعلى عبارة عن شبكة حديدية، استخدم الأسرى عصي المكناس والقشطات من داخل الثقوب لصد القوات التي حاولت رش الماء، ولكن الماء كان قويًا، فقاموا بوضع فرشاة وحرامات وبطانيات على الأبواب حتى لا تدخل المياه إلى الأسرى وتغرق أغراضهم.

حاولت القوات والوحدات عشرات المرات أن تصل إلى الغرف بهذه الطريقة، فشلت أمام الصد القوي للأسرى، وكانت قوات القمع تحاول بكل الطرق والقوة أن تقتحم بشكل خاص الغرفة التي يتواجد فيها الأخ محارب لكي تكسر إرادة الأسرى وتحقق هدفها الرئيسي، ولكن لحسن الحظ كان رقم غرفة محارب (88)، وأمام هذه الغرفة أربع غرف هي (86)، (87)، (95)، (94) بشكل متقابل، أصيب عدد كبير من قوات الاقتحام، فقاموا بالانسحاب وأصوات التكبيرات تتعالى، واستمرت المعركة لساعات حتى يفقد الأسرى قواهم، وبعد أربع ساعات هاجمت القوات الغرف الأربع الأولى بخراطيم المياه، وقاموا باستخدام غاز الفلفل ورشوه مع الماء، فأصيب عدد كبير من الأسرى بالاختناق والحروق والاحمرار في العينين والحكة الشديدة في الوجه؛ لأن هذا النوع يتسبب بالاحمرار والحساسية للوجه خاصة والجلد عامة، وإذا صاحبه وصول



ماء للجسم فإن الأذى سيكون أكبر، بالإضافة للإصابات في بعض الغرف سقطت البطانيات عن أبوابها فغمرتها المياه بالكامل، ودفعت الإدارة بقوات إضافية استخدمت الغاز والماء، وحتى الساعة الواحدة ليلاً استطاعوا أن يصلوا إلى أبواب القسم جميعاً، ورشوا الغرف بالماء والغاز ولكن لم يستطيعوا أن يفتحوا أي غرفة.

بعد منتصف الليل أصيب الأسرى بالتعب الشديد في معركة انتصروا وأصابوا فيها قوات إدارة السجن، وحضر عدد كبير من الضباط مع قوات القمع، وطالبوا الأسرى بفتح أبواب الغرف التي قاموا بإغلاقها من الداخل بطرق معينة، وطالبوا الأسرى أن ينهوا المعركة حتى يتم إجلاء المصابين، وتعهدوا ألا يؤذوا أحداً، هنا لا يوجد أمام الأسرى إلا خياران:

الأول: عدم فتح الأبواب وانتظار فتح الباب بالقوة والمواجهة معهم بالأيدي وكل شيء موجود في الغرفة، وهذا يعني قتالاً حتى النهاية (بالطبع لم يكن الأسرى يخططون لهذا).

الثاني: فتح أبواب الغرف دون مواجهة والخروج بأقل الخسائر خاصة أنهم قد ربحوا المعركة.

تم الاتفاق على أن تفتح الأبواب بسلام دون مواجهة، وبعد منتصف الليل حضرت قوات هائلة من الشرطة والضباط، وبدأت عملية فتح الغرف حسب الاتفاق، ولكن الغدر والانتقام كان سيد الموقف حيث كان يتم إخراج كل أسير لوحده، ويتم تكييله من يديه خلف ظهره ويقوده ثلاثة سجانين اثنان عن يمينه وشماله، والثالث يضع العصا على ظهره



وينزل رأسه إلى الأسفل، ومن ثم يقومون بنقله بهذه الطريقة من سجن نفحة الجديد إلى سجن نفحة القديم (قسم) مسافة 500 م، والذي فاجأ الأسرى أن إدارة القمع قد وضعت خارج القسم وعلى طول الطريق إلى نفحة القديم صفين متقابلين من قوات القمع مسلحة بالعصي، وعندما يخرج الأسير من داخل القسم ويصل إلى هذه القوات مكبل اليدين ومسيطرًا عليه من ثلاثة سجانين؛ تبدأ عملية الضرب بالعصي والأرجل من بداية الصف الأول حتى نهاية لطريق إلى قسم (1)، ويتم إلقاء الأسير داخل زنزانة مكبلاً.

هذه الطريقة استطاع السجان أن ينتقم ويرد هيبته بأن اعتدى على كافة الأسرى، بعض الإخوة أصيب في عينه، وبعضهم أصيب في سمعه، وآخرون شجرت رؤوسهم وكسرت أنوفهم حيث كان الضرب متعمد على الوجه حتى يترك علامات وتشوهات، وبعض الإخوة كسرت أيديهم وضلوعهم.

وبعد أن تم تفريغ القسم بالكامل إلى الزنازين، وبعد ساعات من الليل بعد أن قاموا بخطط الأسير محارب الهدف الرئيسي للحملة؛ غابوا عن الأسرى لساعات وهم داخل غرف القسم، ثم ترك الأسرى مكبلين ومصابين بدمائهم وجراحهم وكسورهم دون أي مراعاة للإنسانية.

جاءوا بعد ساعات وأخبروا الأسرى بأنكم ستعودون إلى غرفكم بنفس الطريقة، واحداً تلو الآخر، فبدأت عملية إرجاع الأسرى إلى القسم، وما أذهلني عند الرجوع للغرفة التي كنا نعيش فيها أنني لم أعرفها لهول



ما رأيت من الدمار والخراب الذي أحدثوه داخلها وداخل كافة غرف القسم، فبعد نقل الأسرى إلى الزنازين قاموا بدخول كل الغرف وعملوا على تخريب وإتلاف وتدمير كل شيء داخلها كتعبير واضح عن الحقد والانتقام من الممتلكات الخاصة بالأسرى داخل القسم، وبالطبع هكذا القوي عندما يعجز عن المواجهة ينتقم من كل شيء عزيز وغالٍ على صاحبه، وهنا أقدم شهادة عن غرفتي فقط، فعندما دخلت الغرفة وجدت القرآن الكريم قد ألقى على الأرض وسكب عليه الماء والزيت والمشروبات والعصير، ووجدت الملح تم خلطه بالسكر والقهوة، وجدت فرشاة إخواني الأسرى قد ملأها السجان بزيت الزيتون والطحينة والقهوة، وجدت الوسائد والبطانيات تم إلقاؤها في الحمام وعليها الماء القذر والأوساخ، وجدت كل كهربائيات الغرفة قد تمت سرقتها (سحبها) وما تبقى تم كسره وإتلافه، الخضراوات والفواكه تم إلقاؤها على الأرض وداسوها بأقدامهم في منظر تقشعر له الأبدان، لم أصدق أن هذه غرفتي التي كنت فيها قبل ساعات، فكانت عملية انتقام بشعة لأسرى لا يمتلكون سوى هذه المقتنيات.

المشاعر بعد العودة إلى الغرفة:

بالرغم من كل هذا الأذى والتخريب عاد الإخوة فوجدت أن جميع الإخوة قد تم الاعتداء عليهم خلال عملية النقل من قسم (14) إلى عزل قسم (1)، ولكن رغم كل ما حدث كانت مشاعرهم ومعنوياتهم عالية جداً؛ لأن مثل هذه المواجهة تكون الخيار الأخير الذي لا يمكن للأسير أن يختار غيره خاصة أن القضية قضية كرامة وعزة داخل السجن، فيختار المواجهة رغم علمه الكامل بأنه سيخسر كل شيء في النهاية.



بعد انتهاء هذه المواجهة ساد التوتر القسم وأخذت أوراق إدارة السجن تتكشف حتى تبين أن هناك إصابات عديدة في صفوف الشرطة، وأن هذه المواجهة قد تركت أثراً كبيراً في إدارة السجن؛ لأنها لم تكن تتوقع أن تحصل مواجهة بهذا الشكل من قبل الأسرى، وتبين أن هناك لجان تحقيق، تحقق مع الشرطة وإدارة السجن مملتهم مسؤولية ما حصل، وقامت الإدارة بنقل عدد من الضباط والسجانين الذين كانوا سبباً في هذه المواجهة، والحمد لله لقد كان لهذه المواجهة أثر كبير في إعادة العديد من الحقوق للإخوة في القسم، بالإضافة إلى استجابة الإدارة إلى عشرات المطالب التي كانت معطلة، والأهم أنها تركت هبة ورهبة في نفوس السجانين تجاه الأسرى داخل القسم، وظهر ذلك في مشاهدتهم لأشرطة التسجيل الخاصة بكاميرات المراقبة التي سجلت الأحداث بالكامل.

ولقد تقدمت إدارة السجن بطلب جلسة مع ممثلي الأسرى في القسم حتى يتم تسوية الأمور، وهنا بالطبع يأتي دور الإخوة لكي يستغلوا هذا الحدث لتحقيق إنجازات تنسجم مع حجم التضحيات التي قدمها الأسرى، وحققوا مجموعة من الإنجازات أهمها:

(1) الاتفاق على إعادة سبعة إخوة خلال تواجدهم في الساحة، وإخراج سبعة آخرين من الغرف عند منتصف الوقت، وكان هذا السبب للمشكلة حيث رفضوا فتح الباب لأسير واحد، فتمت الموافقة على سبعة.

(2) عدم دخول الضباط والسجانين الذين شاركوا في المواجهة إلى القسم.



(3) تقديم العلاج الكامل للإخوة المصابين، وفتح تحقيق شرطة مستقل في الأحداث.

(4) الاستجابة لخمسة عشر مطلبًا كانت معلقة قبل الأحداث أهمها:

- مد وقت التنزه في الساحة.

- عدم حضور السجناء عند عودة الإخوة من الساحة إلى الغرف.

- إحضار ملابس زيارة الأهل المحتجزة وتعويض الأسرى عن الأغراض التي أتلقت.

- الموافقة على زيارة حركة الممثلين داخل وخارج القسم.

- الموافقة على شراء أجهزة كهربائية خاصة، جهاز عصر وطحن الفواكه، بالإضافة إلى تصليح الغرف وإحضار الأدوات الناقصة أصلًا فيها.

هذا نموذج واحد فقط لمواجهة قريبة حصلت في سجن من السجناء علمًا أن المواجهات لا تنتهي بين السجناء والأسير، ولكنها تتفاوت بوسائلها وتطوراتها وكيفية بدايتها ونهايتها، وهناك عشرات النماذج التي جرت خلال الفترات الماضية في تاريخ الحركة الأسيرة.



قصص ومواقف من خلف الأسوار

الظلم الاجتماعي للأسير:

تم الإفراج عن الأسير واصف الذي أمضى سبع سنوات في السجن، وهو من خيرة الشباب أدبًا وأخلاقيًا وتدينًا، واستطاع أن يحفظ كتاب الله كاملاً، ومارس العمل القيادي والإداري، وتحمل مسؤولية مئات الأسرى داخل السجن، ويحمل شهادة جامعية، وسجين من هذا الشعب المكروب قدم ضريبة من عمره من أجل كرامة هذا الشعب، وصل إلى بلده وأراد أن يرتبط ويكمل نصف دينه، فتوجه إلى أكثر من خمسين بيتًا وتقديم بطلب الزواج من خمسين فتاة، ولكن للأسف تم رفضه؟! بالرغم من أن المعايير التي وصفها رسول الله ﷺ تتوفر فيه (الدين والخلق): «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير».

لماذا تم رفضه؟ الإجابة لأنه أسير ولا نريد وجع رأس لابنتنا، يعني الأسير أصبح عيبًا، الأسير عار، الأسير يجلب المشاكل لمن يعطيه ويزوجه، هل هذا عدل مع إخوة ضحوا وقدموا أعمارهم من أجل دينهم وقضيتهم وشعبهم وكرامة هذا الشعب؟ هكذا نكافئ الأسير؟

لابد لهذا الظلم الاجتماعي أن يتوقف، فالأسير وغير الأسير في نفس المعاناة مع هذا العدو.



فجع بموت أمه:

أمضى رامز أحد عشر عاماً في داخل السجن، وكان طيلة سنوات أسرهِ ينتظر لقاء الأم الحنون التي كانت تنتظره على أحرّ من الجمر لاسيما أن الأب قد توفي.

أمضى رامز سنوات الأسر، وقبل الإفراج عنه بـ 25 يوماً فقط تفاجأ بخبر وفاة الوالدة التي كانت تعد لاستقباله، فتوفيت قبل أن تلقاه، ودفنت دون أن يراها، أو حتى يلقي عليها لو نظرة وداع.

توضيح وعتب:

إذا تحدثت مع الكثير من الناس من داخل السجن يقول لك: والله إنكم مبسوطون أكثر منا، ومرتاحون أكثر منا، أنتم مرتاحون داخل السجن أكلون وشاربون ونائمون، والحياة عندنا صعبة.

أو يقول لك أحدهم والله من كثر الهموم سوف آتي عندكم إلى السجن! التوضيح أيها الأحبة الكرام أن السجن صعب على أي مخلوق، الروح لا تسجن، لو سجنت أي نوع من أنواع الطيور لساعة يقتل نفسه، والروح أيها الناس لا تسجن، فنحن لا نتمنى لأي مخلوق أن يأتي إلى السجن أو يجرب السجن، والله إن من يفقد حريته ولو ساعة واحدة سيعلم كم هو ثمن الحرية، إن أحدنا مستعد أن يدفع كل ما يملك حتى ولو ملك كل مال الدنيا مقابل إخراجه من السجن.



دعوة الأم لابنها السجين المظلوم مستجابة:

في سجن إيشل عام 2005م كان محمد الذي حكم تسع سنوات ونصفاً، ولم يقضٍ منها إلا شهوراً، ذهبت والدته لقضاء فريضة الحج وخلال تأدية المناسك كانت تدعو لابنها السجين، وبينما هي تتضرع إلى الله ﷻ وتبكي، مرت بها مجموعة من النساء من سوريا ومصر، وعندما رأين هذا المشهد سألهن: لماذا تبكي هكذا؟، فقالت إن ابني مسجون عند عدونا الذي قهرنا وسلب أرضنا فلسطين المحتلة، فجاءت النسوة وأخذن بالدعاء معها لابنها السجين، والمفاجأة كانت أن هذا الابن قد يسر الله ﷻ له فرجاً بطريقة غريبة حيث جاء اسمه ضمن دفعة من دفعات الإفراجات التي تم منحها لرئيس السلطة الفلسطينية (أبو مازن)، وعاد إلى أمه التي استجاب الله ﷻ لدعوتها في مكة المكرمة، فدعوة المظلوم مستجابة، ودعوة الأم لولدها مستجابة.

فدعوتي للأسير المظلوم أن يدعو ويلح بالدعاء، وكذلك دعوتي لأمهاتنا أن يكثرن من الدعاء، لعل الله يرحمنا بفرج من عنده كما حصل لأخينا الأسير محمد.

والدة أسير مريضة تزور ابنها:

علاوة على صبر أم الأسير على فقدانها لمهجة قلبها (ابنها الأسير)، رأيت الأم الفلسطينية أم الأسير إسماعيل أبو عيشة تصل إلى سجن إيشل تحملها سيارة إسعاف، وعندما تم انزالها من السيارة رأيت سريراً عليه



أجهزة وكأنه مستشفى ميداني متحرك، وفوق هذا السرير الأم الصابرة المريضة التي أصرت أن تأتي، وأبت إلا أن تقطع المسافات وهي على هذا الحال من المرض والمعاناة، عبرت حواجز عسكرية وتعرضت لتفتيشات مذلة، لماذا؟ حتى ترى فلذة كبدها، ولدها إسماعيل المسجون المظلوم.

قام السجانون بسحب السرير المتحرك حتى أوصلوه إلى الشباك الذي يجلس مقابله إسماعيل، وحصلت الزيارة التي تقطع القلوب وتبكي العيون دمًا.

والسؤال: هل استطاع إسماعيل أن يعود إلى البيت ويبر هذه الأم العظيمة؟ لا ولا، إسماعيل إلى الآن داخل السجن، والأم المريضة قد توفيت -رحمها الله-.



وصف المكان

للحديث عن المكان الذي سجن فيه الرجال لابد من الوصف الدقيق للمكان، وهنا المكان له مسميات كثيرة، فمن سجن جلبوع في شمال فلسطين إلى سجن النقب في جنوب فلسطين، هناك العشرات من هذه الأمكنة المعروفة بأسمائها المشهورة، لكن خلال هذا المؤلف أثرت أن يكون الحديث عن سجن واحد كنموذج عن بقية السجون، رغم أن كل سجن من السجون له من اسمه حظ، فوقع الاختيار على سجن نفحة الصحراوي، وهنا استميج إخواني الأسرى وأخواتي الأسيرات عذراً بأنني لن أستطيع أن أقف على تفاصيل كل سجن على حدة، ولكن سأجمل الصورة باسم نفحة نيابة عن كل السجون بإذن الله تعالى.

في جنوب فلسطين، وفي صحرائها المغتصبة أقام العدو نفحة، وعلى الخط الواصل بين مدينة بئر السبع، ومدينة أم الرشراش تجده هذه القلعة، نفحة بأقسامه القديمة منذ الثمانينات، ونفحة بأقسامه الجديدة في التسعينات، ونفحة بأقسامه الإضافية ما بعد الألفين.

نفحة بأقسامه من (1) حتى (14)، سجن داخله مئات الأسرى من الثمانينات حتى ساعة كتابة هذا المؤلف، ولأهمية ذكر تفاصيل المكان داخل الأسوار تكمن تفاصيل قهر الرجال داخل المكان حيث كل قسم في نفحة يحتوي على عشر غرف حسب التفصيل التالي: الغرفة طولها



سبعة أمتار، عرضها ثلاثة أمتار ونصف، ارتفاعها ثلاثة أمتار، داخل الغرفة خمسة أسرة من طابقين علوي وسفلي، مصنوعة من الحديد الصلب ومثبتة في الجدار والأرض، السرير بطول مترين وعرض متر واحد، يتفرع من جدرانها خزائن حديدية تشبه تمامًا عشب الحمام، ولكل أسير اثنتان أو ثلاث على الأكثر، يخرج من الحائط من المنتصف من بين الأسرة متر من الباطون الصلب يمثل طاولة السفرة، وفي آخر الغرفة مكان ضيق يحوي بداخله مكان قضاء الحاجة والاغتسال والوضوء والغسل، يأتي مباشرة مقابل السرير المزدوج الأخير في الغرفة، وفي نهايتها شبك بطول مترين وعرض متر واحد مصنوع من الحديد الصلب المسكوب بالباطون، يتم تركيبه خلال عملية البناء، يحوي بداخله ثلاثة أعمدة حديدية، ويسطر من الداخل بشبك حديد مقسم إلى مربعات، 2 سم عرضًا وطولًا موزعة على كافة مساحة الشباك.

أما باب الغرفة فكتلة من الحديد المصفح يوجد في أسفلها فتحة صغيرة لإدخال الطعام والمستلزمات، لا تفتح إلا في النهار، وفي الأعلى 3 سم عرضًا وطولًا من الشبك المقطع إلى مربعات تمامًا كمربعات الشباك، الباب يغلق ويفتح كهربائيًا، وفي الليل يغلق بأقفال حديدية زيادة على الإغلاق الكهربائي، يعطى للغرفة ثلاثة كراسي بلاستيكية.

ولك أخي القارئ وأختي القارئة أن تتخيلا بعد هذا الوصف التقريري للغرفة، أن هذا المكان الضيق يعيش بداخله عشرة رجال بكل مستلزماتهم الحياتية، من فراش وأغطية وملابس شتوية وصيفية وكتب وطعام وشراب، ولكم أن تتصوروا ما يمكن أن تحتويه أي غرفة لشخص



واحد، وما بالكما عندما تكون لعشرة أشخاص، فيها الشاب والشبل والكبير في السن والمريض والضعيف والبدین، ولك يا أخي أن تتصور الحال إذا حسبت حصة الأسير الواحد فلا يوجد له مساحة أكثر من مكانه الذي ينام فيه.

وغرفتنا هذه هي المكان الوحيد الذي ننام فيه، ونصلي فيه ونجلس فيه ونأكل فيه ونتعلم ونستضيف الناس فيه، ففيها المبيت والمطبخ والتعليم والمدرسة والمسجد وغرفة الضيافة والحمام.

في داخل القسم خمس غرف متجاورة تقابلها خمس أخرى، يفصل بين الصفيين مسافة مترين فقط.

قد تجبر على العيش داخل الغرفة لسنة أو سنتين أو عشر مع نفس الأشخاص، والمفارقة هنا والسؤال لو أجبرت إخوة اثنين على البقاء داخل غرفة واحدة مغلقة عليهما لمدة أربع وعشرين ساعة لضاقا ذرعاً بالمكان، والله لو بقي الأزواج والأحبة فقط في مكان مغلق والله لن يطيقوا، فما بالك عندما تعيش في غرفة كغرفة السجن لسنوات مع عشرة أشخاص، قد يكون كل واحد منهم من قرية أو مدينة أو دولة مجاورة، لكل واحد منهم عاداته وتقاليده وأسلوبه وطريقته في الحياة بأمزجة مختلفة وسلوك متغير، ومن هنا أيها القارئ الكريم نتحدث عن القدرة على العيش في ظل مكان ضيق مع إخوة مختلفي المزاج، وكل واحد منهم آتٍ من بيئة، وأنت هنا مجبر على العيش معهم أربع وعشرين ساعة كاملة، تأكل وتشرب وتنام وتستيقظ، وفي ظل طباع مشتركة فيها حاد المزاج العصبي وسريع الانفعال



وفيها البشوش وفيها العبوس، فيها المريض وفيها الصحيح، فيها الراضي وغير الراضي، فيها الصابر وغير الصابر، فيها الحليم وفيها الغضوب، فيها المتعلم والأمي، وفيها الشاب الذي لا يتجاوز العشرين عاماً وفيها الشيخ الذي تجاوز الستين، فيها الأعزب وفيها أبو العيال، فيها البدوي والمتمدن، فيها ابن القرية وابن المخيم، كل هذا التناقض يعيش قسراً داخل الغرفة التي ذكرنا، فالعيش في غرفة السجن قد يجمع أحياناً كل هذه التناقضات، فهل بعد هذا القهر قهر؟!

في غرفة السجن لا مكان للخصوصية: أي خصوصية ستعيش وأنت تحت المجهر على مدار الساعة؟ لديك ثمان عشرة كاميرا (وهي العينان) هذه العيون تعيش معك في كل لحظة، فأنت تعيش حياة مكشوفة على مدار الساعة، تراقب في نومك وفي يقظتك، في أكلك وشربك، في جلوسك وقيامك وفي كل سكون وحركة من حركاتك، سواء كانت هذه المراقبة سلبية أم إيجابية مقصودة أم عفوية، لا مقام لأن تعيش لوحده، لا تستطيع أن تضحك كما تشاء، لا تستطيع أن تبكي كما تشاء، لا تستطيع أن تتعبد لربك كما تشاء، لا تستطيع أن تأكل وتشرب كما تشاء، لا تستطيع أن تقرأ وتكتب كما تشاء، البيت ليس بيتك، لا تملك أي خصوصية، لا تمارس حياتك وخصوصيتك كما تريد أبداً، وقد يستغرب القارئ الكريم الذي لم يتلّ بالسجن أن أقول: الخصوصية ضرورة لا تستطيع أن تحققها وهي كمثل فقط قضاء الحاجة، كم تكون بحاجة إلى أن ترتاح من إخراج الأذى في هذا المكان، وهذا أمر ليس بإرادتك فلكل شخص ساعته البيولوجية، وتصور معي أخي وأختي عندما تدخل إلى هذا المكان وأنت تعيش



مع عشرة إخوة ولا يوجد إلا مكان واحد لقضاء الحاجة، بعد دخولك لحاجتك بدقيقة يطرق عليك الباب كإنذار لقد نفذ وقتك، هناك أخ لا يحتمل الانتظار، عندما لا يكتمل قضاء حاجتك، كيف هو حالك عندما يكون لديك ألم في بطنك إذا كنت تعاني من إمساك أو مصاب من البواسير؟

هذا نموذج واحد لأقل الأمثلة وأبسطها التي تؤدي إلى قهر الرجال، وهنا لا أستطيع أن أنفي الحقيقة المرة وهي أن طريقة واحدة على باب الحمام قد تؤدي إلى مشكلة كبيرة بين أخوين لحساسية الموقف، بالرغم من أن الطارق مضطر والآخر مضطر، ولكن ضيق المكان وقلة الإمكان تؤدي إلى معاناة وإشكال وبالتالي قهر رجال.

في غرفة السجن ترتفع درجة الحساسية (أي حساسية الإنسان الشعورية والنفسية) حتى تصل إلى 100 ٪ بسبب المكان والسكان، وسأتحدث لك أخي القارئ عن بعض الأمثلة لهذه الحالة التي تتعلق بطبيعة العلاقات بين الناس داخل هذا القبر المغلق، فالسجين هنا بسبب دوام وجوده مع إخوته على مدار الساعة يصبح حساسًا من أي تصرف يصدر منه، وفي معظم الأحيان لا يكون الأمر متعمدًا، فمثلاً تجد أخاك المقابل لك قد قاطعك فجأة أو دابرك، لماذا؟ لأنك اليوم لم تقل لي صباح الخير، أو لأنك قلت لزيد نعيمًا بعد خروجه من الحمام ولم تقل لي، أو لأنك تحدثت مع عمر بخصوص كذا ولم تحدث إلي، فبالطبع كل هذه التصرفات عفوية لا ينتبه لها الأخ ولكن تولد هذه الحالة الشعورية من رد الفعل، فالأسير حساس جدًا من أي تصرف، فهل يستطيع هذا السجين



المسكين أن يوازن ويحافظ على علاقة واحدة مع عشرة إخوة بنفس المستوى؟ بالطبع لا، سوف يغفل ويخطئ وينسى ويحب ويكره، ولا يمكن له أن يقدر على ذلك، وبالتالي يؤدي هذا الحال إلى وجود حالة مستمرة من الخلافات والخصومات والنزاعات والمقاطعات بين الإخوة داخل الغرفة الواحدة.

لازلنا في هذا الباب نتحدث عن الصراع بين إرادتين، وهنا أتحدث عن صورة يتمنى المرء أن يموت وهي تتكرر معه أو أمامه مع استمرار الأسر وديمومة الحال، ومن نماذج هذه الحالة أن يسجن معه أخ كريم قد يكون عمره من عمر والدك، قد أمضى عقدين أو أكثر داخل هذه القبور المغلقة، ولكن بسبب طول سنوات الأسر ونسيانه داخل هذا المكان، وعدم تيسير الفرج تجد أن أطواره قد تغيرت، فأصبح حاد المزاج، يغضب إذا نظرت إليه، قد يشتمك أو يسبك لأي تصرف عفوي، هنا إخواني وأخواتي وأنت مقهور ومظلوم من أخيك الأكبر منك سنًا، الذي اشتعل رأسه شيئًا وقد أفنى زهرة شبابه في السجن، تقف حائرًا هل ترد عليه؟ هل تصبر؟ هل؟ هل؟ هل؟

من خلال التجربة والأمانة (قد يتكرر مثل هذا الموقف في اليوم الواحد عدة مرات)، ولكن إذا صبر أحمد قد لا يصبر زيد، فتسمع وترى ما لا تحب أن تراه أو تسمعه، فتن وضيق وعيش صعب بين الإخوة الذين يجمعهم هدف واحد، ولكن ضيق المكان ووسوسة الشيطان بين الإخوان قد يكون هو سيد الموقف.



ومن صور حياة الأسرى داخل الغرف تعدد وتنوع التشكيلة السكانية للغرفة ما بين غزة والقدس وجنين والخليل وبيت لحم ورام الله والناصرية، وهنا تظهر العادات والتقاليد المتنوعة والمختلفة والمتناقضة أحياناً، وعلى سبيل المثال في الأكل وإعداد الطعام إذا أردت أن تعد قلاية بندورة لا تستطيع أن تعدها إلا بعد سجل من الاقتراحات؛ لأن كل أسير يريد أن تكون هذه القلاية حسب عاداته، وكما كان يأكلها عند والدته وفي بيته، فيقول: «نحن نأكلها بالثوم»، فيرد ابن البلد الآخر فيقول: «لا، نحن نأكلها بالبصل والزيت»، فيرد ثالث معترضاً: «نحن نأكلها بالفلفل»، وتستمر السجلات، وقد يؤدي الأمر إلى عدم إعداد هذه القلاية، وبالتالي هذا نموذج لبقية الأصناف الأخرى من الطعام، وما أريده هنا هو التأكيد على قضية حرمان الخصوصية، أنت مجبر على الرضا أو الرضا لا خيارات هنا، وفي هذا المقام إخواني وأخواتي، تتجلى قضية قهر الرجال في أبسط الحاجات، لا تستطيع أن تأكل على هواك كما كنت تأكل عند أمك الحنون.

ومن نماذج حياة الأسرى التي عايشتها: أبٌ قد ترك خلفه أربعة أبناء، هذا الرجل كان لا يملك أن يأخذ حريته بالنظر إليهم وهو مرتاح، لماذا؟ لأنه يريد أن يمعن النظر ويبكي ويقبل صورهم، ومن مشاهدي لهذا النوع من القهر أن هذا الرجل كان ينام مبكراً، وينتظر حتى ما بعد منتصف الليل الساعة الثانية أو الثالثة ليلاً فيضع صور أبنائه على فراشه ويبدأ ينظر ويبكي، فينظر ويبكي حتى لا يراه أحد، لماذا يفعل ذلك؟ لأنه لو فعل ذلك أمام الذين يعيشون معه على الدوام، قد يتعرض للانتقاد أو الهمز أو اللمز أو التعبير أو إلخ.



ومن صور اليوميّات مشاعر الرجل تجاه زوجته الصابرة التي تنتظره، عندما يشّتاقي إليها يوميًّا وهو يقدّر معاناتها وصبرها، فإذا امتلك صورة لها لا يستطيع أن ينظر إليها مرتاحًا، تجده يحتفظ بهذه الصورة بين أوراقه وكتبه حتى لا يراها لا عدو ولا صديق، وإذا أراد أن ينظر إلى زوجته وأم عياله التي هي حليلته لا يستطيع أن ينظر إلى صورتها وهو مرتاح؛ لأنه محاط بالإخوة من كل جانب، فكيف سيتجرأ ويحمل الصورة بيده وينظر إليها، فيتمنى سرقة لحظة داخل الغرفة لا يكون هناك أحد حتى يأخذ راحته بالنظر إلى صورة زوجته.

مرة أخرى لا مقام للخصوصية في السجن حتى في المشاعر الخاصة، لا تستطيع أن تنظر إلى صورة زوجتك مرتاحًا، وللتأكيد مرة أخرى أنا لا أتحدث عن قهر العدو حتى هذه اللحظة، بل أتحدث عن قهر الرجال من الرجال، وعن قهر الرجال من ضيق المكان.

122

أما عن فتنة المكان وطول الإقامة فتؤدي إلى تفشي أمراض عديمة العلاج بين الإخوان، وإلى سوء العلاقة والضعيفة والحقْد والتقاطع والخصومة، ومن نماذج هذه الحالة الأمراض النفسية المتعلقة بالهوس، والشك وسوء الظن، فمثلاً تجد عمر قد جلس مع زيد على سريرهِ يتحدثان في موضوع معين لمدة ساعة مثلاً، فتجد أحمد قد غضب وصاح: لقد سمعت كل ما قلتماه عني، لماذا تتحدثان عني؟ هذا النوع من المرض يخيل لصاحبه أن كل اثنين يجلسان معًا يتحدثان عنه، هذا الهوس أدى إلى نزاعات وخصومات وقهر لا يمكن وصفه؛ لأن صاحب المرض قد استوطن داخل نفسه أن هؤلاء يتحدثون وينظرون إليه، أو يتحدثون عن



السلوك أو التصرف الفلاني عنه، وهكذا من هذه التخيلات والتهيؤات التي تتولد لدى الأخ المصاب، وهذا للأسف سببه الرئيس طول المدة والحرمان من الحرية، وحتى تتغلب على هذا القهر أنت بحاجة إلى معرفة نفوس إخوتك، وكيف سترد على هذه الانفعالات والتصرفات التي لا يمكن علاجها، وقد ينتهي بكل الحال أن تخاصم أو تصبر وتسامح، وهذا حسب الحال، ولكن نهاية الموقف قهر رجال.

ومن فتن المكان التي تقهر الرجال الحسد، والحسد تمنى زوال النعمة عن الغير، وبأمانة أقول إن إخواني الأسرى يتتابهم الحسد، ولكن إثباتهم وحبسهم في هذا المكان أدى الى انتشار مثل هذا المرض الذي أصاب للأسف شريحة منهم.

ومن الأمراض التي فرضتها حالة الحبس والقهر الغيبة والنميمة والقييل والقال، جميع الإخوة داخل المكان المغلق عبارة عن عورات مكشوفة على مدار الساعة، فأنت تحت المجهر، كيف تأكل وتشرب؟ كيف تنام؟ متى تخطئ؟ متى تتعب؟ خطواتك وسقطاتك كلها مسجلة عليك، فتجد مادة الحديث في الجلسات مركزة على هذا الجانب، فلا أستطيع أن أخفي هنا أن الأسرى يعانون من تفشي هذا المرض في أعداد واسعة بين الأسرى، والشق الصعب في هذا النوع من القهر أنه لا يوجد سر يخفى، فإذا ما حصل حدث معين في غرفة من الغرف أو قسم من الأقسام أو في سجن من السجون تجد أن الحديث قد انتقل وانتشر، وأحياناً تضاف عليه الإضافات الخاصة.



من صور الحياة داخل الأسر وفي الغرف المغلقة عندما تعيش يوميًا مع إخوة مرضى يعيشون معك في نفس الغرفة، منهم من يحمل مرضًا من خارج السجن، ومنهم السواد الأعظم الذين أصيبوا بالأمراض داخل السجن ومع مرور السنوات، ومنهم الإخوة الكرام الذين أصيبوا خلال المواجهات مع العدو، أو خلال تنفيذهم عمليات بطولية، فتجد مبتور الأطراف، وتجد المصاب بالسرطان، وتجد المريض بالسكر والضغط، وتجد المعاق، وتجد حتى الكفيف الذي لا يرى محبوبًا معك، وتجد الذي يعاني من نزيف دائم في الأمعاء، وتجد الأصم الذي لا يسمع، وتجد الأخرس الذي لا يتكلم، وتجد من يعاني ضمورًا في العضلات، وتجد إخوة قد شوهت وجوههم، وآخرين قد كسرت ظهورهم، ويمكن لك أن تتصور هذا كله في غرفة تعيش فيها مع واحد فقط من هذه النماذج، ومن أكثر مشاهد يوميات الأسير عندما لا تستطيع أن تقدم لأخيك المريض أي نوع من العلاج، وخاصة أن عدوك تركهم يموتون دون علاج حقيقي أو اهتمام.



الوقوف الإجباري

لتوضيح هذا النوع من القهر لا بد من التعريف بأن الأسير يجبر على الوقوف على القدمين وقوفاً كاملاً ثلاث مرات في اليوم، أي بمعنى تقديم الاحترام لضابط العدو الذي يأتي لتعداد الغرفة، بمجرد فتحه للغرفة يجب على جميع سكان الغرفة أن يقدموا له الاحترام وقوفاً على الأقدام.

125

عندما تحدث الله ﷻ عن أوقات الاستئذان في أوقات سكن الناس وراحاتهم ونومهم، جاء هذا العدو واختار هذه الأوقات الثلاثة متعمداً حتى يقهر الأسير فيها، ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ﴾ [النور: 58]

لقد اختار هذه الأوقات بعناية فائقة حتى يعمق جراح الإهانة والإزعاج والأذى للأسير الضعيف الذي لا حول له ولا قوة إلا بالله وحده.

ولك أخي القارئ أن تتصور معي الموقف المحزن، عندما يُفتح الباب بعنف الساعة الخامسة والنصف من بعد الفجر، لتجد على باب غرفتك قوة مدججة بالعصي والخوذ الحديدية والغاز المسيل يتقدمها ضابط برتبة نقيب يقول لك: عدد! عدد! وفي وقت الفجر تبدأ الآلام والآثار



النفسية للإخوة العشرة، منهم من لم ينم طول الليل، ومنهم من لا يستيقظ إلا بعد أن توقظه عشرات المرات، ومنهم الذي يسبح في حلم عميق، ومنهم من هو على هيئة من العيب أن تنظر إليه؛ لأنه لا يزال بملابس النوم، وقد يكون في وضع محرج للغاية، والله أيها الإخوة والأخوات إن الموت أهون على الإنسان في هذه الحالة من أن يعيش هذه الحالة، تجد أن عدوك بقوته المؤلفة من عشرين سجاناً، ينظرون إليك ويستعرضون سوءتك وعورتك، في أوضاع وهيئات مخرجة يستحي الإنسان في داخل بيته أن يكون عليها؛ لأنك تتحدث عن عشرة رجال قد استيقظوا للتو من نومهم.

أما عن الأثر النفسي والقهر الداخلي لهذه الإهانات فهذه الإهانات قد تركت جراحاً عميقة في نفوس الأسرى لا يمكن للمرء التعبير عنها.

126

ما أود أن أصل معك به، أخي وأختي، هو أن هذا العدد فقط من أجل إهانة السجناء للأسرى، وماذا يستحق من يرفض الوقوف على العدد إذا دخل العدو إلى غرفتك؟ إذا كنت في بيت الخلاء يجب أن تخرج، وإذا كنت تقوم بأي عمل يجب أن تقف وتتبه للضابط القادم، إذا رفضت أن تقف أو رفضت أن تقوم من نومك أو أحياناً تأخرت بالوقوف في هذه الحالة تعاقب على الفور.

يتم أخذك بالقوة من داخل الغرفة، ونقلك إلى زنازين انفرادية خالية من كل مقومات الغرفة التي تعيش فيها لمدة أسبوع، وتعتقد لك محكمة داخل السجن يرأسها نائب المدير أو ضابط برتبة عليا، ويخبرك بسلسلة العقوبات المترتبة عليك، وهي بالإضافة إلى العقوبة السابقة:



حرمانك من زيارة أهلك لمدة شهر.

دفع مبلغ 250 شيكلًا.

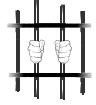
حرمانك من الشراء من الكانتينا لمدة شهر.

منعك من الخروج للساعة الرياضية لمدة شهر.

تتعهد بـ ألا تعود لهذا الأمر مرة أخرى.

استكمالا لموضوع العدد، وقد تحدثنا عن العدد الصباحي من بعد الفجر؛ فما أن تأتي ساعة الظهيرة ومن بعد صلاة الظهر، وكما هو معروف وفي هذا الوقت تميل النفس إلى الاستلقاء والراحة والقيلولة، وفي هذا الوقت يتخفف الإنسان من ثيابه ليرتاح، فبمجرد دخولك هذا الجو تسمع ذاك الصوت المزعج يناديك مرة أخرى أيها الأسير عدد الظهر، فإذا كنت في سنة من النعاس تذهب ولا تعود، وإذا كنت متعبًا ومرتاحًا ينغص عليك هذا الجو من الراحة والهدوء بأن تقوم مرة أخرى واقفًا على كلتا قدميك لسجان ظالم مستبد، في موقف يسوده القهر والعنف والحزن والمعاناة لكرامة الإنسان.

وفي نهاية النهار من بعد الغروب حتى صلاة العشاء يتم إغلاق كل مرافق السجن، تظن أن الأمر قد انتهى؟ لا لم ينتهِ، ويجب أن يختتم معك هذا العدو النهار، فيأتيك قبل أن تنام بالعدد الأخير، وهو عدد المساء، وهذا العدد يختلف عن العديدين السابقين، في هذا العدد يأتي السجان ومعه ملفات تحتوي داخلها على بطاقة لكل أسير، تحتوي على صورته الشخصية



واسمه الرباعي ورقم خاص للأسير، فيقوم السجان بالنداء على كل أسير باسم العائلة، عندما يقوم السجان بالتأكد من صحة الاسم والصورة، وهذا يطبق على كافة الأسرى المتواجدين في كل غرفة كل على حدة.



سياسة متقنة للإزعاج الدائم

كما ذكر سابقاً يوجد لكل غرفة باب من الحديد الصلب، وهذا الباب يفتح ويغلق كهربائياً، ولكن خلال الليل يركب عليه أقفال حديدية يتم إزالتها الساعة الخامسة فجراً، وهنا أبدأ معكم، إخواني وأخواتي، الكلام بوصف حالة الإزعاج غير المنتهية، حيث يقوم السجناء بإزالة هذه الأقفال بطريقة مزعجة جداً؛ لأن القفل الواحد يثبت بين قطعتين من الحديد بينهما فراغ وأي عملية تحريك للقفل خلال تركيبه وفكه تؤدي إلى إخراج صوت مزعج للباب بسبب احتكاك الحديد مع بعضه البعض، فعملية إزالة الأقفال وحدها تؤدي إلى استيقاظ معظم الإخوة السجناء، وبعد نصف ساعة من هذا الإزعاج، الساعة الخامسة والنصف، تأتيك كتيبة من الشرطة تنادي: «عدد، عدد»، ويقومون بعملية التعداد التي ذكرتها سابقاً، وهذا يشكل إزعاجاً ثانياً، لا يوجد فاصل بين الإزعاجين سوى نصف ساعة فقط.

أما الإزعاج الثالث فيكون الساعة السادسة والنصف، أي بعد نصف ساعة أو ساعة من العدد، تتمثل في إخراج الوعاء أو الكيس الذي يوضع فيه مهملات وقاذورات وأغراض الغرفة، والغرفة مغلقة من مساء اليوم السابق لا تفتح إلا في الصباح، فتجد الباب الحديدي تم فتحه والمنادي يقول: أخرجوا لنا الزبل، فيستيقظ السجناء المسكين مرة أخرى،



فلا نوم ولا هدوء ولا سكون، أما الساعة السابعة صباحاً بعد أن تسكن الغرفة قليلاً فيأتيك المناوب على الباب، وبصوت مرتفع: هل يرغب أحد بالخروج للساعة الرياضية؟ وهذه الساعة موعدها من (7 - 8) صباحاً، وإذا كانت الاجابة نعم يفتح الباب ويطرق مرة أخرى، فعملية المناداة وفتح الباب وإغلاقه تؤدي إلى الإزعاج وإيقاظ النائمين مرة أخرى.

وبعد 40 دقيقة تبدأ النزهة الصباحية أو الفورة، وهنا تبدأ من الساعة 7:40 وحتى لا يحرم منها الأسير تبدأ المناداة على الغرف؛ لأن الفورة الأولى استعداد، فمن يريد أن يخرج للفورة يستيقظ ومن لا يريد أن يخرج ويرغب بالنوم يستيقظ من الأصوات.

وتستمر عملية الإزعاج والقهر من السجناء للمسجون دون رحمة أو توقف، فبعد نصف ساعة فقط من هذا الإزعاج ينادي المنادي للفحص الصباحي، ماذا يعني الفحص الصباحي؟

هذا يجري يومياً للغرفة بحيث يتم إيقاظ جميع الأسرى داخل الغرفة الساعة الثامنة والنصف صباحاً، ويتم نقلهم إلى الغرفة المقابلة، فإذا تحدثنا مثلاً عن نفحة: يتم نقل الغرف الخمس الموجودة في الجهة اليمنى إلى الغرف المقابلة في الجهة اليسرى، وأنت تتحدث هنا عن إخوة نائمين ستقوم بإزعاجهم، وإخراجهم من الغرفة، منهم من يحتاج أن يغسل وجهه، ومنهم من هو بحاجة إلى الذهاب إلى الخلاء، ومنهم من ينظف أسنانه، فعملية تفرغ الغرف الخمس على الجهة المقابلة قد تستغرق ساعة أحياناً، وهذا السجناء يدخل إلى الغرفة وهي فارغة من الأسرى، ويقوم



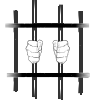
بعملية فحص لأمتعة الشباب الموجود في الغرفة، ويقوم أيضًا بفحص أرضية الغرفة، وينفض الغرفة بالكامل، وأحيانًا يجري لها تفتيشًا أو يقوم بمصادرة أي شيء ممنوع أو غير مرغوب فيه.

ولا تنتهي عملية الإزعاج هنا، بل بعد أن يتم فحص غرفتك وترجع إليها، يأتي معك سكان الغرفة المقابلة لك ويجلسون معك في غرفتك الضيقة؛ لأنهم سيتعرضون لنفس عملية الفحص المذكورة، وهذا كله على حساب الأسير ووقته وراحته واستقراره ونومه وسكينة.

ينتهي هذا السيناريو عمليًا الساعة العاشرة صباحًا، فيكون وقت النوم قد انتهى؛ لأن هناك إجراءات وحركة تتم داخل السجن فيها ما يخص حياة كل غرفة من إعداد الفطور أو تنظيف الغرفة أو أخذ جلسات تعليمية أو إلخ. فأنت عمليًا من الساعة الخامسة فجرًا حتى العاشرة صباحًا في إزعاج مستمر، ولا تستطيع أن تنام إلا دقائق تسرقها سرقة بين الحين والآخر.

وهذا كله، أيها الإخوة والأخوات، تم دراسته وإعداده من قبل السجن حتى لا يدعك تنام أو ترتاح، يريد لأعصابك أن تنهار، ولا يريد لك أي نوع من الشعور بالراحة ليلًا ولا نهارًا.

وبعد هذا العناء وتناول وجبة الافطار وصلاة الظهر تستمر حالة الإزعاج والقهر فيأتيك العدد الثاني وهو عدد منتصف النهار، فيتم إجراؤه بالآلية المذكورة سابقًا، ولا داعي لتكرار المشهد مرة أخرى.



إزعاج وعناء مستمر ومتواصل، بعد انتهاء إجراءات عدد الظهرية، وما تلبث أن ترتاح قليلاً ينادي النادي للفحص المسائي، ما بين الظهر والعصر يأتي الفحص المسائي وتاماً كما شرحت لكم، إخواني وأخواتي، في كيفية الفحص الصباحي، يقوم العدد بإجراء عملية فحص كاملة للشباك والأرضية وتفقد الغرفة مرة أخرى بعد أن يقوم بتفريغها من سكانها تماماً، وتستغرق هذه العملية كالعادة ساعة كاملة ذهاباً وإياباً، وعند الساعة السادسة يتم إغلاق السجن والأقسام والغرف وتنتهي الحياة وكأنها جنازة قد تم دفنها وخرج الناس من المقبرة، وعلى موعد مع جنازة أخرى حين يأتي صباح اليوم التالي.

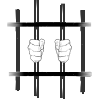


ليل السجن

العدد المسائي لا ينتهي مسلسل الإزعاج والإرهاق، بل هناك مطاردة مستمرة للأسير حتى في فراشه وليله وإليك التفصيل:

الليل في كل مكان للسكن والنوم والهدوء والراحة، أما هنا في السجن فالأمر مختلف تمامًا، فبعد أن تبدأ ساعات الليل هناك سياسة قد وضعها السجان تحت ذرائع واهية، الهدف منها فقط قهر الإنسان وإزعاجه وتحطيم نفسيته، فخلال الليل أنت عرضة إما لعملية تفتيش مفاجئة، أو لعدد إضافي يفتح فيه أبواب الغرف، والمعنى هنا أنك تبقى طيلة ليلك تنتظر قدوم تلك الوجوه القبيحة إلى غرفتك في أي لحظة، فلا مقام للنوم أو الراحة.

وحسب نظام الإزعاج المتواصل يستمر الإزعاج طيلة الليل عن طريق الشرطي المداوم في قسمك، وحسب القانون المعمول به في منظومة الأمن يجب أن يمر كل 15 دقيقة إلى غرفتك ويضيء داخل الغرفة بالمصباح اليدوي قوي الإضاءة ويتفقد الأسرى في أسرهم عن طريق هذا المصباح المزعج، وإذا فقد أي أسير يتوقف ويسأل أين صاحب هذا السرير؟ هل يوجد أحد في الحمام؟ وقد يصل به الحال أن يوقظ ويزعج كل سكان الغرفة من الأسرى الذين لم يهتئوا بساعتين متواصلتين فقط من النوم دون إزعاج، وتستمر جولة الإزعاج هذه طيلة الليل حتى ساعات الفجر الأولى



التي تمتد تبعاتها سابقاً في فقرة إزالة الأقفال، عملياً أنت خلال اليوم لا تستطيع أن تنام بأمان ليلاً أو نهاراً، وهذا كله ليس عبثياً، وإنما هو برنامج تم صياغته بشكل مدروس ومتعمد من أجل إرهاق وتعذيب وقتل الأسير في كل يوم خلال سجنه.



التفتيشات

وهي أحد ألوان العذاب التي يتعرض لها الأسير في حياته اليومية في السجن، وفيما يأتي تفصيل لذلك:

أولاً: وقت التفتيش:

في السجن لا زمان ولا توقيت ولا تحديد ولا موعد للتفتيش، وقد يكون بعد منتصف الليل، وقد يأتي قبل الفجر، أو بعد الفجر، أو في ساعة الظهيرة، أو خلال العدد الصباحي والمسائي، وهذا الأمر المتعلق بعدم وجود أوقات معينة للتفتيش يجعل الأسير في حالة توتر عصبي وضيق نفسي، وحالة من عدم الاستقرار الداخلي؛ لأنه في كل لحظة ينتظر مفاجأة السجن له بالتفتيش، وبحكم شريعة الغاب التي ليس عليها رقيب تجدد السجن يتفنن في مفاجأة السجين الذي لا حول له ولا قوة بالتفتيش بطرق ووسائل متعددة، وتجدد السجن يخادع ويموه في كل مرة بطريقة جديدة في كيفية قيامه بهذا التفتيش كما سنرى خلال حديثنا عن أنواع التفتيش.

ماذا يعني التفتيش؟ التفتيش لدى السجين له معانٍ عديدة وله آثار عميقة، أهمها الاعتداء على كل ما هو خصوصي للإنسان، مثلاً السجين له خصوصيات مع نفسه ومع أهله ومع زوجته وأبنائه، فلديه كتابات خاصة من مذكرات أو أشعار أو خواطر، ويوجد له صور خاصة بزوجته



أو أبنائه وأهله، ولديه ترتيب معين لسريته وخزانة ملابسه، ولغرفته التي هي بمثابة بيته، هذا بالإضافة لاحتفاظه سرًا بكل ما هو ممنوع في السجن؛ إذ يحاول إخفاءه بأي طريقة؛ لأنه سيصادر إذا تم ضبطه.

فإذا حضر التفتيش تجد جرادًا منتشرًا يجتاح بيتك الصغير (الغرفة)، وهنا لا يسلم شيء في داخل الغرفة من العبث به، فيتم النظر إلى ما هو محرم كصور الأهل، خاصة بحجة البحث عن كتابات ممنوعة كأرقام تلفونات أو غيره، ويتم قراءة أي إفادة مكتوبة، يحتفظ بها الأسير بحجج أمنية واهية، كالبحث عن مواد تحريرية أو دراسات ووثائق سرية للأسرى، وفي كل تفتيش تجد السجنان قد أحضر كيسًا كبيرًا حتى يصادر كل ما يعكر مزاجه.

وبعد كل تفتيش تخريب وتدمير وتخطيط ومصادرة لأغراض الأسير، هذا التفتيش بكافة أنواعه وأوقاته يشكل قهرًا للرجال على مدار الوقت.

136

ثانيًا: حالات التفتيش:

التفتيش ليس نوعًا واحدًا، بل أنواعًا متعددة وطرق، وكيفية متعددة حسب الظروف والأحوال وإليك التفصيل:

(1) التفتيش خلال الفحص الصباحي أو المسائي: حيث من خلال قيام السجنان بفحص الغرفة يخبر بأنه سيقوم بتفتيش الغرفة التي يختارها حسب التوصيات الموجودة لديه.

(2) التفتيش خلال العدد الصباحي أو المسائي أو وقت الظهيرة:



حيث خلال عملية العدد يختار السجن أي غرفة ويدخل إليها مباشرة؛ لأن قوة العدد تشكل قوة كافية لأي عملية تفتيش أو مواجهة مع الأسرى.

(3) تفتيش قوة السجن خلال ساعات النهار أو الليل: وهذا النوع من التفتيش ليس له وقت محدد، في أي وقت ترد تقديرات السجن بأن هناك حاجة لتفتيش غرفة أو غرفتين أو أكثر، يقوم الضابط المناوب بجمع قواته، ويدخل لتفتيش الغرفة التي يريد في الوقت الذي يحدده.

(4) التفتيش الفوري والمفاجئ: وهذا النوع يتم خلال لحظة مفاجئة وذلك خلال مراقبة السجن للغرف، إذا رأى داخل أي غرفة أمرًا مخالفًا يثير شكوكه من الممنوعات، أو إذا رأى داخل أي غرفة أمرًا مخالفًا لقوانين السجن، فيقوم بإخبار الإدارة، والتي بدورها تحضر قوة وتدخل إلى الغرفة التي تم تحديدها، فيقومون بعملية التفتيش.

(5) التفتيش العام للسجن: وهذا النوع يتم إجراؤه كل شهرين إلى أربعة شهور لكافة غرف ومرافق السجن عن طريق إحضار قوات كبيرة من السجنائين من كافة السجون، فيقومون بعملية تفتيش كاملة لكافة الغرف والمرافق، وهذا ما يسمى عند الأسرى تفتيش «البوسطة».

(6) تفتيش الوحدات الخاصة: تفتيش وحدة المتسادا (تفتيش الصخرة): هذه الوحدة تم تشكيلها بعد إضراب 2004م على يد مسؤول مصلحة السجن «يعقوب فرانكوا»، وهي من أول الوحدات التي قامت باقتحام غرف الأسرى، هذه الوحدة الهدف منها ليس إجراء عملية التفتيش إنما الهدف الرئيسي لها هو الاقتحام المفاجئ والترويع، جنود هذه



الوحدة يمكنهم أن يقتحموا الغرفة في أي وقت كالساعة الواحدة ليلاً أو الرابعة فجراً أو بعد العشاء، وهي الوحدة الخاصة الوحيدة التي تقتحم بالسلاح حيث جنودها يزودون بالسلاح، وأسلحة الفلفل من مسدسات وبنادق، ولا يمكن معرفة أحد من أفراد هذه الوحدة؛ لأنه مغطى الوجه والرأس تماماً إلا عينيه.

هذه الوحدة تقتحم بطريقة مرعبة لا يمكن لبشر أن يُعامل كما يعامل أفراد هذه الوحدة الأسرى؛ لأنها لا تقتحم إلا والأسرى نيام حيث يتم فتح الباب بشكل مفاجئ ويقوم أفراد الوحدة بإنزال كافة الأسرى داخل الغرفة وإلقائهم على الأرض على وجوههم تحت تهديد السلاح، ثم يتم تكبيلهم بالقيود، وبعد ذلك يتم إجلاس كل أسير حبواً على ركبتيه ورأسه إلى الأسفل في عملية إذلال متعمد.

138

وفي كثير من الاقتحامات لهذه الوحدة يتم الاعتداء بالضرب على الأسرى، واستخدام رصاص الفلفل، وتحدث إصابات في صفوف الأسرى خلال عملية الاقتحام.

غالباً ما تحضر هذه القوة خلال المواجهات والاستنفارات داخل السجن، وعند حدوث خلافات وإشكاليات بين السجنان والأسرى، أو عند حدوث مشكلة مع أفراد غرفة معينة يصعب السيطرة عليها.

المهم في هذا النوع من التفتيش أن الهدف ليس التفتيش، بل إذلال وإهانة وقهر الأسير، ومن أسوأ مظاهر وآثار هذا التفتيش هو إهانة الإخوة الكرام كبار السن والقدامى الذين كبرت سنهم حيث يتم طرهم



على الأرض والاعتداء عليهم، منهم الشيخ الكبير ومنهم المريض ومنهم الذي له مكانة عند الأسرى، كأن يكون مسؤولاً عن فصيل كامل (أميراً عاماً أو موجهاً أو عضواً أو في مجلس الشورى).

في كثير من الأحيان يعتمد السجناء إهانة الشخصيات الاعتبارية التي تشكل قيادة للأسرى.

وما لا أستطيع إخفاءه هنا وحتى يعلم أبناء شعبي ما هو حال الأسرى خلف القضبان؛ أن هذه الوحدة إذا دخلت إلى الغرفة وكان أحد الأسرى داخل الحمام يتم اقتحام الحمام عليه وإخراجه على حاله التي هو عليها، دون مراعاة لأي خصوصية أو احترام للإنسان وكرامته.

في سجن إيشل 2005م، دخلت هذه الوحدة إلى قسم (15) ليلاً وكان أحد الإخوة الكرام يغتسل، فدخلوا عليه في مستحمه، وأكثر ما قدموه له أن وضعوا المنشقة عليه، والتي لم تغطِ إلا بعض الأجزاء من جسمه.

- تفتيش وحدات الدرور واليهاز: هذه الوحدات أيضاً وحدات خاصة مدربة تدريباً جيداً على الاقتحام في أي وقت للغرف، وغالباً ما يتم جلبها من أجل العثور على الهواتف الخلوية المهربة داخل غرف الأسرى، وأساس عملها هو الاقتحام المفاجئ والعثور على الممنوعات دون أن تحدث احتكاكاً مع الأسرى، وهذه تم إنشاؤها بعد العام 2006م، بعد انتشار عمليات إدخال الهواتف النقالة داخل السجون، وأصبحت هناك عمليات مطاردة ساخنة بين إدارة السجن والأسرى على موضوع الهواتف (هذا سأحدث عنه فيما بعد بالتفصيل).



هذه الوحدة تقتحم في أي وقت، وغالبًا ما تأتي بعد صلاة الفجر، وهذه الوحدة اليوم تشكل أكبر إزعاج للأسرى؛ لأنها لا تأتي إلى غرفة من غرف الأسرى إلا وتقوم بإجراء عملية تفتيش دقيقة لكل محتويات الغرفة وسكانها وذلك على النحو التالي:

عادة ما تقتحم هذه الوحدة الغرف بشكل مفاجئ معتمدة على عنصر المفاجأة؛ لأنها كما ذكرت لا تحضر إلا لأمراض ضروري، فهدفها الرئيس يكون تحقيق الهدف من الاقتحام بعد فتح الغرفة مباشرة لأفراد الوحدة المقنعين والذين يلبسون لباسًا خاصًا بالدروع والخوذ، وجميع التجهيزات اللازمة لعنصر القوة الخاصة، يسيطر على كل أسير اثنان من أفراد الوحدة على الأقل، ويتم تقييده بالقيود على الفور، وعادة ما تساند هذه القوة بقوة السجن التي تأتي وقت العدد، وبعد السيطرة على كافة الأسرى داخل الغرفة، يتم إدخال الأسرى كل أسير على حدة إلى غرفة الحمام، ويتم تفتيشه تفتيشًا دقيقًا بحيث يخلع ملابسه قطعة قطعة، ويتم فحصها من عنصر مختص بالتفتيش يصاحب هذه الوحدة، حتى الملابس الداخلية يتم فحصها ويقوم بتفقد الفم والشعر واللحية وبين أصابع الرجلين وتحت الابطين وفي كل جزء من أجزاء الجسم؛ لأنه لا يريد لعملية تفتيش كهذه أن تفشل، وبالتالي تتم هذه العملية من التفتيش والسيطرة بإذلال ومهانة وقهر لكل من هم داخل الغرفة من شيوخ ورجال وشباب دون مراعاة لأي اعتبارات وخصوصيات.

وبعد الانتهاء من عملية التفتيش لكافة الأسرى داخل الغرفة يتم إخراج الأسرى واحدًا تلو الآخر، ويتم توزيعهم على غرف القسم الذي



يكون مغلقًا بالكامل لحظة دخول ووجود هذه الوحدة إلى أي قسم من أقسام السجن.

ثم تبدأ عملية تفتيش دقيقة للغرفة سأقوم بتفصيلها حتى يعلم الإخوة الكرام كم هو القهر والإذلال والأذى الذي يلحق بإخوانهم داخل الأسر.

يحضر أفراد الوحدة معدات العمل وتبدأ الورشة التي تستمر من (6 - 8) ساعات حيث يتم توزيع أفراد الوحدة من قبل الضابط المسؤول على الأسرى، فيتولى كل شرطي من الوحدة سرير أسير، ومن المعلوم أن فرشاة السجن عبارة عن قطعة من الإسفنج تغطي بكيس من القماش البني، يقوم الشرطي بتجريد الفرشة من هذا الغطاء ويستخدمه بعد عملية الفحص ككيس يضع فيه كل أغراض ذاك الأسير، ثم يقوم بتجريد سرير الأسير الذي هو بمثابة غرفته التي يعيش فيها، ويوجد عليه كل خصوصياته من صور لأبنائه وأوراق ومستلزمات وأغطية ووسائد وأقلام ودفاتر؛ لأن الأسير عمليًا لا يملك شيئًا خاصًا به إلا السرير ورقية خزانة، وبعد ذلك يقوم شرطي الوحدة بتفكيك وتفتيش كل ما هو داخل هذا السرير، وهذه الوحدة لها صلاحيات خاصة بأن تكسر وتمزق وحتى خلع السرير من الجدار والأرض إذا أرادت، فلا حدود لصلاحياتها ولا يوجد لأي أحد سلطان على أفرادها إلا الضابط المسؤول عنها.

ما إن ينتهي كل أفراد الوحدة من التفتيش لكافة أغراض الأسرى داخل الغرفة وتجميعها في وجوه الفرشات حتى يكون باقي أفراد الوحدة



قد أخلوا كافة الخزائن من ملابس الأسرى وتم تفتيشها تفتيشاً دقيقاً، وجمعها في كيس واحد دون تمييز أن هذه الملابس لهذا الأسير أو ذاك، وتعليقاً على هذه النقطة بالذات تجد أن كل أسير بعد انتهاء التفتيش يبحث عن ملابسه ويتحدث عن الإحراجات بين الإخوة والأسرى خاصة أن هناك ملابس متشابهة، وهناك حرج في قضية الملابس الداخلية والأغراض الخاصة لكل أسير.

ويتم تجميع كافة الأدوات الكهربائية الموجودة في الغرفة، ويقوم شرطي مختص بالكهرباء بتفكيكها مما يؤدي لإتلافها أو خرابها في معظم التفتيشات.

ومن المعلوم أن الغرفة يوجد بها مطبخ ما بين الأسرّة، يحتوي على بعض المستلزمات مثل الطناجر والصحون والمعلبات والمواد الغذائية والسكر والشاي، بالطبع كل هذه الأغراض يتم فتحها والعبث بها وإجراء علمية فحص كامل لها، وعلى سبيل المثال علبة الفول يتم فحصها عن طريق الجهاز الإلكتروني الكاشف، أو يتم ضربها بمطرقة صغيرة حتى يتبين له أنها مفتوحة أم لا، وكذلك أكياس الرز والسكر والقهوة يتم إفراغها داخل أكياس شفافة حتى يكشف عما هو بداخلها، ويتأكد من عدم وجود ممنوعات داخلها، مثل شريحة جوال أو غيره.

يتم إخراج كافة مستلزمات الغرفة إلى خارج الغرفة في الساحة الموجودة بين الغرف مثل الملابس والأغطية والمواد الغذائية وأدوات المطبخ والحمام، ولا يبقى داخل الغرفة إلا السرير الحديدي خالياً من أي شيء والغرفة الفارغة.

بعد هذه العملية لا ينتهي التفتيش بل يبدأ من جديد، فيقوم



الضابط بتقسيم جدران الغرفة وأرضيتها إلى مساحات متساوية ويوزعها على أفراد وحدته، ويقوم كل شرطي بفحص الأرض أو السقف أو الجدار المخصص له فحصاً دقيقاً، مستخدماً بذلك معدات الحفر والمطارق والأزاميل والمفكات والمقادح والقطاعات، وخلال ساعات تكون الغرفة بمثابة منطقة اجتاحتها تسونامي، أو بلد قد ضربه زلزال مدمر، فتجد البلاط قد تم تكسيه، والكهرباء من مصابيح وأباريز قد فككت والجدران قد امتلأت بالثقوب، والأرض قد حفرت، ويصبح المكان غير صالح للعيش، وكأنه لم يسكن من قبل، بالطبع طيلة هذه الساعات وسكان الغرفة المفكوكة، موزعون على غرف زملائهم.

143

بعد 8 ساعات من هذا الدمار والخراب لا يتم إرجاعك إلى غرفتك إلا حسب النتائج، فإذا كانت النتيجة ضبط ما هو مطلوب مثل شريحة جوال هاتف مهرب يتم إنزال عقوبات بكل الأسرى داخل الغرفة تتمثل في: سحب كافة الأجهزة الكهربائية لمدة أسبوع، وأهمها الهواتف والراديو والتلفاز.

- حرمان الأسير من زيارة الأهل لمدة شهر.
- غرامة مالية لكل أسير 250 شيكلًا.
- حرمان الأسير من ساعة الرياضة أو الخروج للفورة.
- منع من سحب أموال من الكانتينا.



• بعد الانتهاء من التفتيش لا يرجع الأسرى إلى غرفهم إلا بعد أن يأتي عمال الصيانة المختصين بالكهرباء والجدران والأرض، ويقوموا بإصلاح كل ما دمره أو أتلفه أو أحدثه أفراد الوحدة.

المهم هنا أيها الإخوة الكرام أن ما يحدث للأسير خلال وقبل وبعد هذا التفتيش يشكل له قهراً وإزعاجاً وعبثاً ونكدًا وضيقًا لمدة أيام؛ لأنها إن يرجع إلى غرفته سيبدأ ببناء غرفته من جديد، وأهم شيء سريره الخاص به، سيعيد بناء وترتيبه من جديد، وقد يحتاج إلى أيام حتى يعيده إلى حالته الأولى، هذا بالإضافة إلى إعادة ترتيب الغرفة وأغراضها، كأغراض المطبخ والحمام، وهذا يشكل إرهاقًا كبيرًا للأسير، تستمر معاناته لأيام من بعد هذا التفتيش.

144

ومن الأمور الهامة المرتبطة بهذا النوع من التفتيش العامل النفسي الذي تشكل لدى الأسير المتمثل في عدم الراحة والأمان والسكينة في نومه بسبب عنصر المعاناة والمفاجأة لمثل هذه الوحدات في عملية الاقتحام، ومن أصعب الأمثلة وأكثرها حزنًا وأذىً أنك أحيانًا بعد صلاة الفجر تريد أن تقضي حاجتك وتكون لك ضرورة ماسة، فلا تستطيع أن تذهب مطمئنًا؛ لأنك بسبب ظروف معينة تتوقع قدوم هذه الوحدة فتبقى تؤجل الأمر مما يتسبب لك بأمراض وضيق في نفسك، وكذلك إذا أردت أن تفتش في مثل هذه الأوقات تجد أنك تسرق الوقت سرقة قبل أن تدهمك هذه القوة والتي لن تترك بحال سييلك.

وفي المحصلة كافة التفتيشات التي ذكرناها سابقًا ولاحقًا ما هي إلا



سلسلة من السياسة المنهجية التي رسمتها إدارة مصلحة السجون من أجل قتل الروح المعنوية واذلال واهانة الأسير، وقتله كل يوم وكل ساعة ما دام متواجداً داخل الأسر.

ومن آثار هذه التفتيشات على كثير من الإخوة الأسرى أنهم أصبحوا يتخلصون من معظم أغراضهم الخاصة مثل صور الأهل ورسائل الأهل، وكل ما هو زائد عن الحاجة من ملابس وأحذية وحاجيات أخرى؛ لأنهم باتوا يخسرون معظم هذه الأغراض والمقتنيات لكثرة التفتيشات التي تجري داخل الغرف على مدار الأيام.





النقل المفاجئ لأقسام السجن

تقوم إدارة السجن بمفاجأة الأسرى في قسم من الأقسام بعملية نقل مباشر ومفاجئ بحجة إجراء تفتيش لقسم ما، فيتم مهاجمة القسم من بعد الفجر، وإخراج كافة الأسرى عن طريق وحدات من داخل وخارج السجن، ويخرج كل أسير بملابسه التي كان قد نام فيها، وفي ذلك اليوم لا يسمح له بحمل أي شيء من أغراضه، وتتم عملية النقل إما إلى قسم فارغ داخل السجن نفسه، أو إلى قسم ما في سجن آخر لمدة عشرة أيام أو أسبوعين حتى تتم عملية التفتيش، وعادة ما يتم نقل الأسرى في حالة سيئة من عدم الاستقرار وعدم وجود أغراض أساسية ومقتنيات الغرف والملابس، يبقى 120 أسيرًا يعانون من هذا النوع من القهر والضييق لمدة أسبوعين، وعادة ما تقوم إدارة السجن بعملية نقل دوري لكل قسم من الأقسام، حتى تكتمل دورة كاملة لكل قسم من الأقسام بحيث لا يستطيع الأسير أن يقيم إقامة مستقرة في نفس القسم أو الغرفة، بالطبع هذا كله قائم على دواعٍ أمنية يضعها السجن كذريعة لممارسة هذه السياسات الظالمة للأسير.





إزعاج الأسير

الإزعاج الدائم عن طريق مكبرات الصوت:

يوجد للسجن غرفة تحكم تربطها بكافة الأقسام ومرافق السجن كاميرات مراقبة، هذه الكاميرات مرتبطة بغرفة التحكم حيث تم توزيع مكبرات صوت وساعات مزعجة جداً في كافة أقسام السجن، وعلى مدار الساعة يقوم موظفو هذه الغرفة بالمناداة بمكبر صوت كبير، حتى الإدارة الداخلية للسجانيين تستخدم هذا المكبر، تماماً كما هو الحال في المطارات والمستشفيات، وإذا تم المناداة على ضابط أو شرطي أو قسم معين أو أسير يخرج هذا الصوت على كافة سماعات الأقسام، وعلى مدار الساعة هناك استخدام لهذه المكبرات للصوت، سواء للسجانيين أنفسهم أو للمناداة لأمر تتعلق بالأسرى، مثل حضور العدد أو انتهاء الفورات أو الدخول للغرف، وعلى مدار الساعة تحرم من النوم.

الإزعاج عن طريق صفارة الإنذار أو الطوارئ:

هذا يشكل إزعاجاً من نوع آخر للأسرى حيث يؤدي في معظم الأحيان إلى حرمانهم من حقوقهم وإغلاق الغرف عليهم لساعات طويلة، ففي أي وقت يتم إطلاق هذا الجرس، على جميع الأسرى الالتزام في داخل الغرف، ويمنع أي أسير أن يتحرك خارج غرفته، وعلى الفور يتم تجميع كافة السجانيين في نقطة معينة في السجن.



ومن أهم آثار هذا العقاب أن الأسرى في كثير من الأحيان يكونون في ساحة الفورة عندما ينطلق هذا الزامور، فيتم إدخالهم على الفور إلى غرفهم، وبذلك يتم حرمانهم من أهم حقوقهم اليومية وهو النزهة أو الفورة التي تمثل نفساً وروحاً للسجين يستطيع من خلالها الخروج من غرفته والمشى وتغيير الجو، والقضاء على الروتين القاتل، وللأسف لا يتم تعويض الأسير ساعات بديلة عن التي خسرها خلال ساعة الطوارئ هذه، والتي في معظم الأحيان تكون عبارة عن تدريب للسجانين على أمر معين، أو بسبب تعمد السجان إغلاق السجن وحرمان الأسرى من هذا المتنفس، ولا حدود ولا زمان ولا مكان لهذا النوع من القهر، فالسجان هو الذي يتحكم بهذا النظام، ويقوم بإجراءاته كيف يشاء ومتى شاء دون رقيب أو حسيب.

كثيراً ما يستمر هذا الأمر لساعات قد تستغرق كافة اليوم، وكلما سأل السجين عن السبب يكون أسهل الردود: «لدينا حالة طوارئ داخل السجن، ولن يتم فتح الغرف أو الأقسام إلا بعد إذن من الضابط المسؤول»، وتستمر المراوغة طيلة اليوم حتى يأتي موعد إغلاق السجن، وعندها يحرم الأسير من كافة حقوقه اليومية.



الأسير تحت المراقبة

على مدار الساعة وذلك من خلال الكاميرات المنتشرة في كل مكان يتحرك فيه، إذا خرج الأسير من باب غرفته إلى الممر الذي يفصل بين الغرف فإنه تحت مراقبة الكاميرات، أما إذا تحرك إلى الساحة أو الفورة التي يتنفس فيها فإن الكاميرات تحيط به من كل جانب، كذلك إذا خرج إلى العيادة أو إلى زيارة الأهل أو إلى أي مكان في السجن فإن الكاميرات تطارده، وتم تركيبها في كل زاوية من الممرات، فعملياً الأسير طيلة أيام سجنه تحت المجهر، داخل غرفته مراقب على مدار الساعة، وخارج غرفته إذا تحرك فهو تحت المراقبة، فالأسير مراقب مع من يمشي وتراقب حركاته وسكناته، ولا يوجد أي معنى لخصوصيته، فهو على مدار شهوره وسنواته تحت المراقبة عن طريق الأجهزة المرتبطة بهذه الكاميرات على مدار الساعة.

فأنت لا تشعر ولو للحظة واحدة أنك تمارس شيئاً من الحرية، أو لا تشعر أنك تمشي أو تلعب أو تفكر أو تمشي مع صديق وتتجاذب معه أطراف الحديث وأنت غير مراقب، فأنت مكشوف على مدار الوقت، وهذا الأمر بالطبع يترك آثاره السيئة على كل أسير، فإذا حصل أي تطور مع الإدارة من إشكاليات أو مواجهات، سواء في الساحة أو في الممرات أو في أي نقطة تجد الرجوع إلى الكاميرات سهل جداً، ويتم الكشف عن كل الإخوة الذين شاركوا في أي أمر من الأمور التي قد تحدث بين الحين والآخر.





عملية جرد الملابس وآثارها

من ضمن سياسة الإذلال للأسير أن السجناء يقوم كل ستة أشهر بعملية جرد وعد للملابس الموجودة لدى الأسير، وهذا الأمر لا يقتصر على مجرد التسمية القانونية، وإنما هناك مساس حقيقي بكرامة الأسير وخصوصيته خلال عملية الإذلال هذه، فيتم إغلاق القسم منذ الصباح، ويمنع الأسرى من التحرك من داخل الغرف، ويتم إحضار عدد من الطاولات وأعداد كبيرة من السجناء يرافقهم عدد من الضباط، ويقوم كل أسير بتجهيز كافة أغراضه التي يمتلكها من ملابس وأدوات كهربائية أو حرامات أو وسائل، ويخرج كل أسير إلى طاولة من هذه الطاولات ويبدأ عملية الجرد والتسجيل والمصادرة؛ لأنه حسب قانون مصلحة السجون يجب أن يكون لدى الأسير مثلاً بلوزة نصف كم عدد اثنين فقط، وبلوزة كم عدد اثنين، وجاكيت واحد، وبنطلون عدد اثنين، يقوم السجناء بعملية العد هذه ويصادر كل ما هو زائد عن العدد القانوني بالرغم من أن الأسير قد اشترى هذه الملابس من أمواله وأدخلها عن طريق الزيارة من الأهل، وتصادر الملابس ذات الألوان الممنوعة وتصادر أي ملابس مخالفة للقانون.

وأشوأ ما في الأمر وأكثره قهراً عندما يبدأ السجناء بعد الملابس الداخلية لرجل تجاوز عمره 40 عاماً أو أكثر أمام السجناء والسجانات في موقف مخجل ومذل، تستمر عملية الجرد هذه لساعات طويلة، يتم



مصادرة مئات القطع من الملابس والحرامات والوسائد والبناطيل والتي تمثل للأسرى شيئاً كبيراً؛ لأنهم لا يمتلكون ملابس كافية، ودائماً هناك إشكاليات مع الإدارة على تدخيل الملابس إلى السجن، وغالباً ما يتم إرجاع الملابس عند الزيارة، أو يتم إدخال جزء منها وإرجاع الجزء الآخر بحجة عدم مطابقتها للمعايير كما ستحدث لاحقاً.

أحد إخواني الأسرى مضى على سجنه أكثر من عشرين عاماً، وعمره تجاوز خمسة وأربعين عاماً، لقد شوهده يجلس على قدميه وهو يعد ملابسه الداخلية لأحد السجناء في منظر مهين ومذل يدمي القلب حزناً على المهانة التي وصل إليها السجن المظلوم عند هذا العدو الظالم، كل ما يتم مصادره يتم إلقاؤه في مجمع النفايات، بالرغم أنها ملابس جديدة.



زي الأسرى الإجباري

اللباس الرسمي للأسير إذا خرج من غرفته إلى زيارة أهله أو إلى العيادة أو إلى قسم غير قسمه، أو إلى سجن آخر غير سجنه، أو إذا خرج لمقابلة ضابط في السجن، أو لزيارة محام، أو باختصار أي تحرك للأسير خارج قسمه الذي يعيش فيه؛ يجب أن يرتدي بنطلونًا بنيًا وقميصًا بنيًا مختومًا بشعار مصلحة السجون المعروف.

أما بقية الملابس التي يلبسها الأسير داخل غرفته وقسمه فهذه تخضع لمعايير خاصة تم وضعها من قبل السجان.

ويمنع إدخال أو ارتداء كافة الملابس ذات اللون الأزرق أو الكحلي أو فضيلة هذه الألوان؛ لأنها ألوان لباس الشرطة والسجانين.

- يمنع إدخال الملابس التي يوجد عليها كتابات أو أرقام معينة.

- يمنع إدخال الملابس ذات الألوان المميزة كالأحمر أو الأصفر.

- يمنع إدخال البلايز التي يوجد لها طاقة.

- يمنع إدخال بنطلون الكابوي، أو البنطلون الذي يحتوي على جيوب متعددة.

- يمنع إدخال الأحذية بكافة أنواعها، سواء بوت رياضي أو جزمة أو شبشب أو غيره.



- يمنع إدخال الجاكيت الشتوي بكافة أنواعه، المسموح فقط الجاكيت الرياضي الذي يأتي مع الترنج الرياضي.
 - يمنع إدخال الحرامات والشراشف وكافة أنواع المواد الغذائية.
 - يمنع إدخال كافة الأجهزة الكهربائية.
- هذه الأشياء أحياناً يتم توفيرها في الكانتينا، ويتم شراؤها بمبالغ خيالية ومرتفعة جداً.

فموضوع الملابس له تأثيراته على الأسير من عدة نواحٍ، خاصة في قضية الألوان كاللون البني، تجد ملابسه معظمها باللون البني؛ لأنه اللون المرغوب والمسموح لدى السجّان، والحرمات من الألوان الجميلة والزاهية يجعل الأسير في ضيق خاصة عندما تحضر له زوجته أو والداه ملابس ويتم إرجاعها بسبب الألوان فيشعره هذا بالقهر والحزن، فهو مجبر حتى على الألوان التي يجب أن يلبسها.



ضيق الغرفة وسوء التهوية

كما ذكرت سابقاً أن الغرفة ضيقة جداً، ولا يوجد فيها إلا شباك واحد مغلق بالحديد المشبك، ما أود الإشارة إليه أن الغرفة تغلق مساءً ولا تفتح إلا الساعة الثامنة صباحاً، والمأساة هنا أنك تتحدث عن عشرة رجال تم حبسهم في هذا المكان الضيق من السادسة مساءً حتى الثامنة صباحاً، وعلى مدار هذه الساعات الطويلة هناك نفس يخرج من الإخوة داخل الغرفة، وهناك طعام يتم إعداده مساءً؛ لأن الوجبة الرئيسية للأسرى هي وجبة المساء، والكل يجتمع في الغرفة بعد إغلاقها، ومن المعلوم أن إعداد أي نوع من أنواع الطعام سيؤدي إلى تلويث جو الغرفة نتيجة لطهي بعض المأكولات، أو القيام بعملية قلي لبعض أصناف الطعام، هذا بالإضافة إلى إعداد المشروبات كالشاي والقهوة، وكذلك في الغرفة من عوامل التلوث وعدم صحية المكان، وجود بيت الخلاء والحمام داخل الغرفة دون حواجز بينها وبين أسرة الأسرى وأكلهم وشربهم، فقيام عدد من الإخوة بالاستحمام سيؤدي إلى تصاعد بخار الماء بكميات كبيرة، وبقائه داخل الغرفة، وكذلك الروائح الخارجة من بيت الخلاء، وبالإضافة إلى الأمور المرتبطة بعملية قضاء الحاجة كلها تتجمع داخل الغرفة عديمة التهوية، ومن البلوى وعمومها أن هذا الفضاء المغلق يبقى لساعات طويلة، فالداخل إلى الغرفة في الصباح عندما يتم فتحها، وسامحوني إخواني على اللفظ، كأنه داخل إلى مكب نفايات، لماذا؟ لأن هناك عشرة رجال في مكان مغلق من المساء



إلى الصباح، وهؤلاء محبوسون مع أنفسهم وريحهم، وطعامهم وشرابهم وحمائمهم، وما لا أستطيع ذكره، فمن يفتح الباب يصاب بالدوخة والغثيان من رائحة الغرفة التي لا تطاق أبداً بسبب ما ذكرته سابقاً.

يعني هذا أن الأسرى في داخل غرفهم يعيشون في مستنقع أو ما يشبه مكب النفايات، ويضاف إلى هذه الرائحة وجود أعداد كبيرة من الصراصير نتيجة لوجود الطعام ومنع الإدارة للأسرى من إدخال ثلاثة أطنان من الطعام إلى الغرفة، فتجد الصراصير تعيش معك داخل الخضراوات وبين الخزائن وفي أكياس الأرز والسكر، وكذلك داخل شقوق وثقوب الغرفة التي بدورها تسبب العديد من الأمراض، بالإضافة إلى الضيق النفسي والاشمئزاز الذي تشكله لدى الأسرى.

158

وهذا الجو الملوث وغير الصحي توجد فيه الحشرات بكميات كبيرة داخل فرشات وأسرة الأسرى، وحتى لا أنسى تقوم إدارة السجن في كل عام برش الصراصير والحشرات مرة واحدة.

العديد من الإخوة الأسرى الذين يعانون من حساسية يتأذون من قرص الحشرات لهم، ويصابون بأمراض جلدية، وكذلك يصاب الإخوة بأمراض ضيق التنفس والضغط بسبب ظروف العيش داخل الغرفة المغلقة، هذا بالإضافة إلى التأثير النفسي على الأسير نتيجة لضغطه داخل الغرفة لشهور وسنوات.

ومن أمراض الغرفة التي تصيب معظم الأسرى وتسبب لهم الأذى الفرشات الرقيقة غير الصحية، والتي تلتصق بالجلد، هذه تؤدي على مدى الشهور والسنوات إلى إصابة الأسير بآلام حادة في العمود الفقري،



وكذلك أمراض كالدسك وانزلاق الفقرات أو الرطوبة التي تدخل إلى عظام الركب والظهر خلال البرد القارس في فصل الشتاء؛ نتيجة لنقص الأغذية وعدم صلاحية الفرشة للنوم.

وهذه الظروف الصعبة من العيش وخاصة الروتين اليومي للعدد وتبعاته وكثرة التفتيشات واقتحام الغرف والإزعاج الدائم؛ هذا كله يؤدي إلى إصابة الأسير بحالة من التوتر العصبي، خاصة أنه يعاني من نقص شديد في النوم والإزعاج الدائم، فتجده صعب المزاج وصدره يضيق ومتوتر، وهذا يؤثر سلبًا على علاقة الأسرى مع بعضهم البعض على مدى الأيام وطول المدة.

ومن أمراض الغرفة المغلقة وضيق المكان الآلام الشديدة في الرأس، وأمراض التشوش في الرؤية بسبب أجهزة التشويش التي تم تركيبها على مداخل الغرف أو خلف الشبائيك، هذه بدورها تصدر إشعاعات وموجات ضارة تؤدي إلى إصابة الأسرى بالصداع الشديد، وكذلك أمراض خطيرة كالسرطان.

ومن الأمراض التي تصيب الأسرى ضعف النظر؛ وذلك بسبب إجبار الأسرى على رؤية لونين فقط، ففي داخل الغرفة وخارجها لون الأبواب والشبائيك أزرق، ولون الجدران والسقف أبيض، وهذه الألوان منتشرة في كل أنحاء السجن، فلا ترى على طول أيام وسنين سجنك إلا هذين اللونين، وكذلك لا ترى إلا من خلال الشبك ذي المربعات الصغيرة، فالشبك عليه شبك، وكذلك الباب، وسقف الساحة والممرات وفي كل



موضع مكشوف لا ترى إلا من خلال الشبك، يعني لا يمكن أن ترى النور سواء من الشباك أو الباب أو من الساحة أو من الممرات إلا من خلال الشبك، فالأسير يحرم من رؤية السماء طيلة سجنه بدون شبك، وهذا الأمر مع طول المدة يؤثر على شبكية العين وعلى مدى الرؤية، بسبب تعود بؤبؤ العين على النظر إلى أي شيء إلا من خلال الشبك، وكذلك لا يتصور أمامه الأشياء إلا باللونين الأزرق والأبيض، وبالتالي يتعود الأسير عليهما طيلة أيام سجنه، فعندما يفاجأ بأي لون آخر يؤدي ذلك إلى حدوث دوران أو دوخة لديه، وكذلك رؤية السماء أو الفضاء بدون شبك تؤدي إلى حدوث دوخة لدى الأسير؛ لأنه لم يتعود على رؤية أي شيء دون شبك.



الكلاب

سامحوني عندما أحدثكم عن نباح الكلاب، وماذا أفعل؟ إنني أذكر كل ما هو مؤذٍ وقاهر ومزعج للأسير داخل أسره، فالكلاب تتواجد حول السجن من كافة الجهات، وكان الغريب في نفحة مثلاً أن الكلاب تم وضعها أيضاً فوق السجن، فلم يكتفِ السجن بإحاطة بالكلاب التي تنبح ليل نهار في إزعاج وأذى للأسير، بل وضعها فوق غرفهم، فأنت في غرفتك والكلاب من حولك وأيضاً السقف الذي تعيش تحته، وهي لا تهدأ وتثور وتنبح دون توقف.

والكلاب أيضاً تستخدم في عمليات الاقتحام للغرف والأقسام عندما يحصل استنفار وإشكاليات بين السجنانيين والأسرى، يتم إدخال الكلاب إلى داخل الأقسام وكذلك داخل الغرف، وفي كثير من الأحيان يتم إطلاقها تجاه الأسرى من أجل إرعابهم وتخويفهم.





التفتيش الشخصي المستمر يوميًا للأسير

خلال ذهابه وإيابه، إلى الفورة أو الساحة للنزهة إن صحت التسمية، فإذا فتح لك باب الغرفة ووصلت إلى نهاية الممر تجد مجموعة الشرطة تنتظرك مجهزين بالكامل بين عصي وغاز وماكنة تفتيش إلكترونية تحمل يدويًا، فيتم إيقافك ويقومون بعملية تفتيش لك، وبعد أن تمشي أربعة أمتار تجد أمامك البوابة الدوارة، التي تشبه تمامًا البوابة الموجودة على المعابر والتي أقامها الكيان على مداخل المدن التي يدخل من خلالها العمال وحملة التصاريح، فهذه البوابة مؤذية جدًا حيث تفتح إلكترونيًا وتغلق إلكترونيًا، وإذا مرّ فيها أسير لا يمكن أن تكمل دورتها حتى يمر أسير آخر، وكلما مرّ أسير تغلق ومن ثم تفتح وهكذا في تعقيد لا داعي له، إنما الغاية هي الأذى والتنكيد على الأسير حتى في ساعة تنفسه، وبعد أن تقطع هذه الأبواب، تجد بابًا آخر كالباب الأول يفتح كهربائيًا، فالأسير عمليًا إذا خرج من غرفته يحتاج إلى أن تفتح له أربعة أبواب حتى يصل إلى ساحة النزهة.





زيارة الأهل وما يتبعها من أذى وقهر من قبل السجّان

لا بد من الإشارة في بداية هذا الموضوع إلى نقطة هامة جداً تتعلق بالأهل، وخاصة الذين يأتون للزيارة، فبسبب انحصار مصيبة السجن بالأسير نفسه والفئة الضيقة جداً من أهله مثل والده ووالدته وزوجته، هذه الفئة الضيقة هي التي تعيش مع الأسير بشكل قريب وتعلم جيداً ما هي حقيقة الأمر؛ لأن بقية أفراد الأسرة كالإخوة والأخوات لهم انشغالهم وظروفهم من عمل ودراسة وزواج وإلخ، أما الأب والأم والزوجة فهؤلاء على علاقة مباشرة مع الأسير، وهم على الأغلب من يسمح لهم بزيارة الأسير، فيكونون على إطلاع على المكان والحال وصاحب الحال.

من لم يجرب المعاناة لا يعلم أن الأم التي تجاوز عمرها الـ 50 أو الأب الذي تجاوز الـ 60 أو الزوجة التي تنقطع ألماً وحسرة على زوجها، حينما يأتي موعد الزيارة أن هؤلاء يبدؤون الزيارة منذ صلاة الفجر، ثم إلى مقر الصليب الأحمر، ثم يستقلون الحافلة إلى حاجز من الحواجز التي تدخل إلى فلسطين المحتلة، فيتم تفتيشهم وتفتيش أغراضهم على هذا الحاجز، وبعد انتظار لساعات طويلة لا يسمح للجميع بالعبور، بالرغم من حصول الجميع على تصاريح للزيارة، تجد من يتحكم بالأمر؛ يرجع آباء وأمّهات وزوجات وأخوات عن هذا الحاجز، أو يقوم بتمزيق تصاريحهم التي



منحت لهم قبل الزيارة أمام أعين بقية العائلات، قائلاً: أنتم ممنوعون من الزيارة، ارجعوا من حيث أتيتم، وتجد أمًا أو زوجة قد عذبت فوق عذابها ومعاناتها وخرجها ليلاً وتجهيزها للزيارة ترد، ويتم إرجاعها بكل سهولة واستهانة واستخفاف بمشاعر الإنسان وكرامته، فsbحان الله يعطونك التصريح ليلاً ويمنعونك نهارًا.

ومن يكتب له نصيب العبور بعد ساعات إلى السجن، فعلى سبيل المثال يصل الأهل إلى سجن نفحة ما بين الساعة 9:30 - 10:30، وبعد وصولهم يتم أخذ الإجراءات لهم وتجري عليهم عملية تفتيش دقيقة أو بسبب تشديد إجراءات التفتيش الإلكترونية مثل الباب الذي يكشف عن المعادن وماكنة اليد، هناك تفتيش يدوي دقيق لكل رجل أو امرأة يتم الشك فيه، أو تعطي إشارة أنه يوجد بملابسه معادن، وتحصل إشكاليات دائمة بين الأهل والسجانين بسبب إجراءات التفتيش، وغالبًا ما يقوم السجان بإرجاع بعض العائلات بسبب المشاكل على التفتيش.

166

كما ذكرت الأهل الذين خرجوا من صلاة الفجر ووصلوا الساعة العاشرة تبدأ زيارتهم الساعة الثانية أو الثالثة عصرًا، حيث يتم احتجاز الأهالي من كبار سن وزوجات وأطفال لساعات طويلة دون مبرر، فقط حتى يتم إذلال أهل الأسير كما تم إذلال الأسير نفسه، وأيضًا حتى تتعبهم هذه الإجراءات ولا يفكروا بالزيارة مرة أخرى.

وعندما يأتي اللقاء بعد ساعات من التعب والسفر والتفكير والتفتيش، يعطى الأسير مدة كلها دقيقة، يفصل بينه وبين من يأتي لزيارته



زجاج بحيث لا يستطيع لمسهم، والحديث يكون عبر سماعات التلفون؛ لأن الزجاج مغلق تمامًا ولا يمكن أن يسمع الأهل أي كلمة من خلال الزجاج إلا بالإشارة فقط.

ومن مآسي وأحزان الأسير في يوم الزيارة أنه يكون قد جهّز نفسه للزيارة منذ الصباح، ويبقى ينتظر قائمة الأسماء حتى يخرج للزيارة التي ينتظرها، حتى يرى والده أو أولاده أو زوجته أو أخته... إلخ.

فتأتي المفاجأة بعد حين، عندما يخرج إخوانه للزيارة وهو لم يخرج، فيبدأ السؤال؟ وبعد رجوع الزوار من الزيارة أو من خلال سؤال إدارة السجن عن الموضوع تكون الإجابة ببساطة: لقد تم إعادة والدتك أو أختك أو زوجتك أو إلخ عن الحاجز لأسباب أمنية، ولا يزال هذا العذاب مستمرًا مع الإخوة الأسرى والأسيرات، ويمارس هذا النوع من الاضطهاد والتعذيب النفسي على الأسير وعلى أفراد عائلته.





البوسطة وعذاباتها

البوسطة: هي الحافلة التي تنقل الأسير إذا خرج من داخل سجنه إلى أي مكان آخر، والنقل يكون من سجن إلى سجن آخر، أو قد يتم نقله إلى المستشفى، أو إلى المحاكم إذا كان لا يزال موقوفًا.

أما عن الحافلة نفسها (البوسطة) فهي عبارة عن صندوق من الحديد، تم تثبيت مقاعد حديدية داخله إما على شكل مقعد ثنائي، أو على شكل مقاعد طويلة متقابلة مصنوعة من الحديد الخالص، ولا يوضع فوقها أي نوع من الاسفنج أو الجلد أو الاغطية القماشية، فهي حديد صلب خالص، باردة في الشتاء، وحارة في الصيف، شبابيك البوسطة عبارة عن مجموعة من الثقوب الصغيرة جدًا.

والشق الأهم المرتبط بالبوسطة هو قوات (النخشون) بمعنى صائد الأفاعي: مجموعة من القوات الخاصة مزودة بالأسلحة والكلاب وأجسامهم قوية مفتولة العضلات، يعمل هؤلاء كشركة نقل خاصة عند مصلحة السجون، مهمتهم نقل الأسير من داخل سجنه ومن ثم إعادته، وبمجرد استلامهم للأسير يبقى في عهدهم حتى يرجع، فمثلاً إذا خرج الأسير إلى المحكمة أو إلى سجن آخر تأتي هذه القوات فتستلم الأسير من ضابط سجنه استلاماً رسمياً مع ملفه الخاص، وبمجرد استلامهم للأسير يقومون بتكبييل قدميه بسلاسل حديدية، ويديه بسلاسل



حديدية، ويتم تفتيشه تفتيشاً دقيقاً، ويتم وضعه داخل البوسطة الحديدية، وداخل البوسطة لا يجلس حيث يشاء، فإذا كان أسيراً خطيراً مثلاً يتم وضع سلسلتين في يديه ورجليه ويوضع في غرفة خاصة داخل البوسطة، والمعروف عن قوات النخشون أنها قوات تمارس البطش والتعذيب والتنكيل بالأسير، خاصة أنهم لا يتعرضون للرقابة، وإنما يقومون بعملهم بشكل خاص وتحت إمرة ضابط وشرطة خاصة، فيتعرض الأسير خلال ذهابه وإيابه إلى الإهانة والتفتيش المهين والضرب أحياناً لأتفه الأسباب.

وفي البوسطة يترك الأسير داخل البوسطة لساعات طويلة خلال فصل الصيف، وكذلك الشتاء، وأقل الحقوق للإنسان هي قضاء الحاجة خلال السفر، في معظم الأحيان يحرم منه الأسير؛ لأن البوسطة لا يتم إيقافها إلا في أماكن محددة وأوقات معينة، وهذه الشركة مهمتها النقل ولا يهتمها سوى سرعة نقل الأسرى أو إعادة الأسرى، دون النظر إلى الأسير المكبل بيديه وقدميه، أو النظر إلى ظروف الصندوق المغلق الذي يوجد بداخله، ودون النظر والالتفات لحاجته قضاء حاجته، أو تعرضه للجوع والعطش.

بالطبع الكلب يركب داخل البوسطة مع الإنسان (الأسير) وعندما ينزل من البوسطة، يتعرض أيضاً لعملية تفتيش مهينة جداً تشمل كافة أجزاء جسمه وملابسه، وهناك العشرات من حالات الضرب التي حصلت مع الأسرى، ولا تزال اعتداءات هذه القوة الخاصة مستمرة دون توقف.



المحرمات التي لا يراها السجين

إذا ذكرت الطعام والشراب يُحرم على الأسير أن يأكل قطعة لحم طازجة، فكل ما يقدم له يجب أن يأتي من الثلاجات مهما كان النوع.

ويُحرم على الأسير أن يأكل قطعة لحم تحتوي على عظم، يتمنى الأسير أن يمسك بيده أو يرى قطعة لحم خروف أو ضأن تحتوي على عظم، ما هو مسموح فقط قطعة لحم من البقر الذي كبر سنه مثل قطعة من الفخذ مليئة بالألياف والدهن ولا يوجد فيها قطعة من العظم، تحتاج إلى خمس ساعات حتى تنضج على البلاطة الكهربائية، وفي النهار لا تجد طعامًا تأكله.

وأيضًا محرم على الأسير تناول قطعة دجاج طازجة أو قطعة سمك طازجة أو حبش، فهو طيلة أيام وسنين أسره يتمنى ولو وجبة طازجة، وهذا لا يمكن أن يكون.

وكذلك محرم على الأسير أن يأكل خبزًا طازجًا قد تم خروجه من الفرن؛ لأن الأفران لا تعمل أيام السبت والجمعة؛ لذا فأنت مجبر على أخذ الخبز لمدة ثلاثة أيام بحيث يوضع في ثلاجات.

أما بقية الأيام فيتم خبزه صباحًا، ويبقى في الأوعية البلاستيكية مكشوف حتى الساعة الواحدة ظهرًا يتم توزيعه وقد تعرض للهواء والشمس في معظم أحيانه ويأتي يابسًا.



وتتمنى في السجن أن تأكل في إناء من الزجاج سواء كان صحنًا أو غيره، يحرم عليك استخدام الأواني الزجاجية أو حتى اقتنائها، فالصحن البلاستيكي هو صديقك في السجن، تجد طعمه حسب آخر وجبة تناولتها فيه.

تتمنى في السجن المركزية كافة أن تمشي ليلاً، ولو ساعة واحدة، الأبواب تغلق عليك من بعد العصر فلا ترى شمسًا تغيب ولا ترى شفقًا يعلو الأفق فلا تدري كيف هو الليل.

يحرم عليك رؤية القمر هلالاً أو بدرًا، تتمنى أن تراه من داخل ثقب شبك صغير، أو ترى النجوم بدون شبك، يحرم عليك رؤية سماء قد حجبت بمربعات حديدية صغيرة.

كما يحرم السجن من رؤية شجرة أو زهرة أو أعشاب قد تنبت في فصل الربيع، لا ترى إلا أسوارًا وأبوابًا قد تمت صياغتها باللون الأزرق والأبيض، تجد أمامك ألوان علم كيان مغتصب.

وفي السجن يجب أن تعيش أعياد عدوك السجناء رغمًا عن أنفك، مثلًا يوم السبت تعطل الحياة تمامًا كما هو الحال عند من يسجنك، ففي يوم السبت يحرم عليك لعب الرياضة، يحرم عليك زيارة الغرف، في يوم السبت يحرم عليك زيارة الغرف، وكذلك في يوم السبت تمنع من أخذ أغراض من الكانتينا، هذا بالإضافة إلى عدم وجود أي من إدارة السجن؛ لأن هذا يوم عيد، فأنت مجبر أن تلتزم بيوم العيد معه حتى ينتهي هذا العيد.



وكذلك بقية أعيادهم مثلاً فيما يسمى عيد (البيسح) يلتزم الأسير بطقوس العيد خاصة الخبز، فيمنع تشغيل المخبز طيلة أيام العيد الثانية، ويجبر الأسير على أكل خبز البيت المفتوت.

والمفارقة الكبرى إذا جاء عيد الأسير سواء الفطر أو الأضحى في يوم السبت أو في يوم عيد السجن، فيتم منع الأسير من الاحتفال بهذا العيد، تمنع من إخراج الحلوى إلى الساحة وتمنع وتحرم من زيارة الأسرى بعضهم لبعض، ولكن إذا انتهى يوم السبت الذي لا يجوز اختراق حرمة يسمح لك يوم الأحد بممارسة حقوقك وعيدك، بالطبع في اليوم التالي تكون بهجة العيد قد ذهبت ولم يبق عيد.

محرم على الأسير أن يرى البطيخ؛ لأن البطيخ فاكهة ممنوعة ويمنع إدخالها إلى السجن لدواعٍ أمنية؛ لأنها فاكهة كبيرة ومغلقة فلا يجوز أن يأكلها الأسير، فتراه في فصل الصيف يتمناها كلما رأى صورة البطيخ في جريدة أو شاشة التلفاز.

يتمنى الأسير أن يرى المطر في فصل الشتاء، فيحرم من رؤيته أو أن يمشي تحت المطر وتبتل ملابسه، فهو لا يجد من الشتاء إلا برده الشديد، وسماع صوت المطر دون رؤيته، فلا يجد لفصل الشتاء أي معنى من معانيه، فيحرم عليه إشعال نار أو لبس كوفية أو أن يلعب بالثلج أو جمع الحطب أو رؤية سيل أو الشعور بدفع من شدة البرد، فلا يعيش ولا يشعر بأي معنى من معاني فصل الشتاء.





التدخين في السجن بين الصبر والقهر

ومن ضيق المكان ومن أذى السجن، هناك ما لا يمكن أن تقدر على علاجه، ففي الغرفة الضيقة التي يسكنها عشرة إخوة تجد أحياناً تسعة مدخنين، وأحياناً خمسة، وعلى كل الأحوال لا تجد غرفة خالية من المدخنين، خاصة أن الدخان داخل السجن يعتبر مادة استهلاكية أساسية لمئات الإخوة الأسرى، ولكن أمام هذا البلاء في غرفة لا يوجد فيها إلا متنفس واحد رديء، وموجود إخوة مرضى وبحاجة إلى هواء نقي، أمام هذه الحياة الإجبارية تنعدم عندك الخيارات، لذلك عمل الإخوة في الهيئات التنظيمية على إيجاد آليات لتخفيف معاناة الإخوة غير المدخنين عن طريق جعل المدخن يقف عند الباب أو الشباك، وعدم التدخين في ساعات الفجر الأولى، كذلك عدم التدخين بعد الساعة الحادية عشرة ليلاً، والكثير من القوانين الإدارية والمحفزات المادية إلا أن عدد المدخنين في تزايد.

فالأسير ينظر لأخيه الأسير المبتلى بالتدخين بعين الرحمة عندما يراه يدخن في اليوم (40 - 60) سيجارة ويهلك نفسه وصحته وكذلك يهلك حاله، أمام كل هذا الضرر والتبذير والقتل للنفس، لا يستطيع الأخ الأسير غير المدخن إلا أن يعصّ على قهره وحزنه وتعبه وعلى الأذى الذي يلحقه من التدخين السلبي، وفي نفس الوقت يصبر على الأذى الذي يأتيه من



سيجارة أخيه الأسير المدخن؛ لأن هذا الأخ مجاهد ومناضل.

هناك المثات من المحاولات لإقناع الإخوة المدخنين بترك التدخين وإيضاح المسألة عن طريق الأدلة أكثر من النشرات الصحية التي تبين أضرار التدخين على النفس وعلى الغير، وأحياناً تنجح بعض هذه المحاولات وتفشل في أحيان أخرى، والأسير بطبعه يسمع النصيحة خاصة القرآن الكريم، عندما تقرأ عليه قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: 29]، وقول النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار». وكذلك نشرات الجمعيات الصحية العالمية حول سرطان الرئة والأزمة وتصلب الشرايين وانسدادهما وأمراض القلب والجلطات وكل الآثار المدمرة للتدخين، تجد الأخ المدخن أحياناً يترك لأيام أو أشهر، ثم يعود عند أول مشكلة أو توتر يسأل أين الدخان ويعود للتدخين من جديد.

176

فموضوع التدخين داخل السجن يحمل بين طياته معاناة وابتلاء وبحاجة إلى صبر وجلد من قبل الإخوة داخل السجن على بعضهم البعض، وقضية التدخين في الصيف وفي الشتاء تتسبب بالمعاناة والتضييق للإخوة داخل الغرف المغلقة، وما زال هذا الأمر يسير على حاله، أسير يدخن ولا يستطيع أن يترك وآخر صابر ويدخن تدخيناً سلبياً، ومحافظ على الاحترام والود والمحبة لأخيه، ويدعوه أن يترك هذا الدخان الذي ما هو إلا مهلكة للمال والنفس.

وفي المحصلة الدخان لا يمكن إلا أن يضاف من ضمن قائمة معاناة الرجال وفتن السجن التي ليس لها إلا الصبر والتحمل.



ظلم الرجال في حاجتهم لنصفهم الآخر (الزوجة)

لقد خلق الله ﷻ الإنسان في أحسن تقويم وفضله على كافة المخلوقات فأودع فيه العقل والشهوة، وميزه عن بقية الدواب التي جعل لها شهوة دون عقل، وكذلك أتحدث هنا عن إنسان له حاجات لا يستطيع أن يتخلى عنها بحال من الأحوال، داخل السجن الحديث عن مجتمع شاب الفئة العمرية للأسرى عامة ما بين (18 - 50) عامًا تشكل السواد الأعظم، كبار السن يشكلون فئة بسيطة، وهؤلاء الإخوة الكرام منهم المتزوج الذي ترك زوجته بعد شهر، وآخرون اعتقلوا ليلة زفافهم وآخرون بعد يومين ومنهم من هو في فترة خطوبة، ومنهم الأب لطفل أو طفلة وقد أمضى سنوات مع زوجته، فهناك تشكيلة متعددة بين الأسرى ممن خاض معترك الحياة الزوجية، والذين سجنوا ولم يرتبطوا وما زالوا على دكة الانتظار، ولكن لهم حاجة لا بد من تلبيتها، وأمام هذه الحالات وفي هذه القبور المغلقة كيف يتعامل الأسرى مع حاجاتهم على زوجة يسكنون إليها أو كيف هو حالهم أمام شهواتهم وطاقاتهم التي لا مقام لها لكي تصرف؟! ألم يفكر الناس بحال هؤلاء الشباب والرجال، الأسير إخواني وأخواتي لا يقتصر سجنه على أسوار وقيود وأسلاك، لا هناك مشاعر وأحاسيس وحاجات وضرورات قد خلقها الله تعالى مع الإنسان لا بد من إشباعها ولا بد أن يعلم الناس أن الأسير قد حرم من كل شيء حتى حاجته من السكن والمودة والرحمة مع زوجته، وهل فكر أهل الإيمان وأهل الرأي



وأهل الرحمة والعطف بحال هؤلاء الإخوة كيف يصبر الأسرى؟ لو فكر الأخ الأسير بأخيه المتزوج الذي حرم هذا النعيم ليوم أو شهر وسنة وعشر وعشرين سنة؟ ما هو حال هذا الأخ حال الأسير المحروم المظلوم؟ لا يمكن وصفه ولا يمكن الحديث عنه.

أيها القارئ الكريم إذا كنت متزوجاً كم هي المدة التي تحملها بعيداً عن زوجتك دون لقاء يجمعكما؟ وإذا كنت غير متزوج كيف هو حالك دون زوجة؟

السؤال صعب، ولكن الأصعب والمؤلم والمحزن هو حال آلاف الرجال الذين تركوا عشرات السنين في حرمان دائم لحاجاتهم.

لقد كتبت هذا الباب على استحياء كبير، ولكن كان لزاماً عليّ ألا أترك هذا الجانب دون ذكر، أيها الناس! إن أبناءكم وإخوانكم الأسرى يعيشون حياة كلها حرمان، فالمكان ضيق والفتن تعصف بالناس، فإلى متى سيبقى يعاني هؤلاء الأسرى داخل السجون؟



الأسيرات

في أخواتي الأسيرات ماذا أقول؟ قد توقفت الأيام عندما وصلت إلى هذا الباب وأنا حائر بين نارين، نار عدم مقدرتي على الكتابة؛ لأن قلبي يتقطع ولا أتحمل أو أتصور أن أخواتنا وأمهاتنا وبناتنا محبوسات ومحجوزات عند هذا العدو وبين نار عدم الكتابة عنهن، فلا يجوز أن أكتب عن السجن ولا أذكر أهم وأخطر أصعب الملفات (ملف حرائر فلسطين الأسيرات) فقررت أن أكتب كتابة المقصر العاجز الذي لا يستطيع أن يوصل الصورة الحقيقية عن هذا الملف المهم.

فكل أخواتي اللواتي دخلن السجن وخرجن، أو أخواتي اللواتي بقين إلى الآن أو من تم اعتقالهن، ماذا أقول عن أم حمدي عطفاف عليان؟ ماذا أقول عن أم النور منى قعدان؟ ماذا أقول أو أكتب عن أم إبراهيم نوال السعدي؟ أو عن أم حمود الزق؟ أو عن الأخت لينا الجربوني؟ ماذا أقول وأكتب عن تلك الخنساء الصابرة المحتسبة لينا العزة ولينا الأم والأميرة والموجهة والحاضنة؟ ماذا أكتب؟ هل أكتب لهن؟ أو أكتب لأصحاب الواجب؟

بداية عار على شعب، وعار على أمة تترك بناتها ونساءها رهائن في أيدي هكذا عدو، وبالمثال تضح الأمور لمن فقه المسألة.



الأسيرات بين أنياب العدو، أخواتكم وبناتكم وزوجاتكم.

الواجب الديني والأخلاقي والأخوي والإنساني والوطني يلزمكم أن تحموا أعراضكم ولا تسمحوا أن يستمر هذا الأمر.

ألا توجد نخوة بين الناس؟ ألا توجد مروءة بين الناس؟ هل ذهب الإحساس من وجوه الناس ودمائهم؟

الرجال والشباب يفتنون داخل هذه السجون الظالم أهلها، ورجال لم يتحملوا فتنة السجن فلم يصبروا على أذى عدوهم وعلى أذى الناس.

هلا فكرتم في فتاة أو طفلة تسجن؟

إخواني وأخواتي القراء! لقد تحدثت لكم في سياق الكتاب عن معاناة الأسرى وعن السجن وأذى السجنان وعن كل ما يجري خلف الأسوار وفي داخل الغرفات المغلقة، أقول لكم تتأمل وبقلم محزون وبقلم يكتب دمًا، لكم أن تتصوروا جميع الأبواب السابقة تمارس بأذاها وقهرها على أمهاتنا وأخواتنا وزوجاتنا، الأسيرات.

(عم ماذا) أكتب؟ عن العدد الصباحي عند أخواتنا؟ أم عن فحص الغرفة اليومي؟ أم عن التفتيشات؟ أم عن معاناة أم تركت زوجها وأبناءها؟ أم عن أخت لنا جاءها المخاض داخل السجن فولدت بين السجنان والسجانات؟ ماذا نكتب عن أم مريضة؟

اليوم عندما قمت بالكتابة هناك أكثر من ثمانين أسيرة بين أم وفتاة وطفلة خلف القضبان.



العشرات منهم مصابات بإصابات ما بين خطيرة ومتوسطة تم إطلاق النار عليهم، ويعشن في ظروف سيئة وصعبة جدًا وعند عدو لا يرحم صغيرًا ولا طفلة ولا مريضة ولا مصابة ولا كبيرة.

الأمر جد خطير والمسألة عظيمة وكبيرة، فهل من مجيب لصرخات وآهات وعذابات الحرائر؟ فعندما أعتدي على المرأة المسلمة في سوق بني قينقاع، طردهم الرسول ﷺ من المدينة، وعندما قالت إحداهن وامعتصماه زمن المعتصم أرسل جيشًا أوله عند الروم وآخره عند المعتصم فقط ردًا لكرامة المرأة المسلمة.

أما اليوم أعراضنا تصرخ من داخل الدامون الشارون والتلموند والإخواته والإسلامه واعرباه، متى ستجيئون؟

أعتذر عن الكتابة في باب قهر الأسيرات؛ لأنني لم أحتمل، والحر تكفيه الإشارة.





الصبر الجميل لزوجة الأسير

كان لزامًا عليّ أن أكتب عن تلك الزوجة التي عانت ويلات الأسر مع الزوج الأسير وعانت الحرمان والظلم وصبرت على فراق الزوج ولاقت من ويلات وظلم المجتمع في أشكال عدة، والزوجة التي لم ينتبه الناس لآهاتها وصرخاتها الصامتة لسنوات طويلة، لم يشعر بها أحد، وحتى مشاعرها الرقيقة التي لا تفارقها لم ينتبه لها المجتمع لانشغاله بماله وأعماله.

لا يوجد صبر كصبر الزوجة على فراق الزوج ركن البيت وأبو العيال والمعيّل والراعي و... إلخ، كيف هو الحال عندما يغيب هذا الركن عن البيت؟ عندما يغيب يصبح بيتًا خربًا لا حياة فيه، لكن قد يسّر الله -تعالى- لبيوت عديدة قد غاب عنها الزوج في ظلمات السجون زوجات مؤمنات صابرات الواحدة منهن نموذج يقتدى به في الصبر والتضحية والفداء والتربية والإعداد، الواحدة منهم قامت مقام الأم والأب والزوج والراعي والمرشد في غياب الزوج، إخواني وأخواتي الكرام! أيها القراء! ماذا تقولون في زوجة غاب عنها زوجها شهورًا وسنوات؟ كيف صبرت على الحرمان من حب الزوج ودفئه.

ولأهمية هذا الباب أثرت أن أكتب عن نموذج واحد في الصبر الجميل لزوجة زوجها أسير، علمًا أن هناك مئات النماذج للزوجة الصابرة المحتسبة، ونموذجي الذي تشرفت بالكتابة عنه هو أختي أم البراء، وبسبب



الاطلاع العميق على هذا النموذج سوف أكتب حتى تتضح الصورة لمن لا يعلم، أكتب لأبناء شعبي وأمتي الذين غفلوا عن أخت لهم ضحت بأغلى ما تملك وصبرت على أغلى ما تملك من أجل هذا الدين وهذه الأرض المباركة، لقد دفع زوجها أكثر من عقد ونصف مسجوناً مظلوماً عند هذا العدو الظالم، وهي دفعت أكثر من عقد ونصف من عمرها مسجونة، ومظلومة ومحرومة وتحملت أعباء الغائب في سجنه فكانت الأم والأب والمربية والراعية.

أم البراء هذه تركها زوجها بعد ثلاث سنوات من الزواج المبارك وعمرها لا يزيد عن واحد وعشرين عاماً، وظل الزوج المجاهد السجين رهن الاعتقال سبعة عشر عاماً، وترك لها أسيل التي لا يتجاوز عمرها ثلاثة أعوام وبراء الذي لم ير والده، تركها وهي لا تزال تدرس اللغة العربية في جامعة الخليل، أكملت وتخرجت وأصبحت مربية أجيال معلمة للغة العربية، وفي نفس الوقت أخذت تربي البنت والولد الرضيع وأخذت تطارد الزوج من حضور محاكماته في محكمة عوفر (بالقرب من رام الله) حتى زيارته في سجن نفحة الصحراوي، أمضت أم البراء سنوات الصبر والحرمان من الزوج وقامت بكل الأدوار التي يشترك بها الأب والأم لوحدها، وهي تعيش في غرفة واحدة مع أهل زوجها الكرام.

أم البراء الزوجة الشابة في بداية عمرها حوكم زوجها بعد 3 سنوات بـ 17 عاماً، فكانت الصدمة والفاجعة، هل ستنتظر زوجها أبو البراء 17 عاماً؟ من سيربي هؤلاء الأبناء؟ من الذي سيعوض هذه الزوجة الشابة عن حاجتها ومتطلباتها، حب الزوج، وحنان الزوج، وعشرة الزوج



وسندها الاجتماعي والعاطفي والإنساني، الشرع والدين يميز لها طلب الفراق بعد عام، والتجربة وآثار الصحابة أثبتت أن الزوجة الصابرة تصبر على فراق زوجها أربعة أشهر فقط، فماذا فعلت قبل الحكم وبعد الحكم؟ أم البراء أيها الإخوة والأخوات الكرام كانت مثلاً في الوفاء والصبر والإيمان، كانت نموذجاً رائعاً للمرأة المؤمنة التي لم ير في صبرها وعملها ووفائها زمن الصحابة والتابعين.

لقد ارتبطت بالسجن الذي كان الزوج فيه ارتباطاً وثيقاً فلم تترك وسيلة للتواصل مع أبي البراء إلا وعملت على استخدامها من زيارات أو كتابة رسائل أو إرسال صور أو اتصالات مهربة وعاهدت زوجها المظلوم أنها لن تتركه وستبقى على العهد والانتظار حتى يأتي فرج الله -تعالى-، فقالت الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله، إن الله مع الصابرين، اذهب فلن يضيعنا الله، آمنت بقدر الله وعلمت أن من كمال الإيمان أن تؤمن بالقدر خيره وشره.

وأخذت تشق مصاعب ومتاعب الحياة لوحدها، تمارس مهنة التدريس في المدرسة وتعود إلى غرفتها لتعلم وتربي أسيل وبراء وفي نفس الوقت تتبع طلبات وحاجات وأخبار الزوج المظلوم في سجنه، لقد عانت ولاقت ما لاقت من التعب على مدى سنوات عجاف، فعاشت محرومة من أعظم وأغلى شيء في هذه الحياة (الزوج) وكل امرأة على وجه الأرض تعلم ماذا يعني الحرمان من الزوج من كافة الجوانب وفي كل الأوقات؟ فصبرت واحتسبت وواصلت الليل مع النهار وهي تربي الأبناء حتى



كبروا فكانوا من المميزين في اجتهادهم وتحصيلهم العلمي في مدارسهم وإذا سألت عن أدبهم وأخلاقهم يقول لك المجيب: نتمنى أن يكون أبنائنا في أدب وأخلاق أولاد أم البراء، الكل يتغنى بأدبهم وأخلاقهم واجتهادهم في دراستهم، والفضل كل الفضل بعد الله ﷻ يعود لهذه الأم الفاضلة المربية المؤدبة، التي أفنت عمرها وهي ترعاهم وتؤدبهم.

لقد عاشت أم البراء صبرها وعناءها مع أبي البراء حتى في داخل سجنه حيث عاشت معه معاناة مشاكل السجن من استنفارات و.. إلخ، عاشت معه الإضرابات عن الطعام، وعاشت معه الذل والحرمان من الزيارة، عاشت معه محطات السجن كلها، طارده محملة بالتعب في البرد الشديد والحر الشديد إلى كافة السجون، فإذا نقل إلى سجن جلبوع في شمال فلسطين لم تنظر إلى المسافة وإلى التعب بل شدت الرحال إلى سجن جلبوع، وغذا وصلها الخبر أنه قد انتقل إلى سجن النقب في جنوب فلسطين شدت الرحال إلى سجن النقب، سفر وتعب وتفتيش ومذلة ولكنها واصلت هذه الحياة على طريقتها وفلسفتها الخاصة، لقد عاشت مع مشاعر الانتظار في كل صفقات تبادل الأسرى والإفراجات، بدءًا بصفقات التبادل التي تم الإفراج عنها للرئيس أبو مازن، وعاشت مشاعر لحظات الانتظار في صفقة شاليط وهي تنتظر اللقاء بعد سنوات، ولكن بعد تحضير وانتظار كأن الوقت لم يحن بعد، ولكن الإجابة دومًا الحمد لله على كل حال، إنا لله وإنا إليه راجعون.

استطاعت الصابرة الكريمة أم البراء أن تدخر من راتبها الشهري وكذلك من راتب زوجها الأسير المظلوم مبلغًا زائدًا عن الحاجات



الأساسية للزمة للأبناء، استطاعت خلال السنوات الخمس الماضية أن تبني منزلاً جميلاً وقامت بتجهيزه بكل متطلبات الحياة حتى أصبح جاهزاً للسكن، استطاعت بحسن الإدارة والتوفير والتدبير أن تبني هذا المنزل وبفضل الله ﷻ ها هي اليوم تسكن هذا المنزل مع أسيل وبراء ولا تزال صابرة محتسبة.

وخلال كتابتي لهذه الفقرة من الصبر الجميل لزوجتي الأسير أستطيع أن أتحدث عن أعظم إنجازات أم البراء في التربية والرعاية والتوجيه، لقد تقدمت أسيل لامتحان الثانوية العامة وحصلت على درجات عالية وفاءً لهذه الزوجة الصابرة بالرغم من غياب الزوج وتحملها كل الأعباء استطاعت أن توفر لابنتها كل وسائل النجاح حتى حصلت على هذا المعدل، والله إن الإنسان ليعجز أن يعبر عن مدى التقدير والاحترام والوصف لهذا النموذج الرائع للزوجة والأم الفلسطينية المكافحة والمضحية بأعلى ما تملك من أجل الله ودين الله ومن أجل فلسطين، لقد صدق رسول الله ﷺ في أم البراء وأمثالها، ففي الحديث الذي رواه أبو أمامة عن النبي ﷺ أنه قال: "ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله ﷻ خيرًا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرتة، وإذا أقسم عليها أبرته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله".

هذا النموذج الرائع للزوجة المؤمنة الصالحة لا يمكن أن يتكرر في زمن من الأزمان إلا في لقليل من النساء، اليوم يعيش الناس في زمن قد انتشرت فيه الفتن من كل جانب كقطع الليل المظلم، وانتشرت الفواحش والمحرمات، وأثيرت الشهوات في كل مكان، والعري وإثارة الشهوات قد



انتشر على التلفاز والتلفون والوسائل الحديثة من فيس بوك وغيرها، والنساء همّ مصائد الشيطان وحباله إلى السوء.

ولكن رغم هذا كله لا زال الخير موجوداً من النماذج الرائعة للمرأة الفلسطينية المؤمنة الصابرة صبراً جميلاً على فراق زوجها، ولا زالت على العهد.

هل راعى الناس مشاعر وأحاسيس وحاجات أم البراء؟ هل تركوها وشأنها؟ هل ساندوها في محنتها؟ هل قدموا لها العون؟ هل واطبوا على زيارتها؟ هل شعرت النساء معها عندما كانت إحداهن تذهب وترجع وتنام مع زوجها؟ هل شعر الناس معها أيام العيد عندما يقبل الأب أبناءه ويعطيهم العيذية ويحلب لهم ملابس العيد؟ هل شعر المجتمع معها عندما كان يطلب ولي الأمر الحضور إلى المدرسة من أجل ابنه أو ابنته؟

188

لقد عاش الناس أيامهم وشهورهم وسنينهم وناموا ليلهم الطويل وفرحوا بأعيادهم وخرجوا في رحلاتهم ولم ينتبهوا لهذه الصابرة المضحية، بل وللأسف من الناس من قاطعها ومن الناس من حسدها على أبسط أمور الحياة كالأولاد والمنزل والسيارة.

رسالتي في ختام هذا الباب لأبناء شعبي عليكم أن تنتبهوا لهذا النموذج الرائع من التضحية والفداء، وهناك نساء صابرات على البؤس والحرمان، إن مثل هؤلاء النسوة تاج يوضع على الرأس؛ لأن ما قدمته مثل أم البراء لا يستطيع أن يقدمه إلا القليل، فلا بد للمجتمع أن يقدم لها الاحترام والتقدير والعرفان ولا بد من الانتباه لأحاسيس ومشاعر



وحاجات زوجات الأسرى الصابرات.

وأقول لأختي أم البراء: بارك الله فيك وجزاك الله عجل خيرًا عنا وعن زوجك، وعن شعب فلسطين وعن أمة محمد ﷺ، فأنت نموذج للزوجة والأم وللأخت والمؤمنة الفلسطينية المجاهدة والصابرة والمربية الفاضلة والمعلمة للأجيال، فأنت مدرسة في التضحية والفداء.

وفي كلمة حق بعد هذه الشهادة أقول لأخي وزوجك أبي البراء: إن من البر والوفاء ورد الجميل وإحقاق الحق، أنه إذا تم الإفراج عنك ووصلت إلى هذه الصابرة واجب عليك أن تقبل رأسها الطاهر وبديها المباركتين صباحًا ومساءً، وحتى لو فعلت هذا يوميًا، لا تستطيع أن ترد لها جزءًا بسيطًا من تضحياتها، ولو أمضيت بقية عمرك وأنت تشكرها على صبرها على الحرمان منك أو على تربيتهما للأبناء أو لحفظها وصيانتها لنفسها وعرضها أو لقيامها ببناء هذا المنزل؛ لا تستطيع أن توفيهما حقهما مهما فعلت، إن مثل هذه الزوجة الصالحة عليك أن تقبل قدميها قبل رأسها حتى توفيهما حقهما، ولن توفي.

الله أسأل أن يعوضك خيرًا، وأن يجزيك أجر ما صبرت جنات تجري من تحتها الأنهار





طعام الأسرى

مطبخ الأسرى وأدواته:

في داخل الغرفة التي ينام بها الأسرى يتواجد مطبخ الأسرى الذي يأخذ حظه من مساحة الغرفة، صحنون الطعام بلاستيكية ولا يسمح باقتناء الأواني الزجاجية، وكذلك الصحنون الصغيرة التي تستخدم لتناول الشوربات وغيرها أيضًا بلاستيكية يبقى بها أثر طعم ورائحة الطعام مهما تم غسلها وتنظيفها، ويوجد في مطبخ الأسرى طنجرة حديدية، ومقلي وغلاية للقهوة والشاي.

أما سكين الأسرى في داخل مطبخهم فهي عبارة عن الإطار الحديدي الذي يتم إزالته عن علب الزيتون والخيار التي يتم إحضارها للأسرى، حيث يقوم الأسرى بتحويل هذا الإطار الحديدي إلى سكين، بالطبع هذه السكين تبقى عرضة للصدأ بسبب زوال الغذاء عنها؛ ولأنها ليست من الأجسام المصقولة، وهذا بالتالي يتسبب بنقل الأمراض للأسرى؛ لأنها تحوي طبقة من الصدأ.

ملعقة الأسرى يدها من البلاستيك المقوى، والحديد فقط هو مقدمتها التي تستخدم للأكل.

أما الشوكة والسكين المعروفتان للناس ويستخدمهما الناس، فمحرمتان على الأسرى ولا يسمح لهم برؤيتهما حتى مغادرة المكان.



أما السدر أو الصينية التي يأكل فيها الأسرى معاً، فهي إما من البلاستيك أو الميلامين، أما كأس الأسرى التي يشربون بها، فهي من البلاستيك أو الكارتون، وأحياناً بعد محاولات شاقة سمح للأسير بشراء كأس من الفخار من الكانتينا، أما بالنسبة لكأس الزجاج بكافة أنواعه وأحجامه فهو حرام على الأسير ويمنع إدخاله إلى السجن.

وأهم أدوات مطبخ الأسرى (الكمكم) أو الإبريق الكهربائي الذي يتم تسخين الماء فيه من أجل إعداد القهوة أو الشاي أو الماء الساخن للمطبخ، وكذلك القرص الكهربائي أو البلاطة الكهربائية التي تعمل بواسطة الكهرباء، وهذه بمثابة روح الأسير داخل مطبخه؛ لأنها الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن يعد من خلالها أي وجبة طعام.

192

في السجن يمنع بتاتاً وجود غاز داخل الغرفة بكافة أنواعه لا بعين واحدة ولا بست عيون، وكذلك يمنع إدخال الفرن الكهربائي، أو أي وسيلة طبخ أو شيء تعمل بواسطة الغاز أو الكهرباء، المسموح به فقط هذه البلاطة الكهربائية، ويمنع اقتناء أكثر من واحدة داخل الغرفة، إذا تم ضبط بلاطة كهربائية ثانية يتم مصادرتها.

في داخل مطعم الأسرى الموجود في وسط غرفة نومهم يوجد خزانة من حديد لها أربع فتحات ولا يوجد لها باب يغلقها، تثبت على جدار الغرفة، يضع فيها الأسرى أدوات مطبخهم التي ذكرناها سابقاً، كالمعالق والصحون والطنجرة وإلخ، ويضع الأسرى فيها أغراض المطبخ الأخرى كالماء والشاي وغيرها من الأغراض، للتذكير فقط هذا كله يوجد داخل غرفة الأسرى التي فيها معاشهم ونومهم وحياتهم.



ماذا يأكل الأسرى؟

لا بد من قول الحقيقة في هذا الباب حتى يعلم الناس أنَّ أبناءهم الذين ضحوا بسنوات عمرهم خلف الجدران والقضبان قد حرموا من تناول أي شيء مأكول طازج، سواء كان من اللحوم أو من الخضراوات أو من الفواكه.

كل ما يتم إحضاره للأسرى يأتي من الثلاجات، ويتم وضعه في الثلاجات الداخلية لمطبخ السجن الرئيسي، ومن ثم يتم توزيعه على غرف الأسرى على مدار أيام الشهر، وتقوم إدارة السجن بشراء حصة الأسرى المسموحة والمتفق عليها (وسوف أذكرها لاحقاً) شهرياً من اللحوم والخضراوات والفواكه حتى تستطيع أن توفر وتربح ما تستطيع من الأموال؛ لأنها تشتري كميات كبيرة من أسواق الخضار، وكذلك من محلات اللحوم فتحصل على خصم مئوي من المحلات التي تتعاقد معها، لذلك تجلب هذه الكمية وتضعها داخل ثلاجات السجن الكبيرة المعدة للتخزين.

ما يتم إحضاره من قبل الإدارة قليل جداً ولا يكفي لأسير واحد من سكان الغرفة، فاللحمة الحمراء التي يتم إحضارها لا تكفي لأسير واحد، هذا بالإضافة إلى أنها من اللحم المقطّع من أبقار كبيرة في السن ويحتاج لساعات طويلة حتى ينضج، واللحم يأتي مثلاً، ثم يقوم الأسرى بتحويل كمية اللحم القليلة إلى وجبة طعام لسد الحاجة قبل تنظيفها وخلطها مع الفاصوليا البيضاء أو الخضراء (المعلبة)، ويعد معها كمية من



الأرز حتى تكفي للجميع، وكذلك يتم طبخ هذه الكمية مع كميات من البصل والبطاطا وصلصة البندورة وتقدم كوجبة رئيسية.

ويحاول الأسرى من خلال كمية اللحم هذه أن يأكلوا وجبة المنسف باللبن المطبوخ، حيث يقومون بتجميع وجبة اللبن الصباحية لمدة أسبوع، فيتم جمع علب اللبن اليومية ويتم طبخ هذا اللبن مع كمية اللحم الحمراء التي تم إحضارها، وهذه الوجبة تمثل منسف اللحم باللبن مع الأرز.

أما الدجاج الذي يتم إحضاره فيأتي من الثلاجات أيضًا، ويتم إعادة معالجته وتنظيفه ويصنع منه وجبات عديدة مثل المقلوبة المعروفة عند الأسرى، أحيانًا المقلوبة تكون بالبطاطا، وأحيانًا تكون بالباذنجان، وأحيانًا تكون بالزهرة، وهذا نادر جدًا، يتم أحيانًا إعداد المقلوبة خالية من أي شيء بسبب عدم وجود الخضروات؛ لأنه لا يوجد محل خضراوات يقوم الأسير بشراء الزهرة أو الباذنجان منه لإعداد المقلوبة، فيتم إعداد الطعام حسب الإمكانيات المتاحة.

وأحيانًا يتم قلي الدجاج بالزيت، ويتم إعداد كمية من الأرز توضع بجانب الدجاج المقلي تقدم كوجبة للأسرى.

ويصنع الأسرى وجبة أخرى من الدجاج عن طريق سلق أو قلي كمية من البطاطا ووضعها مع الدجاج مع ما يتوفر لديهم من البصل والبندورة، هذه الوجبة بحاجة إلى فرن كهربائي أو فرن غاز، ولكن لا يوجد، يتم إعداد هذه الوجبة بواسطة البلاطة الكهربائية التي ذكرناها سابقًا.



ومن اللحوم التي يتم إحضارها للأسرى شريحة حبش أسبوعية لكل أسير، هذه الشريحة بالطبع لا تكفي للتذوق فقط، فالشرائح العشر لو وضعتها لأسير واحد لا تكفيه، ولكن يتم التعامل معها كالحوم والدجاج، فيتم قليها بالزيت، أو تقطيعها مع كميات كبيرة من البصل حتى تتحول إلى وجبة شاورما إذا أضيف لها بعض السلطة أو الطحينة.

ويأكل الأسرى طيلة أيام الأسبوع الأخرى إما الأرز كوجبة رئيسية أو ما يتوفر لديهم من المعلبات التي يتم شراؤها من الكانتينا من أموالهم.

فمثلاً الفاصولياء يتم شراؤها معلبة، والبقول معلبة، والبازيلاء معلبة، واللحمة (مرتديلا) معلبة، والذرة معلبة، والفطر معلبة، والزيتون معلبة، والخيار معلبة، والفلفل معلبة، والسردين معلبة، والتونا معلبة، والحمص معلبة، وهذه الأصناف يتم شراؤها من أموال الأسرى الخاصة بأسعار مرتفعة جداً، وكذلك يوجد أصناف أخرى يتم إحضارها من قبل إدارة السجن سوف أذكرها بالنوع والكم بالتفصيل في القائمة الرئيسية المقدمة للأسير.

وهذه المعلبات السابقة يتم التعامل معها بالطهي وتحويلها إلى وجبات غذائية حسب معرفة وقدرة وخبرة الإخوة الذين يتولون إعداد الطعام، فمعظم معلبات الخضروات يتم تحويلها إلى شوربات بالصلصة أو شوربة الدجاج.

وكذلك يوجد أصناف يتم شراؤها مثل العدس الأسود (الحب) والعدس الأحمر (المجروش) والمعكرونة والأرز، وهذه الأصناف يتم إعداد



وجبات منها مثل الرز والعدس معًا (مجذرة)، وكذلك وجبة العدس المجروش شوربة وفت مع الخبز، وكذلك وجبة المعكرونة مع الصلصة والخضراوات المقطعة، وبدون إعداد في الفرن؛ لأنه غير متوفر، بل ممنوع.

وأسهل وأسرع وجبات الأسير هو شراء معلبات السردين والتونا واللحمة (المرتديلا المعلبة) هذه وجبة سريعة يقوم الأسير بأكلها وتناولها على عجالة في حال عدم توفر الطعام أو في حال عدم رغبته في تناول طعام من الذي تم إعداده كالعدس أو الأرز أو المعكرونة... إلخ.

وجبة الفطور عادة ما يعتمد فيها الأسير على اللبن والجبنة الصفراء والفول المقلب والحمص المقلب، والبيض المقلي والمسلوق.

كيف يأكل الأسرى؟

أكل الأسرى له رونق خاص وقيمة عالية جدًا من الناحية الأخوية والإنسانية والشعور بقيمة الإخوة الذين يعيشون معك في مخنة واحدة وتحت سقف واحد خلف جدار واحد وعند عدو واحد، وقد جمعكم هدف واحد، فتجد نفسك تأكل مع هؤلاء الإخوة في إناء واحد يوميًا ولمدة شهور وسنوات تتقاسم معهم الحلوة المرة اللقمة واللقمتين، تجوعون معًا وتشبعون معًا، وهنا لا أخفي سرًا عندما أتحدث عن قيمة الأخ عندما تأكل معه في نفس الإناء مرات ومرات، تتجاوز عدد المرات التي قد جلس بها السجين عند أهله ووالديه وإخوته لتناول الطعام، عشرات ومئات الأيام لا يجلس أحدنا مع أهل بيته على نفس المائدة بسبب الانشغال أو الوظيفة



أو الذهاب هنا وهناك، فتجده يأكل لوحده أو في المطعم أو يتناول شيئاً من الطعام يأكله وحده، أما هنا في القيد وفي الغرفة المغلقة وبسبب الموعد الإجباري للوجبة وبسبب قلة الطعام كمّاً ونوعاً لا تستطيع أن تتخلف عن الوجبة الجماعية بمواعيدها المضبوطة؛ لأنك لا تستطيع أن تأكل متى تشاء وكيفما تشاء حسب ما ذكرت سابقاً.

هذا النمط من الحياة اليومية يخلق بين الإخوة ألفة ومحبة وعلاقة لا يمكن أن تزول طيلة الحياة، فتجد المظهر اليومي للإخوة يلتفون حول مائدتهم يعبر عن صورة الأسرة النموذجية الموحدة التي يسودها الحب والانسجام والألفة والسعادة رغم ضيق المكان وظلم السجان وطول الحرمان، ومن الحقائق التي لا نستطيع أن نخفيها حول أكل الأسرى أو شربهم أن مسلوب الحرية لو أحضرت له كل مأكولات ومشروبات الأرض لن يشعر بها، كما لو تناولها بحرية بين أهله وزوجه وذويه وأبنائه.

والأسير الذي أكله بين المقلب بالمواد الحافظة، والمثلج الذي مضى عليه مدة طويلة؛ قد نسي كل أشكال الطعام الطازج، فالأسير يتمنى أن يرى دجاجة طازجة، أو خروفاً أو شاة تم ذبحها حتى يأكل منها قطعة لحم طازجة، فهذا كله حرام على الأسير.

ومن طرائف أكل اللحم في السجن: جاءت والدته أحد إخواني الأسرى لزيارته بعد عيد الأضحى في سجن بئر السبع^١ إيشل سنة 2005م، فسألتها الوالدة هل أكلتم لحمًا يوم العيد أو بعد العيد؟ فقال الابن السجين نعم، ولقد عملنا منسف لحم، لقد اشترينا عشر علب لحمة (جولش)،



هذا النوع من اللحم المقلب عبارة عن لحمة حمراء مسلوقة وتوضع في علب مع دهون ومواد حافظة وزنها 155 غم، ويقوم الأسرى بإعادة طبخها ومعالجتها من جديد وتحويلها إلى منسف مع اللبن والارز.

قالت الأم الحزينة: ماذا؟ لحم علب! قال لها الابن نعم يا أمي، والله ثمن كل علبة سبعة عشر شيكلاً - أي أكثر من أربعة دولارات - وعندها أخذت الأم بالبكاء على شباك الزيارة، وهي تقول: والله يا بني إن الناس يأكلون لحم الخراف وينعمون باللحم الطازج، لا حول ولا قوة إلا بالله، الله يعينكم يا بني.

يعجز المرء أن يعبر عن حالة الحرمان التي يعيشها الأسير عندما يشتهي الأكل والشرب الحقيقي، قد لا يصدق البعض عندما يسمع الأسير وهو يقول ويتمنى أن يرى بعينه فولاً أخضر أو حزمة من الملوخية أو السبانخ أو حزمة بصل أخضر أو حبة لوز خضراء، أحياناً تجد الأسير يتخيل أنه يأكل كبدة أو كرشاً أو دجاجة مشوية أو سمكة تم حشوها بالخضار أو أمسك بيده حبة من الكوسا أو ورقة عنب فياًكلها، كل ما يأكله الناس البشر في بيوتهم هو حرام على الأسير، فلا يوجد لأكله طعم ولا فرحة ولا رائحة.



غسيل الأسرى لملابسهم

كيف يغسل الأسرى ملابسهم؟

استطاع الأسرى أن يحققوا إنجازات عدة بعد خوضهم إضرابات عن الطعام قدموا فيها أوطالاً من اللحم، وسالت دماء وأزهقت أرواح كثيرة حتى تم الحصول على المغسلة التي يستطيع الأسرى أن يغسلوا ملابسهم من خلالها، وهذه المغسلة عبارة عن ماكينة حديثة تتسع لعشرة كيلو من الملابس، ويوجد معها نشافة للملابس يقوم أحد الأسرى بإدارتها وغسل الملابس عليها من يوم الأحد حتى الخميس، حيث يتمكن كل أسير من غسل الملابس مرتين في الأسبوع عندما يكون عدد الأسرى داخل القسم الواحد 100 إلى 120 أسيراً.

في الحالات التي تتعطل فيها المغسلة أو هناك الكثير من الأسرى لا يرغب بالغسيل داخل هذه المغسلة بسبب اختلاط الملابس بعضها ببعض؛ يقوم الأسير بغسل ملابسه وحده داخل غرفته، ويقوم بنشر هذه الملابس خارج الغرفة خلال ساعات النزهة الصباحية أو المسائية داخل الساحة، ويسمح للأسير بشراء مواد الغسل الخاصة من أنواع المنظفات من المواد اللازمة لغسل وتنظيف الملابس.



مشكلات الأسرى في الغسيل:

أهم هذه المشكلات أن المغسلة توجد في غرفة خاصة تخضع لإدارة السجن؛ لذلك إن تطورت المشكلات التي قد تحدث بين الأسرى والسجانين تقوم إدارة السجن بإغلاق هذه الغرفة التي توجد فيها المغسلة، وكذلك خلال أيام أعياد اليهود التي يستمر بعضها لأكثر من عشرين يوماً، تقوم إدارة السجن بإغلاق غرفة المغسلة ولا تسمح للأسرى بفتح غرفة المغسلة وتشغيل الغسالة حتى تنتهي هذه الأعياد، وبالتالي يؤدي هذا الأمر إلى تراكم غسيل الأسرى بكميات كبيرة، أو يقوم الأسرى بغسل بعض هذه الملابس، ولكن تواجههم مشكلة نشر الغسيل وتجفيفه خاصة في فصل الشتاء، ويتسبب هذا الأمر بمشكلات عدة لعدم توفر ملابس بديلة عندهم وبالتالي تعرضهم للبرد أو اضطرابهم لارتداء الملابس المتسخة لمدة طويلة، وهذا يتسبب لهم بأمراض عديدة.



الكهرباء عند الأسرى

حياة كاملة تعتمد على الكهرباء:

الأسرى داخل السجن عامة، والغرفة خاصة تعتمد اعتماداً كاملاً على الكهرباء فجميع أبواب السجن، والغرفة التي يعيش فيها الأسير تعمل بالكهرباء، والخروج إلى الساحات أو إلى مرفق داخل وخارج القسم يعتمد على الكهرباء، بالإضافة إلى الأدوات الكهربائية الأخرى كلها تعمل بالكهرباء كالمراوح والتلفاز والراديو والبطاريات بحاجة إلى شحن بواسطة الكهرباء.

لذلك إذا أرادت إدارة السجن أن تعاقب الأسرى عقاباً سريعاً تقوم بإنزال كبسة واحدة من أزار التحكم الموجودة عند السجناء داخل غرفة المراقبة، حيث الضغطة الواحدة فقط كفيلة أن تعطل حياة الأسير بالكامل، وإذا تم إنزال الكهرباء عن الغرفة التي يعيش فيها الأسير تتوقف حياته بالكامل.

ضوء الغرفة:

يتم إضاءة الغرفة بعدة مصابيح، ولكن خارج الغرفة لا يستطيع الأسير إطفاء الضوء أو إضاءته إلا عن طريق السجناء الموجودين في الخارج، وأحياناً يتم إطفاء الضوء بشكل إجباري بعد الساعة الثانية عشرة ليلاً، وفي حالات الطوارئ يتم قطع الكهرباء عن كافة غرف السجن.



إضاءة غير كافية وغير صحية:

يتم إضاءة الغرفة بمصابيح غير كافية للرؤية وحتى للقراءة، وأحياناً تكون مصابيح الكهرباء (التنغستون) ذات اللون الأصفر الذي يؤذي العينين، هذه الإضاءة الرديئة قلتها تؤذي أعين الأسرى وتشوش الرؤية مع طول المدة، وتعودهم على نمط إضاءة واحد لشهور وسنوات.

تهوية الغرفة ودور الكهرباء فيها:

كما ذكرت سابقاً لا يوجد للغرفة إلا شباك واحد محاط بالحديد والشباك من كل جانب، وكذلك الباب، فيسمح لكل غرفة بتركيب (4 - 6) مراوح كهربائية من النوع العادي المعروف الذي يتم تركيبه على الجدران أو وضعه على الأرض، وهذه المراوح لا تكفي؛ لأن كل أسير بحاجة إلى مروحة واحدة وحده، هذا بالإضافة إلا أن هذه المراوح تتعرض للكسر أو التلف بسبب كثرة تنظيفها وفكها وتركيبها، وبسبب إخراجها من الغرفة في فصل الشتاء وإعادتها في فصل الصيف، هذا يعرضها للتلف والعطل.

والأمر الأسوأ هو ما تقوم به إدارة السجن من سحب هذه الهوايات من داخل الغرف عند حصول أي مشكلة، كعقاب للأسرى يتم سحب الأدوات الكهربائية كالمكواة والبلاطة الكهربائية وسخان الماء وعملية سحب الهوايات تعرضها للهلاك، ولا يوجد بديل في أغلب الأحيان، هذا بالإضافة إلى تسليط إدارة السجن هذا السلاح على رقاب



الأسرى واستعماله كورقة ضغط بسبب حاجتهم الماسة للهوايات خلال فصل الصيف.

من مشكلات الأسرى المرتبطة بالكهرباء «الماء الساخن»:

حيث يتم تسخين الماء بواسطة الكهرباء، والماء الساخن يستخدم في الاغتسال والوضوء والغسيل والتنظيف، وانقطاع الكهرباء عمداً أو بسبب خلل ما يؤدي إلى التأثير على حياة الأسرى بسبب حاجتهم الماسة للكهرباء اللازمة لتسخين الماء حتى بالوسائل الأخرى كالسخان الذي يستخدم لإعداد العشاء أو بواسطة بلاطة الطبخ الكهربائية، لأن كل هذه الأدوات لا تعمل إلا بالكهرباء.





أمراض الأسرى وعيادة السجن والأطباء والعلاج

عيادة السجن:

عيادة السجن عبارة عن غرفة واحدة لا يوجد فيها سوى طبيب واحد، هذا الطبيب ضابط في الشرطة (سجان) يداوم خلال الأسبوع أياماً معدودة، ويتغيب باستمرار خلال يومي الجمعة والسبت، هذا بالإضافة إلى عدم حضوره خلال الأيام المتبقية من الأسبوع، بالطبع هذا الدكتور غير متخصص، بل معه شهادة الطب العام، ولا ندرى إن كان قد تجاوز امتحان لجنة الأطباء أم لا؟ فهو دكتور يعالج كافة الأمراض جلد، عظام، قلب، أمعاء، مسالك بولية، أنف وحنجرة ودماع، وإلخ، ولا يوجد لهذا الطبيب بديل، أي لا يوجد للسجن الواحد إلا طبيب واحد، يداوم خلال ساعات النهار فقط، فلا يوجد في السجن طبيب من بعد الساعة الرابعة مساءً.

في عيادة السجن يوجد موظف آخر يطلق عليه بالعبري (خُفِيش) أي ممرض، وهذا الممرض هو الذي يتولى عملية المتابعة والعلاج يومياً وبشكل دائم.

الخُفِيش سجان موجود باستمرار داخل السجن، وهو بالطبع سجان يرتدي فوق بدلة الشرطة قميصاً أبيض مكتوباً عليه كلمة خُفِيش،



هذا الشرطي أحياناً تجده في العيادة، وأحياناً تجده يوزع علاجاً، وأحياناً تجده يحمل عصا إذا حصلت مواجهة بين الأسرى والسجانين.

هذا السجان يومياً يعمل جولة على غرف الأسرى ويحمل في يده صندوقاً بلاستيكيّاً مقسماً إلى طبقات، تماماً كصندوق العدة الذي يحمله عامل المواتير أو النجارة أو الألمنيوم، ولكن الخفيش يملؤه بالأدوية والعلاجات التي يحتاجها الأسرى يومياً مثل الأكامول والديكسامول وبعض المضادات الحيوية البسيطة.

ويحتوي صندوقه على بلاستر لاصق للجروح ومطهر للجروح وشاش أبيض، وميزان حرارة.

ويقوم هذا السجان بتوزيع العلاج على الأسرى أصحاب الأمراض المزمنة الذين يأخذون علاجاً مستمراً، حيث يعطيه دكتور السجن مغلفات مكتوباً عليها اسم الأسير وعدد حبات الدواء التي يتناولها، ويوزعها للأسرى حسب أماكن تواجدهم في الغرف والأقسام.

ومن مهام هذا السجان الذي لم يحصل حتى على دورة إسعاف أولي أن يتولى القيام بالواجب إذا حصل أي مرض مفاجئ لأي أسير، أو إذا سقط أحد الأسرى وكسرت يده أو رجله، أو إذا تعرض للإعياء والقيء ليلاً، أو إذا حصلت مشكلة بين سجين وسجان هو الذي يتولى العلاج والمتابعة، وللأسف هذا الخفيش أو السجان لا يعلم من الطب والعلاج شيئاً، وكان لا يوجد بديل عند الأسرى لمن يتولى عملية متابعة العلاج؛ لذلك هناك مئات الحالات من الإصابات والأمراض قد تضاعفت أعراضها وتحولت



إلى أمراض مزمنة ودائمة بسبب عدم المتابعة والعلاج فوراً من قبل أطباء متخصصين .

عيادة الأسنان توجد في نفس الغرفة مع العيادة العامة للسجن، ويداوم طبيب الأسنان ليلاً يوم الاثنين، ويداوم الطبيب العام في الأيام الأخرى.

طبيب الأسنان ضابط شرطة متخصص بالأسنان، وغالباً ما يعالج علامات سريعة ولا يتولى مهمة علاج الأسنان كما هو الحال في الخارج، فمثلاً السن أو الطاحونة التي بحاجة إلى علاج مثل الرقعة أو بها تقويم أو الإخوة الذين بحاجة إلى زراعة أسنان أو لديهم جسر بحاجة إلى تركيب، لا يعالج منها شيئاً، بل معظم علاجاته تكون إما بالخلع أو إعطاء مسكنات للألم، وغالباً ما يواجه الأسرى مشاكل مع السجناء بسبب عدم علاج أمراض الأسنان حتى وصل الحال ببعض الأسرى إلى الإضراب عن الطعام ليحقق علاجاً لأسنانه، ومن الأمثلة على ذلك سجن نفحة مثلاً داخله 700 أسير لا يوجد له إلا طبيب واحد، فهناك مأساة حقيقية داخل السجن بسبب ازدحام التسجيل لدى الأسرى للنزول إلى عيادة السجن، وهناك مئات الأمراض والأعراض التي تحصل لدى الأسرى يومياً، تحتاج إلى علاج أو كشف عن سبب هذه الأعراض يومياً، ولكن عدم توفر الأطباء، وازدحام المرضى يتسبب بحالة من التعب والاحتقان لدى الأسرى لعدم توفر من يعالج هؤلاء الأسرى المرضى، واليوم هناك مريض أو اثنان داخل كل غرفة من غرف السجن.



الأطباء:

من أهم ما يعانيه الأسرى هو المماطلة في العلاج؛ لأن الكثير من الأمراض كالجلد، والقولون، والظهر والسرطان، والنزيف، والبواسير، والدسك، والسكري، والعيون والتهاب الأذنين وغيرها؛ يقوم الطبيب العام بتحويلها إلى مستشفيات خارجية مثل أساف هاروفيه أو بارزلاي، أو سوروكا، أو مستشفى الرملة، وهذه التحويلات تستغرق وقتًا طويلاً حتى يتم الموافقة عليها أو إخراجها، لماذا؟ لأن العلاج خارج السجن يعني حجز دور عند طبيب خارج غرفة مصلحة السجون في إحدى هذه المستشفيات، وهذا الأمر يتطلب تنسيقاً لوجستياً خارجياً مع المستشفى الخارجي، وكذلك تنسيق أمني داخلي؛ لأن خروج الأسير من داخل سجن إلى خارج السجن يحتاج إلى ضابط وثلاثة سجانين حتى يرافقه في هذه الرحلة ذهاباً وإياباً، وهذه الترتيبات لا يحصل عليها الأسير المريض إلا بعد شهور من الصراع والقتال مع السجانين، وبالتالي يكون قد انتقل إلى مرحلة متقدمة من المرض، وزيادته وتعرضه لآلام إضافية وتأخر العلاج بالتالي يتسبب بتأخر الشفاء وتفاقم المرض.

208

حالات الطوارئ ليلاً أو نهاراً داخل السجن نتائجها الوفاة:

معظم حالات المرض المفاجئ أو تدهور الحالة لأحد الأسرى سواء خلال الليل أو النهار مثل: الجلطة أو الإصابة المباشرة بمرض خطير لا يوجد لدى السجانين سيارة إسعاف أو طائرة لنقل الأسير إلى المستشفى، بل يتم الاعتماد على الممرض المزور أو على طبيب السجن إذا تواجد



صدفة، وهناك حالات عديدة قد تعرضت للجلطات بشكل مفاجئ، ولم يستطيع السجن أن يتعامل معها، وبالتالي كانت النتيجة استشهاد الأسير مثل الأسير ياسر حمدونة الذي تعرض لجلطة خلال ممارسة الرياضة في الصباح، ولم يستطع السجن أن ينقله إلى المستشفى لا عن طريق طائرة ولا عن طريق سيارة اسعاف، فتم تركه لساعات، كانت نهايتها الشهادة، ومن المجالات التي تؤدي إلى وفاة الأسير أو مضاعفة المرض لديه وهو داخل غرفته، أنه إذا مرض الأسير ليلاً لا يوجد أمر أكثر تعقيداً من السماح بفتح غرفة الأسير ليلاً؛ لأن القانون داخل السجن إذا تم إجراء العدد المسائي وتم إغلاق الغرفة بالكهرباء والأقفال الحديدية لا يسمح بفتحها إلا بإذن من ضابط الأمن المسؤول عن الأمن عن كل الأسرى والفرق والسجن بأكمله، أحياناً يستمر الأسرى بالمناداة على السجن لساعات حتى يستجيب السجن ويسمع بأن الأسير بحاجة إلى علاج، وبعدها يقوم بالاتصال بالضابط المناوب، ومن ثم يتصل الضابط المناوب بالأمن، وتستمر هذه العملية لساعات وأحياناً حتى ساعات الصباح، بينما الأسير المريض يتقلب بين الألم ومصارعة الموت أحياناً، وهكذا تستمر معاناة الأسير المريض وكذلك الأسير غير المريض يتقطع قلبه حزناً على أخيه الذي لا يستطيع أن يقدم له أي علاج سوى آيات من القرآن الكريم وأحاديث نبوية في فضل الصبر على الأذى، والمرضى والظلم، خلال هذه الساعات من أنين الأسير المريض، يشهد القسم والغرفة التي يتواجد فيها الأسير المريض جولات من الصراع مع السجناء، أحياناً تنتهي بالضرب على الأبواب أو التكبير، مما يؤدي إلى معاقبة الأسرى الذين قاموا بهذا العمل، وهكذا تستمر حياة الأسرى في هذا الباب من أبواب حياتهم الحزينة.



الأمراض التي يصاب بها الأسرى:

الأسير يتعرض للإصابة بأمراض عديدة أسبابها المباشرة المكان وعدم ملاءمته للبشر من كافة الجوانب، وكذلك الغذاء السيء، والإصابات النفسية المتعلقة بالضغط والكبت والحرمان، والحزن، وقلة الفرح والشوق للحرية، والسبب الرئيسي لهذه الأمراض هذا العدو الذي قهر الرجال بحبسهم في هذه السجون، ومن جملة هذه الأمراض أمراض الدسك والعمود الفقري والظهر بشكل عام، والسبب الرئيسي لهذه الأمراض عند الأسرى، وانتشارها كثيرًا في أوساط الأسرى هو عدم توفر الفرشات الطبية وكذلك السرير الطبي اللازم للنوم، فالفرشات الموجودة لدى الأسير رقيقة جدًا ولا تستوفي مواصفات الفراش الصحي اللائق بالإنسان وصحته، أو على الأقل لا يصل إلى مستوى الفراش الذي ينام عليه أي إنسان في داخل بيته، وكذلك السرير وهو عبارة عن سرير حديدي يتسبب بالأذى للظهر، وفي فصل الشتاء يتحول إلى ثلاجة تخرج البرودة والصقيع من داخل الحديد الصلب، وفي فصل الصيف يكون مصدرًا للرطوبة التي تتكون بين فرشة الإسفنج الرقيقة والحديد، فلا يرفع الأسير فراشه إلا ويجد الماء والرطوبة قد تكونت داخل فراشه، وهذا كله يتحول إلى أوجاع وأمراض داخل عظم الظهر ومفاصل الجسم، فالأسرى جميعًا يعانون من آلام الظهر المختلفة لهذه الأسباب، ويعتمد الأسير طيلة سنين سجنه على المسكنات التي تعطى لآلام المفاصل، ولا يوجد علاج لدى إدارة السجن؛ لأن السبب معروف وهو السرير والفرشة، بالإضافة إلى البرد الشديد في الشتاء وعدم توفر الأغذية الكافية يتسبب بآلام الظهر والعظام والمفاصل وخاصة القدمين والركبتين.



أمراض البواسير:

يصاب الكثير من الأسرى بالبواسير بأنواعها المتعددة سواء الباسور الداخلي أو الداخلي والخارجي معاً، وذلك بسبب البرودة الشديدة أو بسبب طبيعة الطعام المتناول هذا يؤدي إلى إصابة الأسرى بهذا المرض، وهذا النوع بحاجة إلى عملية جراحية، ويبقى الأسير طيلة أيام سجنه يعاني من المماطلة في إجراء هذه العملية حتى يتم الإفراج عنه؛ لأنهم لا يقدمون على إجراء هذه العملية للأسير داخل السجن، ويبقى يعاني من المماطلة من السجناء ومن طبيب السجن الذي لا يوافق على إجراء العملية الجراحية للأسير.

ضيق التنفس والأزمة والجيوب:

بسبب سوء التهوية وقلتها في الغرفة يعاني الكثير من الأسرى من الأمراض كالأزمة وضيق التنفس وخاصة أن الغرفة ضيقة ولا توجد بها تهوية كافية، يتم فيها إعداد الطعام لساعات طويلة والعمل مثل قلي البطاطا وغيرها، بالإضافة إلى الرائحة المتصاعدة من بخار الطعام الناتج عن الطهي والقلي والسلق يومياً حيث لا يوجد عدد نوافذ كافية أو هويات أو شفاط للبخار؛ لأن المطبخ موجود بين سرير الأسير وأخيه داخل غرفة نومهم وإقامتهم.

أمراض الجلد المتعددة كالفطريات، والسكابيوس والجرب والحساسية بأنواعها: هذه أمراض تنتج عن طريق انتشار الرطوبة داخل الغرف من الفرشات الإسفنجية والسرير الحديدي المؤذي، وكذلك من



الجدران القديمة التي تخرج منها الرطوبة، وهذه الأمراض السيء فيها أنها معدية بسبب الاكتظاظ في الغرفة الواحدة، تجد المرض قد انتقل إلى الجميع بسبب الاختلاط الإجباري واستخدام الأدوات بشكل متكرر يوميًا.

وينتشر بين الأسرى أمراض العيون كقصر النظر وطول النظر وتشويش الرؤية لسبب طول المدة داخل السجن، فلا يتعرض الأسير لرؤية ومشاهدة الأشياء على حقيقتها ولا ينظر إلى الفضاء الخارجي إلا من خلال الأسلاك والحديد ولمسافات قصيرة، هذا يؤدي إلى تشويش الرؤية لدى الأسير، ومع طول المدة يفقد دقة النظر وكذلك دقة التركيز في الأشياء.

212

وانتشر بين الأسرى أمراض خطيرة كسرطان الغدد، وهذا النوع من المرض تفشى بشكل مفاجئ وأصاب أعدادًا كبيرة من الأسرى حيث استشهد به الأسير ميسرة أبو حمدي، واليوم يعاني منه الأسير يسري المصري وغيره من الأسرى.

ويتعرض الأسرى لأمراض دائمة وبشكل يومي مثل الرشح والإنفلونزا ولفحة الهواء، بسبب عدم توفر وسائل الوقاية عند الاستحمام والخروج من الحمام يؤدي إلى التعرض للهواء مباشرة مما يتسبب بإصابة الأسير باللفحة الهوائية أو الرشح، وبعض هذه اللفحات تتسبب للأسير بتشوه في عضلات الوجه أو الكتف أو الرقبة بسبب شدة اللفحة التي تصيبه.



الأسرى حقل تجارب للأدوية، وذكرت أبحاث الدراسات النفسية والاجتماعية أن السجون شهدت العديد من الحالات التي يتم فيها إعطاء المريض أنواعاً جديدة من الأدوية تتسبب بمضاعفات وأوجاع وآثار داخلية وخارجية، وعندما تتم المراجعة وتحصل متابعة حقيقية للحالة، تكون الإجابة بأن هذا دواء جديد تم تفضيله أو الإجابة الأسوأ هي أن هذا الأسير المريض قد حصل على علاج خاطئ غير المطلوب، فظهرت لديه هذه الأعراض.

وهناك عشرات الحالات التي تم تسجيلها داخل السجون لإخوة مرضى قد أصيبوا بأمراض وتم إعطاؤهم علاجاً لمرض آخر تسبب لهم بالأذى، ولا يزال هذا النهج مستمراً لعدم وجود الرقابة القانونية والطبية لعلاج الأسرى، فكما ذكرت سابقاً الأطباء الذين يتولون العلاج داخل السجن ضباط شرطة أو قادمون من الجيش، ويقومون بمعالجة كافة الأمراض بمجرد أخذ فحوصات عامة للأسير المريض.

ومن القهر الإضافي الذي مورس على الأسرى: أن السجون باتت تشكل بؤرة حقيقية وجاهزة لإجراء أبحاث ودراسات نفسية واجتماعية لطلبة الجامعات الصهيونية، ومن شواهد هذا الموضوع، أننا نتفاجأ بين الحين والآخر بقدوم بعثات لطلبة جامعات مثل الجامعة العبرية، وجامعة بار إيلان وغيرها، قد دخلوا إلى أقسام السجن وأجروا جولة داخل الأقسام، ويرافقهم أساتذة جامعات من حملة الشهادات العليا، وعندما كنا نسألهم عن سبب هذه الجولة، كانوا يجيبون بأنهم يقومون بكتابة أبحاث ودراسات عن الأسرى وجاءوا لجمع بيانات وكتابة وملء استبيانات حول الأسرى وحياتهم وكيف يقوم السجن بإدارة حياة الأسرى.



ولقد وصل الحال إلى أبعد من ذلك حيث قام السجان في عام 2005م بإجراء زيارات لسجن إيشل من طلبة المدارس الأساسية والثانوية، وكانوا قد قاموا بهذه الزيارة بموافقة سجانين ومرشدين يشرحون للطلبة عن الأسرى من خلف القضبان، وإذا اقترب أحدهم من النافذة أو الباب كانوا يخبرونهم بأن هؤلاء الناس (الأسرى) يجب النظر إليهم عن بعد فقط، يعني تربية لطلبة المدارس على الحقد والكراهية.



التلفاز والراديو

أولاً: التلفاز

لقد دخل التلفاز إلى غرف الأسرى بعد معارك شرسة قدّم فيها الأسرى أوطالاً من لحومهم ودمائهم، وعلى الرغم من حصول الأسرى على التلفاز إلا أن السجنان هو الذي يتحكم به وإدارته من ناحية القنوات المسموحة والممنوعة، وكذلك من ناحية التهام العام؛ لأنه يمتلك (الرسيفر الرئيسي) والأسرى لا يوجد لديهم إلا جهاز التلفاز فقط.

كيف يتم إدارة التلفاز داخل الغرفة؟

من المعلوم أن وجود عشرة أسرى داخل غرفة وفي مكان مغلق أوجد للأسرى إشكالية تلبية رغبة لكل أسير في مشاهدة ما يريد، ولا يوجد إلا تلفاز واحد.

لقد تم وضع لائحة داخلية لتنظيم أوقات التلفاز وترتيب الأولويات حتى لا يحصل أي خلاف بين الإخوة.

لذلك تم الاتفاق على أن تكون الأولوية في التلفاز ومشاهدته للبرامج السياسية والثقافية في الدرجة الأولى إن توفرت، ثم تكون البرامج الترفيهية في الدرجة الثانية.



فالقنوات المسموحة التي فرضها السجنان هي القنوات الإسرائيلية (الأولى، الثانية، العاشرة) ومحطة رياضية، وقناة أفلام أجنبية وقناة أخبار عربية، وأحياناً يتم استبدال بعض هذه القنوات بقناة مماثلة على نفس الطريقة.

لذلك تم الاتفاق على تحديد ساعات يومية لسماح نشرات إخبارية صباحاً ومساءً، وكذلك متابعة البرامج العلمية والثقافية والسياسية، وسمح للأسير بمتابعة فيلم أجنبي هادف، وكذلك مسلسل يومياً خالٍ من مظاهر السوء وكل ما هو منافٍ لأخلاقنا وديننا، وكذلك يتم التوافق على متابعة بعض المباريات والبطولات العالمية والمحلية لكرة القدم.

التلفاز يتم إغلاقه الساعة الثانية عشرة ليلاً، ولا يتم تشغيله إلا الساعة الثامنة صباحاً.

216

مشكلة الصوت العالي للتلفاز: تم التغلب عليها من خلال شراء سماعات لاسلكية تعمل بالليزر ثمن كل سماعة 250 شيكلاً، اضطر الأسرى لشرائها لكي يتغلبوا على مشكلة صوت التلفاز المرتفع.

يقوم أمين كل غرفة بمتابعة أمور التلفاز، ويتولى حل أي إشكالية تتعلق بالخلاف على التلفاز، وأحياناً يحصل خلاف بين الإخوة حول متابعة برامج معينة قد لا يتابعها أخ آخر، يتم حل هذه الإشكاليات بالتفاهم والمحبة، بالرجوع إلى اللوائح التنظيمية المتفق عليها حسب عرف وعادات الأسرى.



هناك ظاهرة جميلة ومهمة لدى كثير من الإخوة الأسرى فيما يتعلق بالتلفاز، تتلخص في عدم اكتراث العديد من الأسرى بموضوع التلفاز، فيتركون المجال للإخوة الذين يرغبون في متابعة التلفاز، وهذا الأمر يساعد في توفير جو للإخوة الذين يرغبون بالمشاهدة؛ لأنه بالفعل لا يحمل رسالة تعبر عن حاجة الأسير من المتابعة لكل ما يريد من البرامج، السبب حرمانه من قنوات دينية ووثائقية وعلمية قد تساعد في التعليم والاستفادة.

التلفاز من وسائل العقاب للأسرى:

عند حصول أي خلاف بين الأسرى والسجان يضع الأخير من قائمة العقوبات للأسير سحب التلفاز من داخل غرفة معينة لمدة معينة، أو يلجأ أحياناً إلى وسيلة خبيثة تتمثل في التنكيد على الأسرى بطريقة غير مباشرة عن طريق حذف القناة التي يتابعها الأسرى أو التشويش أو تعمد إحداث خلل في الصوت أو الصورة، وقد يستمر هذا العطل لعدة أيام بحجة عدم وجود مختص ليقوم بتصليح هذا العطل.

وعن طريق جهاز التحكم الموجود لدى السجان يتحول التلفاز إلى أداة مضبوطة حسب مزاج وإدارة السجان لهذا الجهاز.

وخلال السنوات الماضية تم تبديل وسحب عدة قنوات فضائية من الأسرى، فمثلاً تم سحب قناة الجزيرة بعد حرب 2006م، وكذلك تم سحب قناة فلسطين الفضائية بعد إضراب عام 2012م؛ بسبب التأييد والوقوف بجانب الأسرى في إضرابهم.



وبعد مطالبات حثيثة لمحطة فلسطينية تمت الموافقة خلال عام 2015م على قناة (معًا) ولكن للأسف لم تستمر لأكثر من ستة أشهر حيث تم سحبها؛ بسبب دعمها لإضراب الإخوة الإداريين والتحريض على إدارة السجون، واليوم تم استبدالها بقناة (فرنسا 24) التي تبث أخبارًا باللغة العربية ولكنها لا تغطي الشؤون الفلسطينية بشكل كامل كالقنوات الفلسطينية.

التلفاز بكافة أحواله يعتبر وسيلة ترويح وتسلية وتغيير للروتين اليومي في حياة الأسرى، ويعتبر متنفسًا لمئات الأسرى في حياتهم اليومية، خاصة في أوقات فراغهم، وخلال إغلاق الأبواب لفراغهم لساعات طويلة.

ثانيًا: الراديو

يلعب الراديو دورًا هامًا في حياة الأسرى، خاصة قنوات FM المحلية التي تبث من قطاع غزة ومن الضفة الغربية حيث عمل الأسرى على التقاط العديد من المحطات عبر تردد FM، عن طريق تمديد بعض الأسلاك، وهناك متابعة كبيرة وواسعة لإذاعة صوت الأسرى التي تبث من قطاع غزة، لدورها الفعال في متابعة شؤون الأسرى دون تمييز وبمهنية عالية، كذلك هناك متابعة لمحطات القرآن الكريم والعديد من الإذاعات المحلية التي يتابع من خلالها الأسرى أخبار المدن والقرى والمخيمات، وتلعب هذه الإذاعات دورًا كبيرًا في إحداث تغيير في حياة الأسرى اليومية مثل: متابعة قراءة جريدة القدس وغيرها خلال الفترة الصباحية، وكذلك متابعة العديد من البرامج الدينية عبر إذاعات من غزة والضفة.



الراديو أيضًا من وسائل الحرمان التي يستخدمها السجنان في معاقبة الأسير حيث يتم سحب الراديو من الأسير كعقاب إذا حصل مخالفات معينة أو مصادمات بين السجنان والأسير، يتم معاقبة الأسير جملة من العقوبات من ضمنها سحب الراديو لمدة معينة.





الإذاعات المحلية ودورها في خدمة الأسرى

الحديث هنا عن الإذاعات المحلية التي تبث عبر موجات الراديو خاصة التي تعمل على ترددات موجات FM على أرض الوطن، في محافظات الضفة وغزة والداخل الفلسطيني المحتل وبعض الإذاعات العامة التي تبث عبر قنوات الراديو المسموع.

لقد لعبت الإذاعات المحلية دورًا كبيرًا في حياة الأسرى داخل السجون من خلال المتابعة للبرامج التي تبث عبر هذه الإذاعات التي يصل بثها إلى السجون على اختلاف مواقعها الجغرافية من الشمال مرورًا بالوسط حتى الجنوب؛ دورًا في ملء وسد فراغ كبير في حياة الأسرى على اختلاف وتنوع اهتماماتهم اليومية، وبسبب التضييق والمنع والحرمان للأسرى من مشاهدة القنوات التلفزيونية الفلسطينية كان لهذه الإذاعات المحلية حظ واسع من المتابعة خلال ساعات النهار والليل.

وخلال هذا الفصل سوف نتحدث عن كيفية الحصول على بث هذه القنوات من حيث الوسيلة والإمكان وعن اهتمامات الأسرى في المتابعة ونوعيتها، وعن استعراض عام للإذاعات المحلية التي يصل بثها إلى السجون من حيث موقع السجن، وعن أكثر الإذاعات متباعدة من قبل الأسرى، وعن أقوى الإذاعات بثًا عبر السجون، وعن أكثر الإذاعات اهتمامًا بشؤون وقضايا الأسرى وعن أكثر البرامج تفضيلاً ومتابعة لدى الأسرى.



أولاً: كيفية الحصول على بث القنوات المحلية

ليس من السهل التقاط البث لموجات المحطات المحلية في كافة السجون إلا من خلال إعداد أنتيل من سلك نحاسي يتم إيصاله بالراديو وإخراجه من داخل الغرفة عبر القضبان الحديدية والأسلاك إلى الخارج، وهذه العملية داخل السجن شاقة جداً من حيث إمكانية الحصول على سلك نحاسي داخل مكان كالسجن من ناحية، ومن ناحية أخرى إن الأسير يتعرض لعمليات تفتيش وملاحقة مفاجئة يومياً في هذا الأمر؛ لأن هناك إجراءات معقدة يومياً تتم للغرف من خلال فحص الشبايك ومراقبة أي شيء يتم إخراجه من شباك الغرفة، لذلك هناك عمليات مراقبة لسلك الراديو من قبل السجناء وصلت في بعض الأحيان إلى حصول إشكاليات بين الأسير والسجان؛ لأن الأخير يقوم بتقطيع أنتيل الراديو؛ لأنه يشكل خطراً أمنياً بسبب إخراجه من شباك الغرفة.

222

وعلى سبيل المثال وصل الأمر في سجن نفحة وريمون إلى معاقبة الأسير الذي يخرج سلكاً خارج الغرفة بمبلغ 400 شيكل، لماذا هذا الإصرار على إخراج هذا الأنتيل؟

لأن بعض الإذاعات المحلية قد شكلت لعدد كبير من الأسرى حلقة وصل واتصال مع الأهل في الخارج عن طريق الاستماع لصوت أهله وذويه من خلال برامج تبثها العديد من الإذاعات المحلية بشكل يومي أو أسبوعي.

هذا بالإضافة إلى متابعة عدد كبير من الأسرى لبرامج ثقافية ودينية ورياضية وسياسية متنوعة عبر هذه الإذاعات؛ لأن الوسيلة الوحيدة المتاحة



للأسير هي هذه الإذاعات فقط، لذلك دفع الأسرى ثمنًا كبيرًا من أموالهم ومن دمهم في سبيل الحصول على بث هذه الإذاعات.

ثانيًا: الإذاعات الأقوى بثًا والتي يصل بثها لكافة السجون

بعد الاستعراض الذي أجرته الإذاعات والراديو من خلال استبيان للأسرى الذين يتابعون الراديو وبرامجه من سجن جلبوع مرورًا بهداريم حتى بئر السبع ونفحة والنقب وجدت أن بث الإذاعات المحلية يتفاوت من الشمال إلى الوسط حتى الجنوب من حيث القوة، ولكن هناك مجموعة من الإذاعات التي يصل بثها إلى كافة السجون ومن هذه الإذاعات:

- إذاعة أجيال التي تبث من مدينة رام الله.

- إذاعة الراية التي تبث من مدينة رام الله.

- إذاعة فلسطين وصوت فلسطين الذي يبث من مدينة رام الله.

- إذاعة معًا التي تبث من مدينة بيت لحم.

- إذاعة القرآن الكريم التي تبث من مدينة نابلس.

هذه الإذاعات المحلية الخمس يصل بثها لكافة السجون، وفي بعض السجون لا تحتاج إلى أنتيل لالتقاطها، هذا بالإضافة إلى محطات BBC وراديو سوا، ومونت كارلو، هذه يستطيع الأسرى التقاطها في كافة السجون.

وبسبب التقاط راديو الأسرى للإذاعات السابقة في كافة السجون



وبسبب قوة بثها فالمتابعة لهذه القنوات كبيرة وواسعة ومن خلال المتابعة والاستبيان الذي يتم استعراضه وجدنا أن إذاعة الراية وأجيال تقدم برامج متنوعة على مدار الأسبوع، خاصة مراسيل الأسرى، هذا بالإضافة إلى برامج سياسية واجتماعية وثقافية ورياضية وصحية، وهناك متابعة واسعة لإذاعة صوت فلسطين، وشبكة معًا الإخبارية من حيث متابعة البرامج الإخبارية ونشرات الأخبار المحلية الفلسطينية الصادرة في صباح كل يوم، وهذه يتم متابعتها بشكل يومي من قبل قطاع واسع من الأسرى من كافة الفصائل وعلى مستوى السجون.

ومن الإذاعات التي لها قبول لدى الأسرى وحظيت ببث قوي لدى الأسرى في كافة السجون: إذاعة القرآن الكريم التي تبث من مدينة نابلس، وهي بسبب بثها القوي لها متابعة واسعة بين أوساط الأسرى خاصة أنها تعمى ببث القرآن الكريم، وكذلك مجموعة من البرامج الدينية الهامة في الوعظ والإرشاد والفقه والتجويد والفتاوى الدينية في كافة المجالات، بالإضافة إلى برامج التزكية والتربية لمشايخ وأساتذة، ولقد حظيت هذه الإذاعة بالمتابعة من قبل الأسرى؛ لأن ترددها مسموع وسهل الوصول إليه داخل غرف الأسرى وخارجها.

ومن الإذاعات التي يصل بثها لكافة السجون صوت فلسطين، والذي يهتم بإذاعة نشرات إخبارية على مدار الساعة وعلى رأس الساعة، بالإضافة إلى اهتمامه بالقضايا والشؤون الفلسطينية، وهذا الإعلام يشكل حلقة تواصل هامة للحركة الأسيرة مع الخارج الفلسطيني في غزة والضفة.



ويعتبر راديو (معًا) الذي ينقل عن شبكة معًا الإخبارية صوتًا هامًا وضروريًا للأسرى، خاصة أن هذا الصوت يعتبر من الأصوات المحايدة بين وسائل الإعلام والإذاعات المحلية الفلسطينية التي يصل بثها لأسرى داخل السجون حيث يتابع الأسرى من خلاله وبسبب وصوله لكافة السجون نشرات إخبارية يومية، بالإضافة إلى برامج سياسية وتحليل إخبارية وبرامج ترجمة عن المحطات العبرية وغيرها من البرامج الهامة للأسرى داخل السجون.

ثالثًا: استعراض لأهم الإذاعات المحلية التي يصل بثها للسجون غير الإذاعات السابقة

سجون شمال فلسطين، سجن جلبوع، وشطة، وهداريم، هذه السجون الثلاثة يصل إليها عبر الأنترنت موجات وترددات ال FM المحطات التالية.

- إذاعة الشمس التي تبث من مدينة الناصرة الفلسطينية المحتلة داخل الأراضي المحتلة عام 1948م وتبث مجموعة من البرامج المتنوعة ويتابعها عدد من الأسرى حسب الاهتمامات.

- إذاعة الأحلام تبث من مدينة جنين وبرامجها متنوعة أيضًا وتلقى متابعة من أوساط الأسرى.

- إذاعة فن FM وهذه يصل بثها من الأردن، وتبث برامج فنية واجتماعية وبسبب قوة تردها في الشمال يتابعها أوساط معينة من الأسرى.



- إذاعة هلا الأردنية تبث من الأردن برامج اجتماعية.
- إذاعة JBC الأردنية تهتم بالبرامج الرياضية والفنية.
- إذاعة Jordan FM تبث من الأردن باللغة الإنجليزية برامج متنوعة.
- إذاعة النجاح تبث من مدينة نابلس برامج متنوعة ولها متابعة.

يوجد بالإضافة لهذه الإذاعات إذاعات أخرى لم أستطع إحصاءها، ولكن بعد استبيان تم إجراؤه على مجموعات من الأسرى وجدنا أن الاهتمامات تختلف من أسير إلى آخر، ويلعب هذا الاهتمام من الانتماء أو الفصيل السياسي خاصة بين أسرى فتح وحماس والجهد الإسلامي والجهتين، وجدنا هناك متابعة واسعة من أسرى حماس والجهد لإذاعة القرآن الكريم من نابلس في متابعة برامج الشيخ محمد راتب النابلسي والبرامج الدينية.

226

• بينما هناك اهتمام واسع ومتابعة بين أسرى فتح مثلاً: في متابعة البرامج الفنية والرياضية عبر إذاعة الشمس وفن والأحلام، بالإضافة لاهتمامهم أيضاً بالبرامج الدينية؛ لذلك الاهتمام يتفاوت حسب الشخص ونوعية البرامج، ولكن ما يمكن تأكيده هو أن هذه الإذاعات لها دور كبير في سد فراغ لدى عدد كبير من الأسرى خلال برامجهم اليومية من حيث المتابعة والاهتمام.

• سجون الوسط، عسقلان، وعزل عسقلان، وسجن الرملة، وعزل الرملة، (أيلون) هذه السجون بالإضافة إلى سجون الجنوب يصل إليها



بث عدد كبير من الإذاعات المحلية بالإضافة إلى الست التي ذكرناها في الفصل الأول، سوف أسوق أسماء أكبر عدد من هذه الإذاعات لأهميتها وأهمية متابعتها من قبل الأسرى في سجون الوسط والجنوب كسجن إيشل أو هليكدار وعزل بئر السبع وسجن ريمون وعزل ريمون وسجن نفحة الصحرأوي وعزل نفحة وسجن النقب الصحرأوي ومن هذه الإذاعات:

- إذاعة بيت لحم 2000: تبث من مدينة بيت لحم برامج متنوعة، ويصل بثها لسجون الجنوب وتلقى اهتماماً واسعاً من الأسرى، وخاصة أسرى مدينة وقرى بيت لحم؛ لأنها تنقل أخباراً عن مناطقهم بشكل واسع بالإضافة إلى البرامج الأخرى التي تبثها.

وللعلم مصدر البث لأي إذاعة محلية له دور فعال في نوعية الأشخاص الذين يتابعون هذه الإذاعة فمثلاً: أسرى بيت لحم يزداد اهتمامهم أكثر بإذاعات بيت لحم، وكذلك أسرى الخليل يزداد اهتمامهم بإذاعات الخليل وأسرى غزة بإذاعات غزة.

ومن الخليل عدد كبير من الإذاعات المحلية أهمها:

إذاعة دريم، راديو 1 الخليل، راديو الخليل، السنابل، صوت الحرية، صوت العروبة، نساء FM، النجوم، صوت الريف من الجنوب، صوت المرح، صوت السحاب، صوت الرابعة من الخليل، هذه جميعاً تبث من الخليل، ومعظمها يبث مجموعة من البرامج المتنوعة أهمها برامج يومية صباحية كقراءة في الصحف الفلسطينية، وكذلك برامج ترفيهية وغناء وموسيقى، وبرامج رياضية، وبث مباشر لمباريات كرة القدم في الدوري



الأوروبي والإفريقي وكأس العالم، وتبث برامج سياسية وإخبارية، وتتابع شؤون الأسرى حال حدوث محظورات داخل السجون، هذه الإذاعات تلاقي اهتمامًا كبيرًا لدى أسرى الجنوب خاصة، والأسرى المتواجدين من الشمال وغزة، وسجون الجنوب، وخاصة أن بثها يصل إلى كافة سجون الوسط والجنوب، وهناك متابعة واسعة لإذاعة صوت دريم والحرية والريف من أوساط أسرى حركة فتح؛ بسبب طبيعة الميول والانتفاء، وكذلك من ناحية قلبية مثل هذه الإذاعات لرغبات أوساط كبيرة من الأسرى المتابعين لها وحتى هناك تواصل بين عدد كبير من الأسرى والعاملين في داخل هذه الإذاعات المحلية.

ومن الإذاعات المحلية التي يصل بثها لسجون الجنوب والوسط إذاعات تبث من قطاع غزة منها: صوت القدس وصوت الحرية، وصوت الأسرى، وإذاعة الأقصى، والبراق، وحرية غزة، وأمواج، والجامعة الإسلامية، وطيف، والشعب.

هذه الإذاعات تبث برامج متنوعة ما بين رياضية وإخبارية وسياسية منها المهتم بشؤون الأسرى بشكل خاص، كإذاعة صوت الأسرى، هذه الإذاعات تلاقي متابعة واهتمامًا من قبل أسرى غزة خاصة، وكذلك بعضها له متابعة من كافة أبناء الحركة الأسيرة من كافة الفصائل، والمناطق لأهميتها وأهمية متابعتها لقضايا الأسرى ومن حيث المصادقية والحيادية وعدم التفرقة بين الانتفاء للأسير كما سنذكر لاحقًا.



رابعًا: البرامج التي يتابعها الأسرى

بإجراء الاستبيان مع صعوبة الظروف لإجراء مثل هذه الدراسات، وجدنا أن هناك متابعة واسعة للأسرى للبرامج الصباحية، التي يتم من خلالها نقل أخبار المدن والمناطق الفلسطينية وكذلك القراءة اليومية للصحف الفلسطينية الصادرة في كل يوم وهذه البرامج وجدناها تبث على معظم الإذاعات المحلية التي ذكرناها، وجدنا مثل هذه البرامج عليها إجماع بين أوساط الأسرى كافة، وهناك برنامج هام يبث عبر إذاعات محلية بشكل أسبوعي وعبر إذاعة واحدة بشكل يومي يشكل شريان حياة وقناة تواصل بين الأسير وأهله هذا البرنامج وجدناه يحمل المرتبة الأولى لأهميته العظمى والكبرى بالنسبة للأسرى خاصة أنه يشكل حلقة وصل للاطمئنان حتى في أصعب الظروف التي يمر بها الأسير حتى خلال وجوده في العزل الانفرادي، وجدنا أن إذاعة الأسرى والنجاح، والأحلام وأجيال، والراية والخليل وحرية الخليل، ونغم تبث برنامجًا خاصًا للأسرى مع أهاليهم عن طريق الاتصال عبر الراديو خلال ساعات محددة أسبوعيًا باستثناء صوت الأسرى الذي ينقل البرنامج بشكل يومي ولوقت أطول.

ومن البرامج التي يتابعها الأسرى برامج رياضية تبث عبر الإذاعات المحلية خاصة المباريات في الدوري الأوروبي أو البطولات حيث هناك منع من قبل السجناء لمتابعة القنوات التلفزيونية التي تتولى نقل مثل هذه المباريات، لذلك تجد فئات الإخوة الأسرى يتابعون أحداث المباريات عبر النقل المباشر من خلال الراديو، هنا تجد الغرابة في طبيعة الحرمان، الأسير يتابع مجريات وأحداث مباراة كرة قدم تستمر تسعين دقيقة وهو يتابعها



صوتًا بدون صورة ويتفاعل مع أحداثها وكأنه ينظر إليها من خلال شاشة عرض وهذا النوع من المتابعة خلال الاستبيان وجدت أن عددًا كبيرًا من الأسرى يتابع إذاعات محلية تقوم بالنقل المباشر لمباريات كرة قدم عالمية وعربية مثل أمواج- غزة، ودريم والحرية والرابعة من الخليل.

ومن البرامج التي يتابعها الأسرى البرامج السياسية والتحليل الإخبارية التي يتم من خلالها استضافة شخصيات إعلامية وكوادر سياسية للتحليل والتعليق على الأحداث والتطورات على الساحة الفلسطينية والعربية، وكذلك هناك متابعة واسعة للمؤتمرات الصحفية التي تعقد في قطاع غزة والضفة لشخصيات وقيادات كافة الفصائل الفلسطينية ومتابعة النقل المباشر للمهرجانات والمناسبات التي يتم الاحتفال بها في الضفة أو غزة.

230

وكان للإذاعات المحلية دور بارز في نقل الصورة للأسرى عن الحروب التي شنها الاحتلال على قطاع غزة خلال السنوات الماضية، حيث كانت إذاعات غزة تعمل بشكل خاص على مدار الساعة، على نقل الأحداث أولاً بأول وكان الاعتماد الكامل للأسرى في المتابعة لأحداث الحرب من خلال هذه الإذاعات، هذا بالإضافة إلى التغطية والمتابعة من قبل إذاعات الضفة أيضًا، فالأسرى اعتمدوا بشكل كامل وعلى مدار الساعة خلال الحروب الثلاث على المتابعة لمجريات الأحداث من خلال الإذاعات المحلية.

البرامج الدينية التي يتم تقديمها عبر الإذاعات المحلية عامة كبرامج الفتاوى وبرامج شهر رمضان وترتيل القرآن صباحًا وخلال الليل والدروس الدينية المتنوعة، هذه البرامج لها متابعون كثر على مستوى الحركة



الأسيرة عامة، وهناك عشرات البرامج التي تجدها التزام بالمتابعة على موعد البث من قبل الأسرى المتابعين لها لكثرة ما يجنيه الأسير من معلومات دينية وتحقيق للاستفتاء في علوم الدين المتنوعة، ومعظم الإذاعات المحلية لها فقرات وبرامج دينية يومية وأسبوعية، وبالإجمال تحتل هذه البرامج منزلة في حياة الأسرى، وكذلك تشكل لهم متنفساً ونوعاً من التغيير للروتين اليومي، من خلال المتابعة المستمرة لمثل هذه البرامج خلال أيام الأسبوع، وهنا لا ننسى دور إذاعة القرآن الكريم التي تبث من مدينة نابلس، والتي يصل بثها لكافة السجون بسبب قوة البث، فهذه الإذاعة لها متابعة وقبول لدى أعداد كبيرة من الأسرى من خلال متابعة برامجها المتنوعة.

231

ومن البرامج التي يتابعها الأسرى: الاستماع للأناشيد والأغاني الشعبية والوطنية، وكذلك الأناشيد الإسلامية والمديح النبوي وغيرها من الأمور الفنية، هذه يتم بثها على معظم الإذاعات المحلية، وهناك متابعة خاصة لنوعية الأغاني الشعبية والأغاني الوطنية الخاصة بكل فصيل معين وأحياناً لبقية الفصائل، وبالإجمال الأغاني والأناشيد الوطنية والإسلامية وغيرها تجد متابعة واسعة من قبل الأسرى من خلال الاستماع إليها عبر الإذاعات المحلية التي يتم التقاطها عبر موجات الراديو.

خامساً: أهمية الإذاعات المحلية في حياة الأسرى

الإذاعات المحلية تشكل مصدراً هاماً وفعالاً في حياة الأسرى يومياً بما تقدم من برامج إخبارية وترفيهية واجتماعية وسياسية ورياضية



وثقافية ودينية، والمطلوب من الإخوة القائمين على هذه المحطات بعد الشكر والعرفان لهم ولجهودهم؛ مزيد من العطاء في تسليط الضوء على قضية الأسرى، وبث مزيد من البرامج التي تهتم بشؤون الأسرى وحياتهم وظروفهم وإنجازاتهم، والحث الدائم على تحريرهم، من خلال تقديم مزيد من البرامج عن الأسرى داخل السجون.

وأعتذر عن عدم ذكر بعض أسماء الإذاعات المحلية التي لا نستطيع التقاطها أو سقطت سهواً من الذكر خلال هذا الفصل، والشكر موصول لجميع الإذاعات المحلية العاملة في قطاع غزة والضفة لكل ما تقدمه، سائلاً الله ﷻ لكل الطواقم العاملة السداد والتوفيق، بوركتم وجزاكم الله خيراً.



السجون الصهيونية ومواقعها وعدد الأسرى فيها

يتوزع الأسرى والأسيرات لدى العدو الصهيوني على مجموعة من السجون الموزعة على أرض فلسطين المحتلة من حدودها الشمالية حتى جنوبها وهي على النحو التالي:

(1) سجن جلبوع: يقع هذا السجن شمال فلسطين وعلى أرض سهل مرج بن عامر قرب بحيرة طبريا، تم إنشاؤه عام 2003م في أعقاب انتفاضة الأقصى، واليوم يوجد داخل أسواره 600 أسير فلسطيني تم توزيعهم على خمسة أقسام، كل قسم يتسع لـ 120 أسيرًا، ويوجد داخل أسوار هذا سجن عزل سجن جلبوع وهو عبارة عن سجن يحتوي على زنازين عزل انفرادية تستخدمه إدارة مصلحة السجون لعزل بعض الأسرى الذين يحكم عليهم بالعزل الانفرادي.

(2) سجن شطة: سجن قديم يقع بجانب سجن جلبوع مباشرة، واليوم تم تحويل معظم أقسامه للأسرى الجنائيين وتم إغلاق قسم (11) الأمني وقسم (8) خلال العام 2016م بسبب اكتشاف نفق تحت غرف أسرى الجهاد الإسلامي حاولوا من خلاله الهرب، لذلك تم تفرغته من أكثر من 250 أسيرًا، ولا يزال داخل سجن شطة عزل شطة الانفرادي وهو عبارة عن زنازين انفرادية يقيم فيها بعض الأسرى الذين تم عزلهم.



(3) سجن مجدو: شمال فلسطين قرب مدينه جنين يقع سجن مجدو القديم الذي يوجد بداخله 1080 أسيراً تم توزيعهم على تسعة أقسام، كل قسم بداخله 120 أسيراً ويوجد في سجن مجدو عزل مجدو الانفرادي والذي يقيم داخله مجموعه من الأسرى المحكومين بالعزل الانفرادي.

(4) سجن هداريم: ويقع قرب مدينه طولكرم ويشكل سجن هداريم تجمعاً لمجموعة من السجون، وسجن هداريم هو سجن مغلق يوجد داخله 120 أسيراً من قادة كافة الفصائل تم احتجازهم في هذا القسم لأسباب أمنية وسياسية.

(5) سجن تلموند: ويوجد داخل هذا القسم أكثر من 50 من أخواتنا الأسيرات ومن أقدمهن الأسيرة المجاهدة لينا الجربوني المحتجزة من عام 2002م، وفي هذا التجمع يوجد قسم الأشبال تحت سن الـ 18 عاماً، وخلال العام 2016م تم نقلهم الى سجن مجدو وعوفر.

(6) سجن الدامون: يقع هذا السجن على قمة جبال الكرمل، وهو من السجون القديمة ويوجد داخله قسم واحد لأخواتنا الأسيرات اللواتي تم اعتقالهن خلال انتفاضة السكاكين، وتعاني الأسيرات في هذا السجن من الأسرى الجنائيين الأمنيين، ويتراوح عدد الأسيرات بين 40 - 50 أسيرة.

(7) سجن عوفر: ويقع على أراضي مدينة رام الله، ويوجد داخله 1200 أسير موزعين على عشرة أقسام، من ضمن هذه الأقسام قسم للأشبال تحت عمر 18 عاماً، وهذا السجن كان أصلاً معتقلاً داخل



معسكر عوفر، وخلال انتفاضة الأقصى تم تسليمه لمصلحة السجون من قبل الجيش وتم زيادة عدد أقسامه.

(8) سجن عسقلان: ويوجد على أرض المجدل (عسقلان) وهو من السجون القديمة التي أنشئت من السبعينات، منذ السبعينات وهذا السجن بقي حتى عام 2008م بداخله 700 أسير، أما اليوم تم تحويل هذا السجن للأسرى الجنائيين باستثناء قسم واحد داخله 50 أسيرًا أمنياً فقط، ويوجد داخل أسوار سجن عسقلان عزل عسقلان الانفرادي والذي يوجد بداخله بعض الإخوة الأسرى الذين تم عزلهم.

(9) سجن الرملة: وهذا السجن عبارة عن مجمع واسع لإدارة مصلحة السجون، ويعتبر هذا التجمع هو الموقع الذي يتم فيه تجميع الأسرى على مدار أيام الأسبوع حتى يتم نقلهم من سجونهم إلى المحاكم أو إلى سجون أخرى، ويوجد داخل سجن الرملة المقام على أرض مدينة الرملة الفلسطينية عزل أيا لولن الشهير والأسوأ سمعة، حيث يقبع داخله بعض الإخوة الأسرى الذين يحكمون بالعزل الانفرادي، وهذا المجمع يعتبر من السجون القديمة؛ لأنه يمثل المقر العام لإدارة مصلحة السجون، رئيس مصلحة السجون وقيادة وإدارة السجون كافة توجد داخل هذا المجمع من السجون.

(10) سجون بئر السبع: وهذه السجون أقيمت على مدينه تل السبع وهي عده سجون داخل مجمع واحد:

• عزل بئر السبع: ويوجد داخله عدد من الأسرى المحكومين بالعزل الانفرادي.



• **سجن إيشل:** وهو عبارة عن ثلاثة أقسام، كل قسم يوجد بداخله 144 أسيرًا ويعيش داخلها 432 أسيرًا.

• **سجن أوهليكدار:** هو عبارة عن ثلاثة أقسام يعيش فيها 4320 أسيرًا موزعين على ثلاثة أقسام، علمًا أن سجن إيشل وأوهليكدار تم إنشاؤهما في عام 2003م بعد انطلاق انتفاضة الأقصى بثلاثة أعوام، يوجد داخله قسم يتجمع فيه أعداد كبيرة من الأسرى يوميًا في طريقهم إلى المحاكم، محطة انتظار نقلهم من سجونهم إلى سجون أخرى.

(11) **سجن ريمون:** وهذا السجن تم انشاؤه عام 2006م بجانب سجن نفحة الصحراوي بين مدينه تل السبع وأم الرشراش (إيلات)، ويحتوي هذا السجن على سبعة أقسام، يعيش داخل القسم الواحد 120 أسيرًا، وإجمالًا يتواجد فيه 840 أسيرًا موزعين على الأقسام السبعة داخل مبنى السجن، يوجد عزل ريمون الانفرادي والذي يعيش بداخله مجموعه من الإخوة الأسرى المحكومين بالعزل لفترات معينة.

(12) **سجن نفحة الصحراوي:** من السجون القديمة التي توجد جنوب فلسطين ما بين بئر السبع والنقب ويعيش داخله 720 أسيرًا تم توزيعهم على 9 أقسام، ويوجد داخل سجن نفحة عزل نفحة الانفرادي الذي يوجد بداخله عدد من الأسرى المحكومين في العزل الانفرادي.

(13) **سجن النقب الصحراوي:** وهو من السجون القديمة منذ عهد الثمانينات وانتفاضة الحجارة الأولى، هذا السجن يوجد داخله 1800 أسير تم توزيعهم على ثلاث قلاع (أ، ب، ج) كل قلعة تحتوي داخلها 600



أسير، علمًا أن السجن بقلاعه الثلاث يوجد داخل معسكر كبير للجيش الصهيوني المحتل، وللعلم يوجد هناك عشرات مراكز اعتقال واحتجاز بالإضافة إلى مراكز تحقيق وتوقيف على معظم أراضي فلسطين المحتلة، يوجد داخلها عشرات الأسرى الذين يخضعون لتوقيف وتحقيق وهذه المراكز هي:

- مركز توقيف عتصيون / مدينة الخليل.
 - مركز توقيف بيت إيل / رام الله.
 - مركز توقيف حواراه / نابلس.
 - مركز توقيف سالم / جنين.
 - مركز تحقيق / جنين.
 - مركز تحقيق المسكوبية / القدس.
 - مركز تحقيق بيتح تكفا / قرب تل الربيع.
 - مركز تحقيق عسقلان / مدينة المجدل.
 - مركز توقيف / معسكر المجنونة / مخيم الفوار / جنوب الخليل.
- هذا بالإضافة إلى العديد من المراكز والزنازين والسجون السرية التي لا يعلم عنها أي أحد مثل كفار يونا وروود بنيه... إلخ.





خاتمة

الحمد لله حمد الشاكرين ولا عدوان إلا على الظالمين المعتدين والعاقبة للمتقين.

أحمد ربي - سبحانه - أن وفقني وأعاني على كتابة هذه اليوميات والتي أسميتها:

عالم السجون الصهيونية تجربة أسير فلسطيني

ففي الختام أقول إن معاناة الرجال مهما كتبت عنها، ومهما وصفت حال الإنسان المقهور المحروم والمظلوم فلن أستطيع أن أصل إلى الوصف الكامل لإنسان مثبت ومقيد ومحبوس بين الجدران وخلف القضبان والأسلاك.

وكذلك صناعة الرجال حاولت من خلال هذا الجزء أن أعبر عن حالة النور والإشراق والقوة والتحدي والصمود لهؤلاء الرجال الذين عملوا وأنجزوا وتقدموا رغم السجن والضيق والحرمان.

أسأل ربي - سبحانه - القبول، وما توفيقي إلا بالله، سبحانه اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك اللهم وأتوب إليك، والحمد لله رب العالمين.



فهرس

الموضوع	الصفحة
إهداء	5
بين يدي الكتاب	7
مقدمة	9
السجن والقيد يصنعان الرجال	11
المؤمن يحول الخسائر إلى أرباح	13
دولة الأسرى	17
المؤسسة التنظيمية داخل السجن	23
عمل المؤسسة التنظيمية العامة والمحلية	27
الحياة العلمية والثقافية داخل السجن	39
الحياة الإدارية داخل السجون	49
قانون العقوبات داخل السجن	53
قرارات صعبة في اللوائح وقوانين العقوبات	57
النظام المالي داخل السجون	59
التواصل مع الخارج	63
لجان الطعام والشراب لدى الأسرى	67
الرياضة وأهميتها في حياة الأسير	71
المواجهات مع إدارة السجون	75
وسائل وأسلحة الأسرى في مواجهة السجنان	79
قصص ومواقف من خلف الأسوار	111

الموضوع	الصفحة
وصف المكان	115
الوقوف الإجباري	125
سياسة متقنة للإزعاج الدائم	129
ليل السجن	133
التفتيشات	135
النقل المفاجئ لأقسام السجن	147
إزعاج الأسير	149
الأسير تحت المراقبة	151
عملية جرد الملابس وآثارها	153
زي الأسرى الإجباري	155
ضيق الغرفة وسوء التهوية	157
الكلاب	161
التفتيش الشخصي المستمر يوميًا للأسير	163
زيارة الأهل وما يتبعها من أذى وقهر من قبل السجّان	165
البوسطة وعذاباتهما	169
المحرمات التي لا يراها السجين	171
التدخين في السجن بين الصبر والقهر	175
ظلم الرجال في حاجتهم لنصفهم الآخر (الزوجة)	177
الأسيرات	179
الصبر الجميل لزوجة الأسير	183
طعام الأسرى	191

الموضوع	الصفحة
غسيل الأسرى للابسهام	199
الكهرباء عند الأسرى	201
أمراض الأسرى وعيادة السجن والأطباء والعلاج	205
التلفاز والراديو	215
الإذاعات المحلية ودورها في خدمة الأسرى	221
السجون الصهيونية ومواقعها وعدد الأسرى فيها	233
خاتمة	239



« تعريف بالكاتب الأسير المحرر »

- الاسم: رومل كامل عثمان العطاونة.
- مكان الإقامة: بلدة خاراس - محافظة الخليل.
- تاريخ الميلاد: 1979/01/05م.
- الحالة الاجتماعية: متزوج.
- الإعتقالات: 1.
- تاريخ الاعتقال: 2002/02/14م.
- الحكم: 18 عاما.

« في هذا الكتاب »

لقد هيا الله ﷻ داخل السجون رجالا واصلوا الليل مع النهار عاملين ودائبين على صناعة رجال يحيا فيهم الأمل والثورة والعزة والنور والعلم والأمانة، جيل يحمل الراية ويحافظ عليها من السقوط، جيل يحمل رسالة أمة وشعب مظلوم مسلوب الحرية والأرض والحقوق الإنسانية كلها.

فقاموا وقالوا: هنا يصنع الرجال، وهنا يصنع الرجال المعجزات دون تعب أو ملل أو تراجع؛ لأن الطريق طويل والمعركة لم تنته بعد، فرغم المعاناة يصنع الرجال.

لابد من الإشارة إلى أن المكان الذي يوجد فيه الأسير مكان ضيق، ويسوده الحرمان من الحرية وكل ما هو محبوب للنفس؛ لذلك عمل السجنان على وضع ورسم سياسة داخل الأسوار تجعل من الأسير مجرد جثة تنتظر الموت، لا تريد له أن يبدع أو يتعلم أو يستغل وقته ليقرأ كتاباً أو يأخذ محاضرة أو يكتب خاطرة أو قصيدة أو مذكرات، وتريده أن يبقى نائماً في غرفته، سلبياً لا يفكر، لا يعمل عقله، لا يخرج إلى الساحات، لا ينظر إلى الجزء المملوء من الكأس، متشائماً يائساً من الحياة، محطم النفس يأكل ويشرب وينام.